sharif mahmoud
شاهد على مولد جامعة الدول العربية
جميل عارف
جامعة الدول العربية
الوثائق السرية
لدور مصر وسوريا والسعودية
I.C.P.

sharif mahmoud

شـــاهد على مـــولـد
جامعة الدول العربية

الوثائق الســرية لدور مصر وسوريا والسعـــودية

جميل عارف

sharif mahmoud

شاهد على مولد
الجامعة العربية

sharif mahmoud

إهـــــداء ...

إلى أرواح المجاهدين والشهداء الذين سقطوا فى معارك الحرية والاستقلال دفاعاً عن أرض الوطن العربى الكبير..

إلى الأبطال والمجاهدين الذين رفعوا راية الجهاد وحاربوا قوى الاستعمار الذى كان يجثم فوق أرض بلادنا العربية من الخليج إلى المحيط...

إلى أبناء الوطن العربى الكبير أهدى هذه الصفحات من تاريخ جامعة الدول العربية التى قامت يوم توقيع ميثاقها فى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥، لتبقى دائماً عنواناً ورمزاً لوحدة الأمة العربية وعزتها وقوتها..

sharif mahmoud
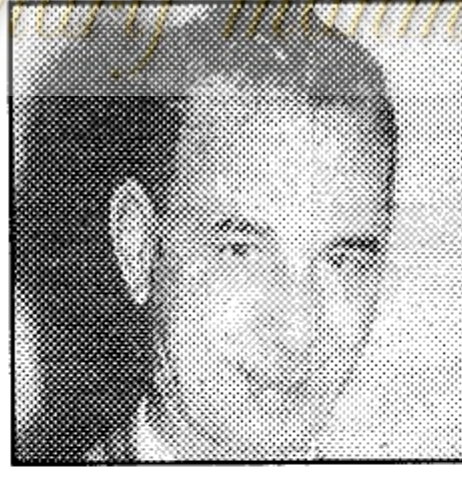
من الأمين العام للجامعة العربية الأول إلى الخامس

عبد الرحمن عزام.. أول أمين عام للجامعة العربية

عبد الخالق حسونة.. الأمين العام الثانى للجامعة
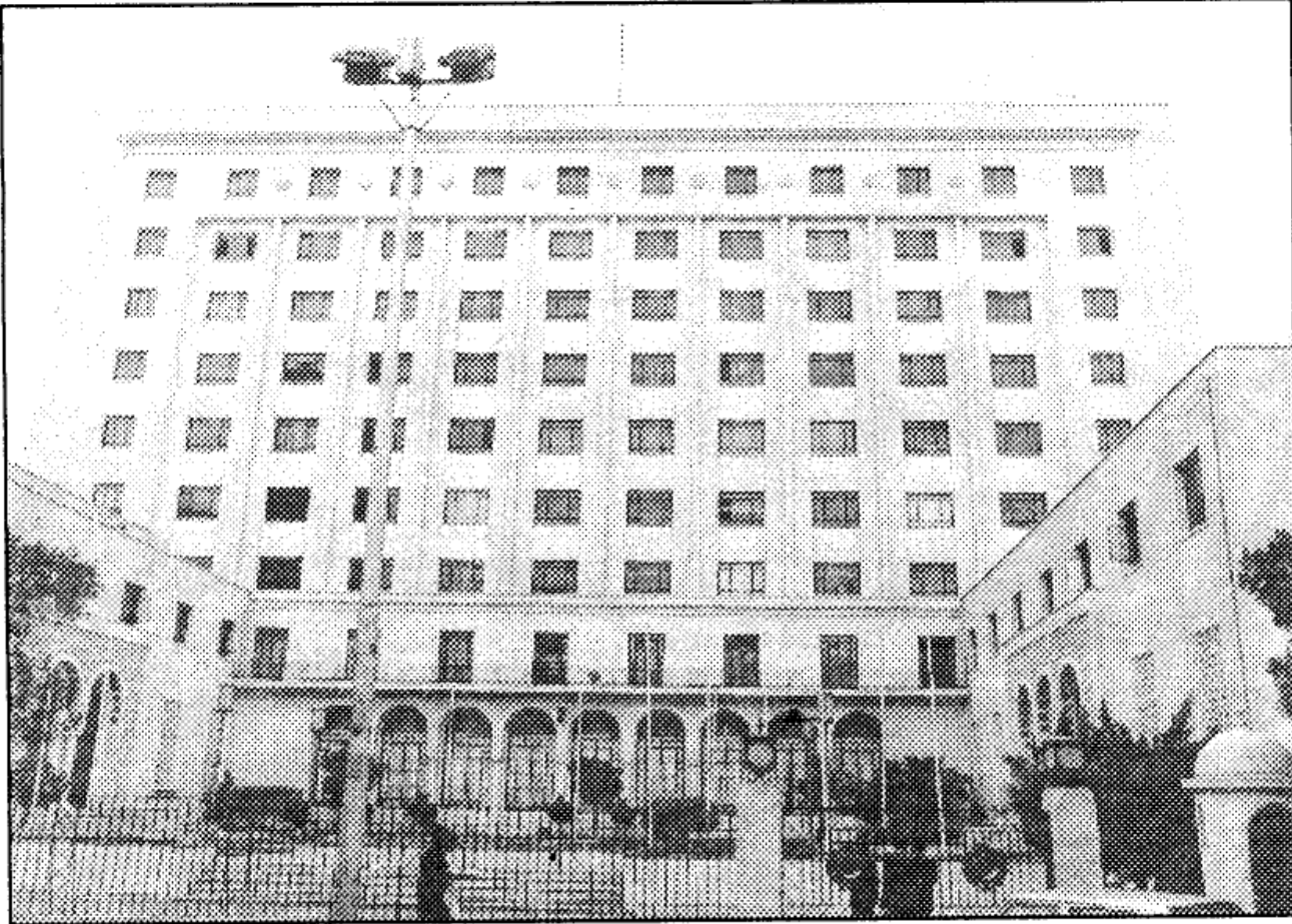
مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية فى ميدان التحرير فى قلب القاهرة وعلى نفس الأرض التى كانت ترمز فى يوم من الأيام للاحتلال الإنجليزى لمصر..

محمود رياض .. الأمين العام الثالث

الشاذلى القليبى .. الأمين العام الرابع فى تونس..!

الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام الخامس

sharif mahmoud

مقدمة الجامعة العربية قامت لتبقى ...

كان المرحوم عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام للجامعة الحديثة قد عاد فى عام ١٩٧٦ الي مصر بعد غيبة دامت اكثر من ١٥ سنه بعد أن كانوا قد أجبروه على الاستقالة..

وذهب إلية فى البيت الذى كان يقيم فيه بحلوان..

وتكررت زياراتى له وقد إنتهزت الفرصة لأراجع معه بعض تفاصيل الأحداث الكبيرة التى شهدتها أمتنا العربية منذ إعلان قيام جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥، وبعد تعينه أمينا عاما لها..

وكنت فى تلك الأيام فى سبيلى لإصدار كتاب «صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام»..

ولم تكن مفاجأة عندما وجدته رحمه الله، وكان قد تجاوز الثمانين من عمره، يذكر الأحداث بتفاصليها الدقيقة، وكان يبدو وهو يراجعها معى متحمساً للعمل الكبير الذى كنت أقوم به، وكانت سعادته لأننى استطعت على مدى سنوات عملى صحفى بالقرب منه أن أسجل بدقة الكثير من أحاديثه معى، وخاصة التى لم يكن يسمح لى بنشرها..

وكانت من عادته أن يفتح لنا كصحفيين قلبه، وان يتحدث معنا عن كل شىء ، فقد كانت ثقته بي وبملائى من الصحفيين المعتمدين لدى الأمانة العامة للجامعة العربية كمندوبين لصحفهم ومجلاتهم بلا حدود، وكان يحدد لنا ماننشره، ومالايجب علينا نشره..

وبمعنى آخر.. كان يقول لنا: هذا للعلم، وهذا للنشر!.

ولا أريد أن أقول أننى جلست الساعات الطويلة فى حلوان أستمع إلى المجاهد الكبير، وهو يراجع معى تفاصيل ماكنت قد سجلته من أحاديث وذكريات استمعت إليها بنفسى منه عندما كان أميناً عاماً للجامعة العربية، وبعد أن أجبروه على الاستقالة..

وأذكر فى تلك الأيام أن اللورد كيلرن الذى كان مندوباً سامياً ثم سففيراً لبريطانيا فى القاهرة كان قد نشر مذكراته السياسية فى كتاب أشار فيه إلى دور بريطانيا فى إنشاء جامعة الدول العربية..

sharif mahmoud

وتحمس المجاهد العربى الكبير رحمه الله لتصحيح بعض الوقائع التى جاءت فى مذكرات اللورد كيلرن وهو يقول لى:

ـ صحيح إن فكرة الجامعة العربية خرجت لأول مرة من لندن، ولكنهم كانوا يريدونها جامعة تعمل فى خدمة مصالحهم الاستعمارية، إلا أننى أحمد الله على أننا نجحنا برغم كل الدسائس والمؤامرات فى أن تصبح الجامعة العربية أداة تعمل فى خدمة كل أمة العرب..!

وأقولها صراحة .. إنها كانت رغبة المجاهد العربى الكبير ألا تنشر له أى مذكرات سياسية إلا بعد وفاته..

وكان رأيه كما كان يقول دائماً أن كتابة المذكرات مسؤولية تاريخية، وقد أراد قدره أن يتحمل مسؤولية العمل العربى كأمين عام للجامعة العربية فى أخطر مرحلة اجتازتها أمتنا العربية عندما كانت الدول العربية التى تعتبر مستقلة سبعة دول، وكانت غالبية البلاد العربية الأخرى ماتزال واقعة تحت سيطرة القوى الاستعمارية .

وكان رحمه الله يخشى كما كان يقول بتفكير السياسى الذى عاش وعمل بأخلاقيات الفلاح إبن القرية أن يؤدى نشر الوقائع التاريخية على حقيقتها وبتفاصيلها الدقيقة إلى تعرية الكثيرين من السياسيين الذين عاشوا هذه المرحلة السياسية من حياة أمتنا العربية، وهى المرحلة التى أنشئت فيها جامعة الدول العربية، وكان يقول أن هذه التعرية يمكن أن تكشف عن أخطاء لبعض هؤلاء السياسيين بما يمكن أن يضع بعضهم حتماً فى صفوف عملاء الاستعمار والخونة..

وهكذا كانت رغبته فى أن يعفى نفسه من مسئوولية فضح حقيقة هؤلاء الخونة تاركاً للتاريخ والمؤرخين عبء هذه المسؤولية.!

ولن أنسى كلماته لى بعد تحت مراجعة ما كنت قد أعددته للنشر..

قال لى رحمه الله.. هذه الصفحات تكفى فى هذه المرحلة..

قلت له: وماذا عن بقية ماعندى من ذكرياتك التاريخية؟

قال رحمه الله: أنها معك للتاريخ والأيام.. وأدركت ماكان المجاهد العربى الكبير يعنيه، فقد كان رحمه الله يريد أن يقول لى:

ـ أنت تعرف رأيى، فإذا كنت قد سمحت بنشر هذه الصفحات . فعليك أن تحترم رغبتى بتأجيل نشر بقية ماعندك!

●●●

sharif mahmoud

وأفتش فى أوراقى القديمة لأعثر على نسخة من الكتاب الأزرق الذى أذاعه نورى السعيد فى أوائل عام ١٩٤٢ عن مشروع سوريا الكبرى، وكان ذلك رداً على تصريحات كان أنطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية فى حكومة ونستون تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية قد أدلى بها أمام مجلس العموم البريطانى قال فيها أن حكوم صاحب الجلالة ملك بريطانيا يمكن أن تساند بكل اهتمام مشروع للوحدة أو الاتحاد بين الدول العربية.. وكان هذا الكتاب الأزرق عبارة عن مذكرة بعث بها نورى السعيد إلى ريتشارد كايسى وزير الدولة البريطانى لمنطقة الشرق الزوسط فى القاهرة، وكان يقترح فيها:

أولاً : إنشاء دولة واحدة تضم كل من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن مع توفير الضمانات لليهود فى فلسطين والمسيحيين فى لبنان..

ثانياً : تنضم هذه الدولة الجديدة إلى العراق فى دولة الهلال الخصيب..

ثالثاً : تنضم دولة الهلال الخصيب إلى التكتل الذى اقترح أنطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية إنشاءه.. وأن يكون هذا التكتل فى صورة اتحاد عربى يمثل إحدى صور الوحدة بين الدول العربية..

وفى رأيى أن هذا الكتاب الأزرق كان نقطة البداية التى كشفت عن مفهوم نورى السعيد للتجمع العربى، وهو ماأدى إلى الكثير من الخلافات التى وقعت بين الدول العربية بعد قيام الجامعة العربية.!

وتتكلم وقائع التاريخ لتقول أن مصر والمملكة العربية السعودية عارضت مشروع سوريا الكبرى بكل قوة، وعارضته أيضاً سوريا ولبنان..

وكان مثار الكثير من الخلافات ايضا بين كل من بغداد وعمان، فقد كان نورى السعيد يطالب بضم شرق الأردن إلى بغداد، بينما كان الملك عبد الله أمير شرق الأردن يرى ضم العراق إلى شرق الأردن..

وعندما تحمس المرحوم مصطفى النحاس لفكرة إنشاء التجمع العربى اقترح على زعماء الدول العربية التى كانت مستقلة، وكان عددها سبع دول إنشاء لجنة تحضيرية لإعداد مشروع التجمع العربى، وكان رأيه إن يتم إنشاء هذا التجمع تحت زعامة مصر..

أما نورى السعيد فكان فى رأيه أن يكون التجمع العربى هاشميا واقترح صراحة استبعاد مصر والسعودية منه.!

المهم.. عقدت اللجنة التحضيرية ثمان جلسات انتهت بالاتفاق على توقيع ما اتفق على إطلاق

sharif mahmoud

إسم بروتوكول الرسكندرية عليه، وكان ذلك فى قصر أنطونيادس بالإسكندرية فى يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤، وكانت المفاجأة عندما اعتذرت كل من المملكة العربية السعودية واليمن عن التوقيع على هذا البروتوكول..

وكان رأى الملك عبد العزيز الصريح والواضح أنه لا يمكن ان ينضم إلى جامعة عربية يكون نورى السعيد عضواً فيها..

وأقيلت حكومة النحاس باشا فى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤، أى فى اليوم التالى للاحتفال بالتوقيع على بروتوكول الإسكندرية من خمس دول عربية فقط. وجاءت حكومة أحمد ماهر باشا لتعين المرحوم عبد الرحمن عزام، وكان قد أصدر أمر ملكى بتعيينه وزيراً مفوضاً للشئون العربية بوزارة الخارجية المصرية أميراً للحج لما كانت تعرفه عن صلته وصداقته بالمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، و كلفته بمحاولة إقناع العاهل السعودى بالموافقة على التوقيع على بروتوكول الإسكندرية..

وكانت مناقشات فى جدة انتهت بأن وضع الملك عبد العزيز سبعة تحفظات للموافقة على الانضمام إلى جامعة الدول العربية..

وقام الشيخ يوسف ياسين السكرتير الخاص للعاهل السعودى الذى أصبح فيما بعد وزير دولة للشئون الخارجية، وكان مكلفاً بتمثيل المملكة العربية السعودية فى اللجنة التحضيرية، بإبلاغ التحفظات السعودية فى مذكرة رسمية إلى أحمد ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية..

وفى القاهرة قام عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين فى الحكومة المصرية، وهو الذى أصبح فيما بعد أول قاض عربى فى محكمة العدل الدولية بإدخال تعديلات على بروتوكول الإسكندرية واضعاً فى اعتباره وجهة النظر السعودية، وبعدها وافقت المملكة العربية السعودية على التوقيع على اتفاقية إنشاء جامعة الدول العربية التى اتفق على إطلاق إسم ميثاق الجامعة عليها فى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ !.

●●●

وتسأل عن أصل مشروع سوريا الكبرى.. أو المشروع الكارثة كما كنا نطلق عليه لتسببه فى إثارة الكثير من الخلافات بين الدول العربية لتتكلم الوثائق التاريخية وتقول:

ـ كانت البداية عندما أعلن الشريف الحسين ما سمى بالثورة العربية عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الاولى وانضمامه إلى الحلفاء الغربيين فى الحرب ضد دولة الخلافة العثمانية فى تركيا، وكانت الحكومة البريطانية قد وعدته بواسطة عملائها فى منطقة الشرق الأوسط بمساعدته على

sharif mahmoud

إنشاء امبراطورية له تضم سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق، بالإضافة إلى الحجاز، ولكنه اضطر بعد أن تحطمت أحلامه، وعرف أنه قد غرر به، أن يرضى بأن يصبح إبنه عبد الله ملكاً على العراق فى بادىء الأمر، وولده فيصل ملكاً على وسوريا بأقاليمها الأربعة، وهى سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، ولكن كان من نتيجة الوفاق الفرنسى البريطانى على أثر انتهاء ، الحرب العالمية الأولى وإعلان الانتداب الفرنسى على سوريا ولبنان أن اتفق على أن يتولى فيصل عرش العراق بدلاً من سوريا، ووافق عبد الله على أن يصبح أميراً على شرق الأردن التى اقتطعت من فلسطين التى كانت أصلاً إقليماً تابعاً لسوريا أيام الدولة العثمانية، وتقرر أن يشمله هو أيضاً الانتداب البريطانى الذى مفروضاً على فلسطين..

وعاش عبد الله يحلم بضم سوريا إلى شرق الأردن، كما ظلت نفس هذه الأحلام تراود فيصل فى العراق!.

وأذكر تصريحات كثيرة للملك عبد الله كانت الصحف والمجلات قد نشرتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكانت كلها تدعو إلى وحدة أقاليم سوريا الأربعة فى دولة واحدة هى سوريا الكبرى تحت قيادته وعرشه..

وقال فى أحد هذه التصريحات أنه على استعداد لمنح اليهود فى فلسطين والمسيحيين فى لبنان نوعاً من الحكم الذاتى..

وكانت هذ التصريحات تواجه بمقاومة شديدة من الشعبين السورى واللبنانى.

واضطر الملك عبد الله إلى إدخال تعديلات على تصريحاته فقال.. أنه على استعداد فى حالة تعذر ضم الاقاليم الأربعة دفعة واحدة أن يوافق على انضمام سوريا إلى شرق الأردن أولاً.. وأن تترك الفرصة لفلسطين ولبنان للانضمام إلى مملكة فيما بعد!.

وقال الملك عبد الله فى تصريحات نشرتها له مجلة آخر ساعة فى القاهرة أنه يطالب بتحقيق مشروع سوريا الكبرى كما تطالب مصر بوحدة وادى النيل..

وفى شهر أكتوبر سن ١٩٤٦ عقد مجلس الجامعة العربية دورة اجتماعه العادى، وكان أهم بند فى جدول أعماله هو بحث قضية فلسطين والعمل على توحيد موقف الدول العربية فى المعركة السياسية التى كان منتظراً أن يواجهها العرب دفاعاً عنها، ولكن فجأة تقدمت سوريا بشكوى ضد شرق الأردن بسبب خطاب ألقاه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن أمام البرلمان الأردنى قطع على نفسه عهداً فيه بالعمل على توحيد سوريا والأردن..

وكان رد البرلمان على خطاب الأمير هو الموافقة والتأييد والتضامن على تنفيذ العهد!.

sharif mahmoud

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول: ارتفعت فى كل من سوريا ولبنان أصوات تهاجم أمير شرق الأردن بعنف.

وكانت حملات قاسية بين سوريا ولبنان من جانب، وبين شرق الأردن من جانب آخر.

وشاركت الحكومات والبرلمانات والصحافة فى البلاد الثلاثة فى هذه الحملات..

وتكهرب جو العلاقات بين الدول العربية خاصة بعد أن أخذت الصحف اللبنانية فى اتهام الأمير عبد الله بأنه يتعمد إثارة هذه الضجة حتى يشغل بها العالم العربى عن الإعداد للموقف العربى الموحد فى قضية فلسطين تنفيذاً لمقررات مجلس الجامعة العربية..

●●●

تدخلت الأمانة العامة للجامعة العربية لأول مرة لمحاولة حسم الخلافات التى نشبت بين ثلاث دول من أعضائها..

وكان أن نظمت عقد اجتماع خاص لوزراء خارجية الدول العربية الأعضاء فى الجامعة، وقد اشترك فيه ابراهيم عبد الهادى باشا وكان وزيراً لخارجية مصر، ومحمد الشريقى باشا وزير خارجية شرق الأردن، وجميل مردم بك وزير خارجية سوريا والدكتور فاضل الجمالى وزير خارجية العراق والشيخ يوسف ياسين وزير الدولة للشئون الخارجية فى الحكومة السعودية وفيليب تقلا وزير الخارجية اللبنانى ومحمد عبد الله العمرى مندوب اليمن الذى أصبح وزيراً للخارجية بعد انقلاب ابن الوزير فى اليمن، وهو الانقلاب الذى اغتيل فيه الإمام يحيى بن حميد الدين فى عام ١٩٤٧، وقتل فى هذا الانقلاب القاضى عبد الله العمرى رئيس وزراء الأمام، وهو والد القاضى محمد عبد الله العمرى مندوب اليمن فى الاجتماع..

وتتكلم وثائق الأمانة العامة لجامعة الدول العربية القديمة لتقول:

- فى يوم ٢٨ نوفمبر (تشرين الثانى) لعام ١٩٤٦ وقع وزراء الخارجية السبعة الاتفاق الآتى نصه:

- أثير فى الآونة الأخيرة جدل حول مشروع سوريا الكبرى فترتب على ذلك أن عقد وزراء خارجية الدول العربية اجتماعاً خاصاً، ودرسوا الامر من جميع وجوهه، فتبين أن أحداً لم يقصد من تناوله هذا الموضوع التعرض لاستقلال أو سيادة إحدى دول الجامعة العربية..

ولكن يبدو أن المصالحة التى سعى إليها وزراء الخارجية العرب كانت عبارة عن حبر على ورق الورق بالرغم من أنه لم يذكر فيها اسم الأمير عبد الله.. أو سوريا ولبنان ..

sharif mahmoud

وعرف أن الأمير عبد الله لم تعجبه صيغة البيان، وكان أن كلف وزير خارجيته قبل أن يغادر القاهرة وبالضبط بعد يومين من توقيعه بإمضائه على بيان وزراء الخارجية العرب بالتقدم إلى رئيس مجلس الجامعة بمذكرة باسم حكومة شرق الأردن تقول أن شرق الأردن يحتفظ بوجهة نظره، وهى أن الدعوة إلى الوحدة أو الاتحاد بين الدول العربية بالوسائل السياسية وطبقاً لإرادة الشعوب لاتتعارض مع احترام استقلال أى دولة من دول الجامعة..

وقالت هذه المذكرة بالحرف الواحد: أنه مع تقدير حكومة شرق الأردن للاتفاق الذى وقعه وزير خارجيتها مع زملائه وزراء الخارجية العرب فإنها تتحفظ بوجهة نظرها فى تقرير مبدأ قوى تهتم به اهتماماً خاصاً لصلته الجوهرية بمصالحها الإقليمية وميثاقها الوطنى..

وكان هذا يعنى عدم تراجع شرق الأردن عن آرائه وأفكاره حول مشروع سوريا الكبرى..!

●●●

إن الأرشيف القديم للأمانة العامة للجامعة العربية أى إدارة محفوظاتها، ملىء بعشرات الألوف من الوثائق التاريخية التى يمكن أن تفيد الباحثين فى كتابة تاريخ العلاقات بين الدول العربية على مدى الخمسين عاماً الماضية، أى منذ إعلان إنشاء جامعة الدول العربية حتى الآن، كما توجد نسخ من الكثير من هذه الوثائق فى الملفات الخاصة بالجامعة العربية بوزارات الخارجية العربية..

والذى أعرفه أن المرحوم عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام للجامعة العربية لم يكن يحتفظ فى بيته بأى ورقة من أوراق الأمانة العامة للجامعة العربية..

وكانت تعليماته دائماً بالاهتمام بأرشيف الأمانة العامة باعتبارها المرجع التاريخى لكل ما كان يجرى فى البلاد العربية من أحداث..

وكان يقول : ليس عندى ما أخفيه، ومن يريد أن يعرف أى شىء فليذهب للاطلاع عليه فى الأرشيف..!

وعندما ذهب المرحوم عزام باشا جاء بعده المرحوم عبد الخالق حسونة باشا ليشغل منصب الأمين للجامعة العربية..

وأستطاع الرجل ان يقود سفينة العمل فى الامانة العامة للجامعة بأسلوبه الذى إتسم بالدبلوماسية الناعمة وكانت سياسته كما وصفتها فى تحقيق نشرته فى جملة آخر ساعة عندما كنت مديريا لتحريرها .. أن لا يغضب أحدا..

sharif mahmoud

وفى ايام المرحوم عبد الخالق حسونة بدأت الانقسامات بين الدول العربيية تهز كيان الجامعة العربية مع إعلان العراق إنضمامه الى حلف بغداد بينما كانت مصر الثورة أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تقاوم كل محاولات الضغط عليها للانضمام الى هذا الحلف.

وتدهورت العلاقات بين الدول الاعضاء فى الجامعة.

وكان الأمين الثالث علي مدى الخمسين عاما فى مشوار حياة الجامعة العربية هو المرحوم رياض الذى بدأ حياته ضابطا فى الجيش المصرى، ثم وقع عليه الاختيار للعمل فى لجنة مختصة بشئون فلسطين واشترك بعد حرب فلسطين سنه ١٩٤٨ ملحقا بوفد المفاوضات فى رودس ، وبعد ثورة ٢٣ يوليو تدرج فى المناصب السياسية حتى أصبح وزيرا للخارجية المصرية.

وأذكر أنه غضب منى كثيرا بالرغم من الصداقة التى كانت تربطنى به عندما وصفته مرة فى تحقيق نشرته فى مجلة آخر ساعة بإنه يعمل موظفا فى الامانة بدرجة أمين عام..

وأثار مقالى ضجة عنيفة فى الاوساط العربية فقد كان محاولة صادقة للمقارنه بين أسلوب محمود رياض فى العمل كأمين عام للجامعة وأسلوب المرحوم عزام باشا الذى استطاع ان يعمل وان يؤثر على قرارات عربية كثيرة وكانوا يتهمونه بأنه قد جعل منصب الامين العام للجامعة العربية حكومة فوق كل الحكومات العربية!

ووصفه أحدهم بأنه الحكومة الثامنة فى الجامعة العربية التى لم تكن تضم أكثر من سبع دول عربية !

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها ان الرئيس الراحل انور السادات غضب على المرحوم محمود رياض لعلاقاته مع بعض مراكز القوى فى أول عهد السادات وبسبب بعض مواقفه السياسية بعد اتفاقية كامب ديفيد.

وفى عهد محمود رياض إتفق على تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية ، ونقل الامانة العامة من القاهرة الى تونس حيث تولاها الامين الرابع وهو الشاذلى القليبى وهو تونسى، ..

وكانت أول مرة يصبح فيها للامانة العامة أمين عاما غير مصرياً ..

وكان فى تصور السادات أو هكذا قبل له ان دور الجامعة العربية قد إنتهى فقرر أن يستبدلها بتجمع آخر أطلق عليه إسم جامعه الشعوب العربية.

وتولي سيد نوفل منصب الامين العام لهذه الجامعة الاسلامية..

انه صديق قديم منذ أن كان يعمل سكرتيرا خاصا للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل عندما كان رئيسا لمجلس الشيوخ المصرى قبل الثورة وكان معروفا عنه انه لم يكن يتحرك انه

sharif mahmoud

يظل دائما منتظرا لتعليمات قائده ليقوم بتنفيذها بحذافيرها وبدون أدنى تصرف ..

وأتوقف قليلاً أمام ما أصاب أرشيف الامانة العامة للجامعة العربية القديم على مدى الخمسين سنة الماضية لقد إختفت للأسف الشديد الكثير من أوراقه وهناك من يقول إنها هربت الى تونس وقال آخرون أن الكثير من الملفات القديمة تلفت وتمزقت ..

إننى لا أريد ان أتهم أحدا وكل ما أستطيع ان اقوله هو ان هذا الارشيف يعنى الكثير بالنسبة لأجيال المؤرخين من المهتمين بكتابة التاريخ الحقيقى لجامعة الدول العربية وأن ضياع أو إتلاف أى ورقة منه تعنى محاولة تشويه الكثير من وقائع التاريخ العربى لأزهى العصور التى شهدتها حركة التجمع والوحدة العربية منذ نشأة الجامعة العربية حتى الأن..

وعادت الامانة العامة الى القاهرة ليتولى منصب الامين العام الخامس الدكتور عصمت عبد المجيد وهو .. إنه واحد في رعيل البلوماسيين المصريين الذين عاشوا حياتهم فى خدمة الدبلوماسية العربية وكان قبل إختياره للعمل فى منصب الامين العام للجامعة العربية نائباً لرئيس مجلس الوزراء المصرى للشئون الخارجية لعدة سنوات وقد إشتهر بعلاقاته الدولية الواسعة منذ ان كان رئيسا لوفد مصر فى الامم المتحدة..

وهو تلميذ نجيب ومتميز لمدرسة الدبلوماسية المصرية العتيقة التى أرسى الكثير من قواعدها المرحوم الدكتور محمود فوزى ..

ولا اريد ان اقول اننى تفاءلت مع الكثيرين غيرى عندما تولى الدكتور عصمت عبد المجيد منصب الامين العام للجماعة العربية ..

وكان رأي أن ترشيح مصر له وانتخابه لهذا المنصب موفق للغاية وأنه خير فى يتولاه ليعيد مسيره الجامعة العربية الى ماكانت عليه عند إنشائها منذ ٥٠ سنة.

وأصبح الرجل ربيب مدرسة الدبلوماسية المصريه القديمة الامل الذى تتطلع اليه شعوب الامة العربية من أجل المساعدة على تصفية الاجواء العربية وتحقيق المصالحة بين كل الاطراف المتناحره فهل ينجح ؟ .. ان الجامعة و قد تعرضت منذ إعلان قيامها للكثير من الهزات كمظمة إقليمية سواء من داخل المنطقة العربية أو خارجها ستبقى قوية وشامخة..

أو هكذا تقول كل الوثائق التاريخية عن دور مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية بالذات من اجل دعم الجامعة وضمان سلامة استمرارها قوية من اجل كل العرب..

جميل عارف

sharif mahmoud

المؤامره على الجامعه العربيه

● تآمر نورى السعيد مع الانجليز على الجامعة العربية قبل قيامها. وكان الملك عبد العزيز آل سعود أول من كشف تفاصيل المؤامرة..!

الفصل الاول

1

- لماذا رفض الملك عبد العزيز التوقيع على بروتوكول الاسكندريه !
- انطونى ايدن كان يريدها جامعه لدول الهلال الخصيب
- شكرى القوتلى رفض اقتراحا عراقيا باستبعاد مصر والسعوديه

sharif mahmoud
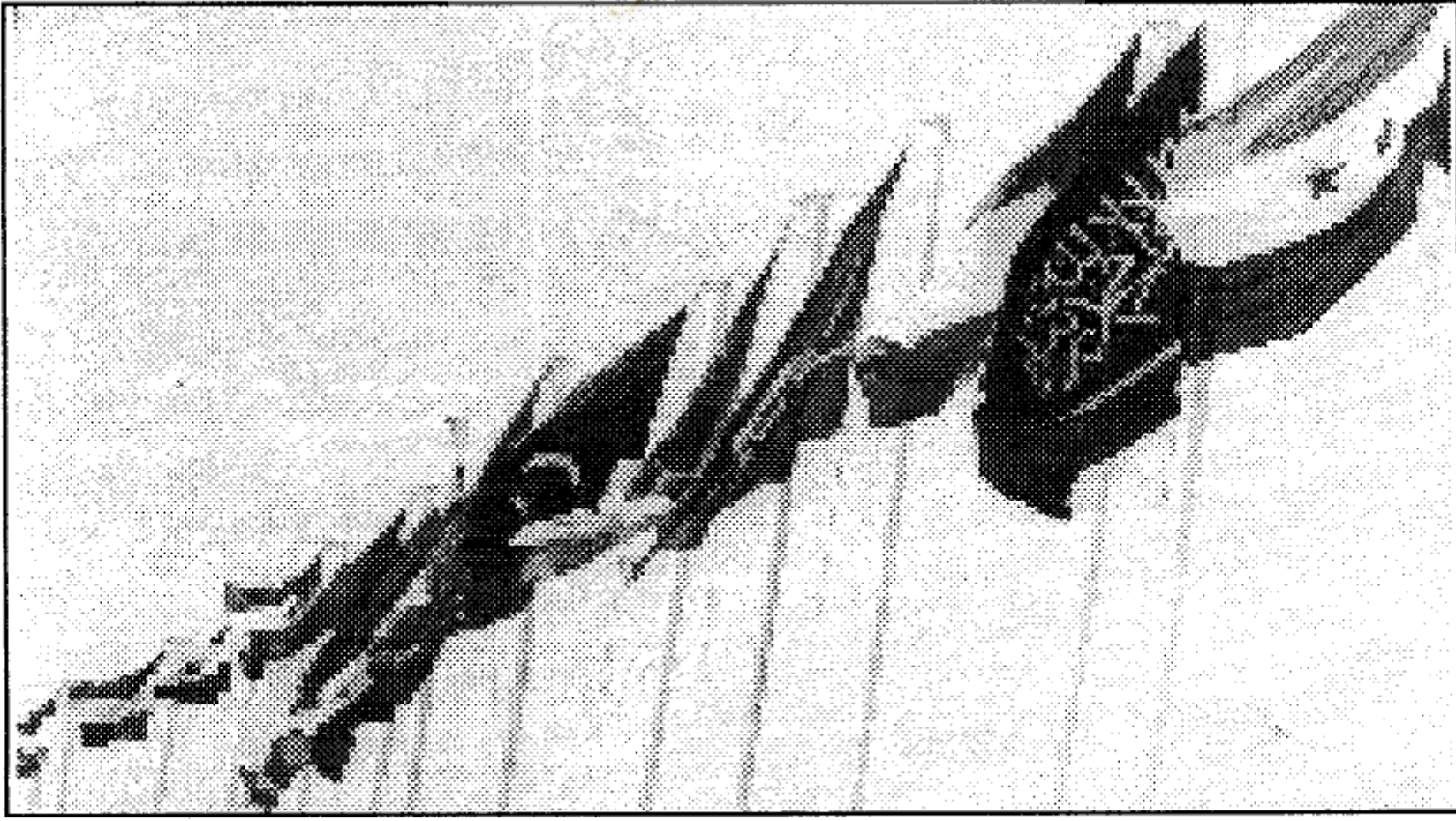
● ولدت الجامعة العربية قبل الأمم المتحدة بسبعة اشهر، وكان عدد الدول العربية التى شاركت فى توقيع ميثاق سان فـرانسـسكو ٤ دول عـربيـة. وأصـبح عـدد هم ٢١ دولة الآن اى ان كل ثمـان دول فى العـالم من بينهم دولة عـربيـة.

كانت البداية تصريح لانطونى إيدن وزيـر الخارجية البريطانى

● الملك عبد العزيز آل سعود أول من اكـتـشـف المؤامـرة

● الرئيس شكرى القوتلى كـان فى بغـداد عندمـا اقـتـرح نورى الـسـعـيـد اسـتـبـعـاد مـصـر والسـعـودية!!

● صورة قديمة عمرها أكثر من ٧٥ سنة لمدينة تل أبيب فى ضواحى مدينة يافا العربية . إن بدايتها كانت مجموعة من الأكشاك الخشبية التى بسببها تناست الدول الكبرى حقوق العرب التاريخية فى فلسطين

sharif mahmoud

كنت في بداية حياتي الصحفية واحدا من تسعة أو عشرة صحفيين مصريين اعتمدتهم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعد إنشائها، ليعملوا محررين للشئون العربية ومندوبين لصحفهم لتغطية كل ما كان يجرى فيها من اجتماعات واتصالات.

وانتقل إلى رحمة الله سبعة من زملائى الذين شهدوا معى مولد الجامعة العربية وتخصصوا لسنوات طويلة فى متابعة أعمالها.

إننى أذكر منهم المرحوم الصحفى العجوز محيى الدين فرحات الذى كان يمثل جريدة «المصرى» التى أغلقتها ثورة ٢٣ يوليو وكان يمتلكها المرحوم محمود أبو الفتح، والمرحوم سامى حكيم محرر الشئون العربية فى جريدة الأهرام، والمرحوم محمد وجدى السيد مراسل وكالة «الأسوشيتدبرس» الأمريكية فى القاهرة، والمرحوم محمد على رفاعى والمرحوم أسعد حسنى.

واعتزل إثنان بعد إحالتهما إلى المعاش، وهما عبود فودة الذى أصيب بمرض فى عينيه أقعده عن الخروج من منزله فى حلوان، والزميل خليل طاهر ابن الأكابر كما كان المرحوم عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام للجامعة العربية يطلق عليه دائما، وهو حفيد طاهر باشا الذى كان حاكما على مصر أيام الدولة العثمانية، وقد عاش خليل طاهر وما يزال يتهم محمد على باشا بأنه اغتصب عرش مصر من جده.. وكان خليل طاهر مراسلا لوكالة الأنباء العربية بالقاهرة بالإضافة إلى عمله فى جريدة السياسة التى كانت تنطق بلسان حزب الأحرار الدستوريين قبل ثورة ٢٣ يوليو.

إنهم الكتيبة الأولى من الصحفيين الذين عاصروا مولد الجامعة العربية وكنت واحدا من أفرادها .وأظننى الوحيد الباقى من مجموعة هؤلاء الصحفيين الذى لا يزال يمارس عمله الصحفى حتى الآن.

وكان هناك أيضا محمد البيلى، الذى أصبح مستشارا لوكالة أنباء الشرق الأوسط، وعلى جمال الدين صاحب وكالة اوريانت برنس فى بيروت وباريس، وأحمد فهمى ابن أخت محمود أبو

sharif mahmoud

الفتح، ومحمد عبد الجواد رئيس مجلس الإدارة السابق لوكالة أنباء الشرق الأوسط، والمرحوم على اليرقانى وقد كانوا يترددون على الأمانة العامة للجامعة بين الآونة والأخرى، ولكنهم لم يكونوا مندوبين دائمين يمثلون صحفهم فيها.

وأعود بذاكرتى إلى تلك الأيام عندما كانت الأمانة العامة لجامعة لدول العربية تشغل حجرتين فى الدور الثانى بمبنى وزارة الخارجية المصرية القديم فى ميدان التحرير.. إنه المبنى الذى تقرر تحويله إلى استراحة لضيوف وزارة الخارجية المصرية من وزراء الخارجية والدبلوماسيين الأجانب، ويقع فى مواجهة المبنى الذى تشغله الأمانة العامة للجامعة العربية فى الوقت الحاضر.

وكانت إحدى هاتين الحجرتين مخصصة لمكتب عبد الرحمن عزام بك أول أمين عام للجامعة العربية، أما الحجرة الأخرى فكانت تشغلها سكرتاريته وموظف صغير كان مكلفا بالكتابة على الآلة الكاتبة.

وكان عبد الرحمن عزام بك قد صدر قرار بتعيينه وزيرا مفوضا بوزارة الخارجية المصرية قبل الاتفاق على اختياره أمينا عاما للجامعة العربية وهو لم يحصل على رتبة الباشوية إلا بعد أربع سنوات من توليه منصبه فى الأمانة العامة للجامعة.

ولا يعرف كثيرون أن مبنى وزارة الخارجية المصرية القديم كان واحدا من القصور الملكية، وأنه كان مخصصا لسكنى الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل الذى أصبح سلطانا على مصر بعد أن قام الانجليز بعزل الخديو عباس حلمى أثناء الحرب العالمية الأولى.

وأذكر أن الأمانة العامة للجامعة العربية ظلت تباشر عملها فى هذا المبنى لمدة حوالى عشرين شهرا، ثم انتقلت إلى قصر البستان، أول مقر لها فى وسط القاهرة.

وكان هذا القصر هو الآخر مقرا للملك أحمد فؤاد قبل أن يصبح سلطانا ثم ملكا على مصر.

وفى هذا القصر، تم زفاف السلطان أحمد فؤاد على الملكة نازلى والدة الملك فاروق وفيه أيضا ولد الملك فاروق.

وعندما انتقل السلطان فؤاد إلى قصر عابدين بعد أن أصبح ملكا، تقرر تحويل هذا القصر ليصبح مقرا لأول وزارة للخارجية المصرية بعد إنشائها..واختارت الوزارة اسم «بستان» لعنوانها نسبه لاسم هذا القصر اما عنوانها التلغرافى فهو زعفران نسبة للقصر الذى كان مخصصا للضيافة، وهو قصر الزعفران الذى أصبح فيما بعد المقر «الإدارى لجامعة عين شمس».

sharif mahmoud

وظل هذا القصر مغلقا بعد انتقال وزارة الخارجية المصرية إلى مبناها القديم فى ميدان التحرير حتى تقرر انتقال الأمانة العامة للجامعة العربية إليه.

وتحول القصر مع انتقال الامانة العامة للجامعة العربية إلى مبناها الحالى فى ميدان التحرير إلى متحف للعلوم، ثم هدم القصر منذ عدة سنوات، وبنى فى مكانه جراج متعدد الطوابق.

وأذكر أيضا أن عبد الرحمن عزام بك وقع اختياره - على أثر تعيينه أمينا عاما للجامعة العربية - على اثنين من الموظفين للعمل معه فى الأمانة العامة للجامعة عندما كانت تشغل حجرتين فى مبنى وزارة الخارجية القديم.

وكان الأول محمد وجيه، وهو دبلوماسى مصرى سابق كان قد أبعد عن العمل بوزارة الخارجية المصرية لزواجه من سيدة فرنسية، حيث كان القانون المصرى يحرم على الدبلوماسيين المصريين الزواج من أجنبيات.ومع تعيين وجيه فى الأمانة العامة للجامعة كلفه عبد الرحمن عزام بك بالعمل مديرا عاما لإدارتها.

وكان الآخر محمد وحيد الدالى ابن اخت عبد الرحمن عزام، وكان قد تخرج من قسم العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عندما اختاره خاله للعمل سكرتيرا خاصا له وكاتما لأسراره.

وظل محمد وحيد الدالى يعمل إلى جانب خاله طوال فترة عمله أمينا عاما للجامعة، وكان واحدا من القلائل الذين شهدوا عن قرب الكثير من الأحداث السياسية التي حاصرت مولد الجامعة العربية.

وتدرج الرجل بعد ذلك فى مناصب الأمانة العامة للجامعة حتى أصبح أمينا مساعدا للشئون السياسية، ثم مديرا لمكتب الجامعة العربية فى كندا.. وقد ترك عمله بالأمانة العامة للجامعة منذ عدة سنوات لبلوغه سن التقاعد.. أى الستين عاما.

ومحمد وحيد الدالى ــ كما قال لى خاله عبد الرحمن عزام من ـ عائلة وطنية مناضلة.. وفى رواية أنها تنتمى إلى قبيلة جهينه بالمملكة العربية السعودية، وقد هاجرت إلى مصر، وقد اشتهر أفرادها بشدة البأس والعنف والتطرف فى الوطنية.

وفى رواية أخرى أن حسين باشا الدالى الجد الأكبر لمحمد وحيد الدالى كان قائدا لفرقة اشتهرت أيام محمد على الكبير باسم الدالتية أو الانتحارية، وقد استعان محمد على الكبير بهذه

sharif mahmoud

الفرقة أثناء مذبحة المماليك، وبعد أن انتهت المذبحة خاف محمد على على نفسه من بأس هذه الفرقة فأغدق على أفرادها بأن أقطعهم مساحات واسعة من الأراضى، ثم قام بتفريقهم فى أنحاء البلاد حتى لا يتجمعوا ضده.

وأذكر أن محمد وحيد الدالى قام منذ عدة سنوات بنشر كتاب بعد تقاعده باسم «أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام باشا» كشف فيه بالوثائق أسراراً كثيرة فى قصة جامعة الدول العربية.

وفى رأيى أنه كان أمينا وصادقا، وكان دقيقا وموضوعيا فى غالبية ما أذاعه من تفاصيل وأسرار فى هذا الكتاب.

●●●

وتسأل.. كيف قامت جامعة الدول العربية، ومن هو صاحب فكرة إنشائها؟.. وهل صحيح أن انطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية فى حكومة ونستون تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية كان أول من اقترح على الحكومات العربية إنشاءها؟.. أى أن الجامعة العربية ولدت فى لندن؟

والجواب، هو أن انطونى إيدن كان فعلا لأسباب سياسية أول من أعطى الضوء الأخضر للحكومات العربية بأن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ستساند تحقيق أمانى الشعوب العربية فى التجمع والوحدة.. وأنه فى الحقيقة كان يأمل أن تكون هذه الوحدة تحت سيطرة بريطانيا بواسطة عملائها فى منطقة الشرق الأوسط.

وكان تصوره الذى كشفت عنه الوثائق السرية لوزارة الخارجية الانجليزية أن يتحقق من خلال هذه الوحدة العربية مشروع الهلال الخصيب الذى يضم شرق الأردن والعراق وسوريا وربما لبنان أيضا.

ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن نورى السعيد كان يرى استبعاد دول شمال أفريقيا من التجمع العربى الذى اقترحه انطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية وأنه كان يعارض أيضا انضمام مصر إلى هذا التجمع العربى.. كما أنه كان يرى عدم انضمام المملكة العربية السعودية إليه أيضا.

وبمعنى آخر.. كان يريدها جامعة عربية هاشمية فى مواجهة مصر والمملكة العربية السعودية. وكان الملك عبد العزيز آل سعود أول من عرف بتفاصيل مؤامرة نورى السعيد بالاتفاق مع

sharif mahmoud

انطونى إيدن على الجامعة العربية قبل إنشائها مما جعله يتردد كثيرا قبل أن يوافق على توقيع بروتوكول الاسكندرية الذى تم الاتفاق فيه على إنشاء الجامعة.

وتردد فى هذه الصدد، أن الشيخ حافظ وهبة وهو من مستشارى الملك عبد العزيز ومن أصل مصرى، ولد فى إحدى قرى محافظة الشرقية، وكان يعمل وزيرا مفوضا للملكة العربية السعودية فى لندن ـ كتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود أكثر من تقرير حول هذا الموضوع.

والثابت، أن مصر نجحت فى فرض قيام الجامعة العربية بالصورة التى فتحت المجال أمام كل الدول العربية المستقلة، وليس للدول التى كانت تحت حكم الهاشميين وحدهم للانضمام إليها.

وأثار ذلك حفيظة نورى السعيد الذى لم يتوقف لحظة واحدة عن التآمر ضدها حتى بعد قيامها!

وكان الصراع الرهيب والمتواصل الذى دار بينه وبين المرحوم عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية بعد إنشائها.

ويكشف عبد الرحمن عزام باشا فى الجزء الأول من مذكراته السرية ــ التى قمت بإعدادها ونشرها فى كتاب صدر عام ١٩٧٨، وكان رحمه الله قد قام بمراجعة أصول هذا الكتاب قبل وفاته ـ عن حقائق مثيرة فى قصة الجامعة العربية، وهو يقول فى أحد فصول هذه المذكرات:

« عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية، ومع دخول إيطاليا الحرب إلى جانب الألمان توقع كثيرون أن تدق هذه الحرب أبواب بلادنا..وأخذت المعارك تشتد بشراسة وضراوة على أرض الصحراء الغربية..وعندما اقتربت قوات المارشال روميل من الاسكندرية استعد الانجليز، وكانوا قد أقاموا خطوط دفاعاتهم فى منطقة العلمين، للانتقال من القاهرة إلى فلسطين.. واقترح بعض القواد الانجليز على تشرشل أن يكون الانسحاب إلى الخرطوم فى السودان.

وفى تلك الأيام، كانت غالبية شعوب الأمة العربية لا تزال تحت سيطرة الدول الاستعمارية، وكانت القوات البريطانية تحتل منطقة قناة السويس، كما كانت تتخذ من منطقة الحبانية فى العراق قاعدة لها، وكانت تسيطر على ميناء عدن عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى، وتفرض إرادتها على منطقة الخليج العربى.. وكانت دول شمال أفريقيا محتلة هى الأخرى.

وارتفعت بعض الأصوات الوطنية فى العالم العربى تطالب بانتهاز الفرصة للحصول على بعض التصريحات من الحكومة البريطانية أثناء الحرب لدعم وجهة النظر العربية فى« قضية

sharif mahmoud

وقيل إن موشى ديان كان ضابطا فى هذا الفيلق اليهودى، وأنه اشترك فى القتال ضد العراقيين!..ومع هزيمة الجيش العراقى، فشلت ثورة رشيد عالى الكيلانى التى كان من أهم أهدافها العمل على تحقيق الوحدة العربية والمساعدة على تحرير فلسطين واستقلال الدول العربية التى كانت لا تزال تحت الاحتلال البريطانى.

واستطرد المرحوم عبد الرحمن عزام باشا فى مذكراته السرية يقول:

«ليس سرا، أن فكرة إنشاء الجامعة العربية خرجت لأول مرة فى لندن، وأن انطونى إيدن كان هو الذى أوحى إلى الدول العربية بإنشاء هذه الجامعة عندما كان وزيرا للخارجية فى حكومة تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولا أخفى أننى تحمست كثيرا لفكرة إنشاء هذه الجامعة، وكان فى رأى البعض أن الانجليز أرادوا باقتراحهم إنشاء هذه الجامعة امتصاص الثورة التى انتابت مشاعر الجماهير التى اشتد حماسها مع الانتفاضة الوطنية فى العراق من أجل تحقيق أهدافها فى الوحدة العربية والاستقلال.. ولكننى اختلف مع أصحاب هذا الرأى، فقد كانت الوحدة العربية هدفا تعمل الجماهير العربية على تحقيقه منذ سنوات طويلة وكان يقينها أن لا سبيل لها لتحقيق مطالبها الوطنية بدون التضامن والوحدة بين الشعوب العربية.

وكان فى رأيى.. أنه إذا كان الانجليز قد بادروا بطرح فكرة إنشاء الجامعة العربية إلا أن هذه الجامعة ماكان فى وسعهاولم يكن ممكنا أن تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على إنشائها، وأن على العرب أن يلتقطوا الفكرة، وأن يستغلوا مبادرة الانجليز باقتراح إنشاء الجامعة العربية، حتى إذا ما تحقق حلم إنشائها، وأصبحت حقيقة ملموسة، أمكن للعرب تطويرها لتكون أداة لتحقيق مطالبهم الوطنية.

وبمعنى آخر.. كانت الجامعة العربية فى رأيى خطوة على طريق الوحدة العربية..!

وكان يقينى أن فى وسع الأمة العربية أن تطور هذه الجامعة لتصبح أداة اتصال وكفاح فى سبيل تحقيق الأهداف القومية لمختلف شعوبنا العربية.

واستطرد عبد الرحمن عزام باشا فى صراحة متناهية قائلا:

«تتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن انطونى إيدن أدلى فى يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٤٠ بتصريح قال فيه بالحرف الواحد:

sharif mahmoud

«إن كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن، وهم يأملون منا المساندة فى تحقيق هذه الوحدة.. لذلك لا يجوز لنا أن نهمل أى دعوة يوجهها إلينا أصدقاؤنا العرب فى هذا الصدد.. ويبدو لى أنه من الطبيعى، وأنه من الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية والروابط السياسية أيضا بين الدول العربية.. وعليه ستساند حكومة جلالة الملك مساندة تامة أى مشروع تتم الموافقة عليه فى هذا الصدد».

كان هذا التصريح من انطونى إيدن هو البداية.. ومرت الأيام حتى كان يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ عندما وجه أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى من حزب المحافظين سؤالا إلى وزير الخارجية البريطانية عما إذا كانت بريطانيا قد اتخذت أى خطوة لتحقيق التعاون السياسى والاقتصادى المنشود بين الدول العربية.

وكان واضحا أن النائب البريطانى قد وجه هذا السؤال بإيعاز من انطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية حتى يتيح له الفرصة للإدلاء بتصريح جديد حول هذا الموضوع.

إنه إسلوب برلمانى معروف، وقد جرت عادة الانجليز على إتباعه.

وقال انطونى إيدن ردا على السؤال المتفق عليه:

«إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى أية حركة بين العرب تهدف إلى تعزيز الوحدة الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية فيما بينهم، ولكن من الواضح أن الخطوة الأولى فى هذا الصدد يجب أن يقوم بها العرب انفسهم».

والثابت أنه لم يمض أكثر من خمسة أسابيع على هذا التصريح حتى وقف المرحوم مصطفى النحاس باشا، وكان رئيسا لوزراء مصر، فى مجلس الشيوخ المصرى ليلقى بيانا عن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية.. قال فيه طبقا لما ورد فى مضبطة مجلس الشيوخ المصرى بالحرف الواحد:

«منذ أن أعلن المستر إيدن تصريحه، قمت بالتفكير فى الموضوع طويلا، ورأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية، هى أن تتداول الحكومات العربية فى هذا الموضوع.. وقد انتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال على

sharif mahmoud

حدة، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت السبيل إلى ذلك، ثم تدعوهم جميعا إلى مصر فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية فى جبهة متحدة بالفعل.. فإذا تم التفاهم أو كاد، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برئاسة الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع لاتخاذ اللازم من القرارات حتى تتحقق الأغراض التى تنشدها الأمة العربية»

كان هذا هو التصريح الذى أدلى به المرحوم مصطفى النحاس باشا فى مجلس الشيوخ المصرى.

وقيل أن انطونى إيدن كان قد أرسل برقية إلى اللورد كيلرن السفير البريطانى فى القاهرة فى تلك الأيام يطلب إليه - قبل أن يلقى مصطفى النحاس باشا بهذا البيان - أن يوحى إلى رئيس الوزراء المصرى القيام بمشاورات مع المسئولين فى الحكومات العربية حول إنشاء هذه الجامعة العربية، وأن ممثلى بريطانيا فى العراق وسوريا ولبنان والسعودية وشرق الأردن قد تلقوا برقيات مماثلة من وزير الخارجية البريطانية حتى يعملوا على حث حكومات هذه البلاد على الاشتراك فى هذه الاجتماعات.

●●●

هذا ما سجله المرحوم عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام للجامعة العربية فى صفحات مذكراته السرية، وهو اعتراف صريح وواضح بأن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية خرجت فى بادىء الأمر من لندن.. ولا يسعنى إلا أن أوضح حقيقة تاريخية هامه ، وهى أن الشعور المعادى لبريطانيا كان يتزايد فى المنطقة العربية، وكان فى تصور القوى الوطنية أن انطونى إيدن أراد بتصريحه فى يوم ٢٩ مارس ١٩٤٠ أن يهدىء من حدة هذا الشعور المعادى حتى لا يتعرض المجهود الحربى للحلفاء للخطر..!

ولكن حدث قبل أن يلقى انطونى إيدن بتصريحه أن أذاع نورى السعيد ما وصفه بالكتاب الأزرق، الذى كان عبارة عن رسالة وجهها إلى مستر كايسى - الوزير البريطانى المفوض لمنطقة الشرق الأوسط، - وفى هذه الرسالة اقترح تنفيذ مشروع يرمى إلى إنشاء جامعة دول عربية تضم العراق وشرق الأردن وسوريا وربما لبنان..وهو المشروع الذى عرف فيما بعد باسم مشروع «الهلال الخصيب»..

sharif mahmoud

ومن هنا كان رأيي، ورأى الكثيرين من المشتغلين بالشئون العربية أن انطونى إيدن لم يكن مخلصا فى حديثه عن الأمانى العربية فى التجمع والوحدة، وأنه كان فى تصريحه يعنى مشروع الهلال الخصيب كما اقترحه نورى السعيد.

ولفت انتباهى التوقيت الذى أدلى به انطونى إيدن بتصريحه، فقد كان فى اليوم التالى لاضطرار نورى السعيد - وكان رجل بريطانيا القوى فى العراق - إلى تقديم استقالته من رئاسة الحكومة العراقية على أثر أزمة وزارية حول تفسير بنود المعاهدة العراقية - الانجليزية.

وبمعنى أخر.. استقال نورى السعيد من رئاسة الحكومة العراقية فى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٤٠ ليدلى انطونى إيدن بتصريحه الذى وصفه بعض السياسيين باسم التصريح «المخدر» فى اليوم التالى!

وقال بعض المراقبين إنه كان فى تصور انطونى إيدن أنه بهذا التصريح يمكن أن تطمئن الشعوب العربية على مستقبلها بعد الحرب العالمية الثانية.. وأراد فى نفس الوقت أن يقول لنورى السعيد، إن حكومة صاحب الجلال البريطانية تساند مشروع الهلال الخصيب الذى اقترحه.

وكان فى رأيى أن هذا التصريح الذى أدلى به وزير الخارجية البريطانية لا يخرج عن كونه نوعاً من المزايدة السياسية التى أراد بها أن يرضى أطرافاً عربية كثيرة، وأنه مناورة اقتضتها ظروف الحرب بين الحلفاء ودولتى المحور.

وبالتالى، لا يمكن أن يقال إن فكرة إنشاء جامعة الدول العربية بالصورة التى أصبحت عليها، ولدت فى لندن.

وتكشفت الحقائق، وثبت بالدليل القاطع أن نورى السعيد كان يتآمر فى مباحثاته مع زعماء الدول العربية ضد إحياء الوحده العربية فى صورة جامعة الدول العربية.

إنه لم يكن مؤمنا بهذه الجامعة، وكان فى رأيه الذى لم يتغير لحظة واحدة أن جامعة الدول العربية هى وحدها التى يمكن أن تقوم تحت راية مشروع الهلال الخصيب.

وهو لم يكن مقتنعا بعروبة مصر أو بأهمية انضمام دول شمال أفريقيا إلى هذه الجامعة.. وتلك هى الحقيقة..وكان الرئيس شكرى القوتلى أحد الذين اكتشفوها، وقد تحدث عنها صراحة أثناء حديث جرى بينه وبين المرحوم عبد المنعم مصطفى الأمين العام المساعد للجامعة للشئون السياسية، وكان عبد الرحمن عزام باشا قد أوفده فى مهمة فى جنيف التقى أثناءها بالرئيس

sharif mahmoud

القوتلى حيث كان يعيش بعد أن أفرج حسنى الزعيم عنه بعد انقلابه العسكرى على نظام الحكم فى سوريا وكان شرطه أن يغادر شكرى القوتلى سوريا ليعيش فى أوروبا.

إن الحديث مسجل فى تقرير رفعه الأمين العام المساعد إلى المرحوم عزام، وتوجد صورة منه فى ملفات الأمانة العامة للجامعة القديمة.. وأظن أن الرئيس شكرى القوتلى قد أشار إلى هذه الحقيقة فى مذكراته السياسية التى كتبها قبل وفاته فى باريس.

وفى هذا الحديث يقول الرئيس القوتلى بالحرف الواحد:

«جرت لى فى عام ١٩٤٢ مباحثات مع نورى السعيد حول فكرة تضامن العالم العربى وضرورة تنظيم تعاونه وتوثيق روابط شعوبه وأقطاره.. واتفقنا على أن يعد كل منا مشروعا بإنشاء الإدارة التى تقوم على تحقيق هذه الأغراض، فأخذت فى وضع مشروع واسع النطاق بعيد المدى يحقق أهداف الأمة العربية فى التعاون والعزة والقوة، كان تصورى فيه أن الوحدة أو الجامعة العربية تتناول العالم العربى من مراكش حتى المحيط الهندى.. ثم تقابلنا بعد ذلك بأيام وأطلعت نورى السعيد باشا على مشروعى فلم يستحسنه، قائلا بالحرف الواحد:

«إنه مشروع خيالى.. وما شأننا وشأن عرب شمال أفريقيا؟.. إن لهم مشاكلهم الخاصة وأوضاعهم التى لا تعنينا.. وما شأننا ومصر ذات الوضع الذاتى الذى يبعدها عن العروبة والعالم العربى».

قلت له: إذن ماذا تعنى بالاتحاد العربى وتعاون الأمة العربية؟

قال: أعنى بذلك العراق وسوريا وشرق الأردن وفلسطين وربما لبنان، فإنى أرى أن يقوم بين هذه البلاد القريبة المتجانسة رباط سياسى يوحدها فى الكثير من شئونها وينتهى إلى إندماجها فى كتلة واحدة لا يشترك فيها ابن سعود.

قلت له: إن سوريا لا تريد الاتجاه الآن صوب الخليج، ولكن آمالها وأمانيها متجهة صوب البحر المتوسط وصوب مصر، وكيف تنشأ جامعة عربية لا تشترك فيها مصر ذات الماضى المجيد والحاضر المزدهر والمستقبل الملىء بالإمكانيات، وإن سوريا فضلا عن ذلك لا تريد ربط مصائرها بعجلة الهاشميين أو بعجلة الامبراطورية البريطانية لأنها تتطلع نحو استكمال استقلالها وأسباب سيادتها.

وهكذا كان رأى شكرى القوتلى الصريح والواضح! ■

sharif mahmoud

● الملك فاروق والنحاس باشا فى موكب الملك لصلاة الجمعة، وكانت أول مرة عندما قرر الملك صلاة الجمعة فى مسجد قيسون مع الزعماء العرب، ولم يصطحب معه رئيس الوزراء!

● علوبة باشا كلفه الملك بعقد مؤتمر للوحدة العربية بالقاهرة

● رشح النحاس باشا الدكتور محمد صلاح أميناً عاماً للجامعة العربية. ويرى فى حديث مع توفيق السويدى رئيس وفد العراق حول الوحدة العربية.

sharif mahmoud

ارادوها جامعه بقبعه انجليزية .. ولكن !

● الملك عبد الله عند وصوله إلى القاهرة بطائرة انجليزية

الفصل الثانى

2

- نورى السعيد يرد على دعوة مصر باعلان تفاصيل مشروع سوريا الكبرى
- بريطانيا تطلب من النحاس باشا التوسط بينها وبين زعماء سوريا ولبنان
- فاروق والنحاس يتنافسان للدفاع عن مطالب سوريا ولبنان عند ديجول

sharif mahmoud
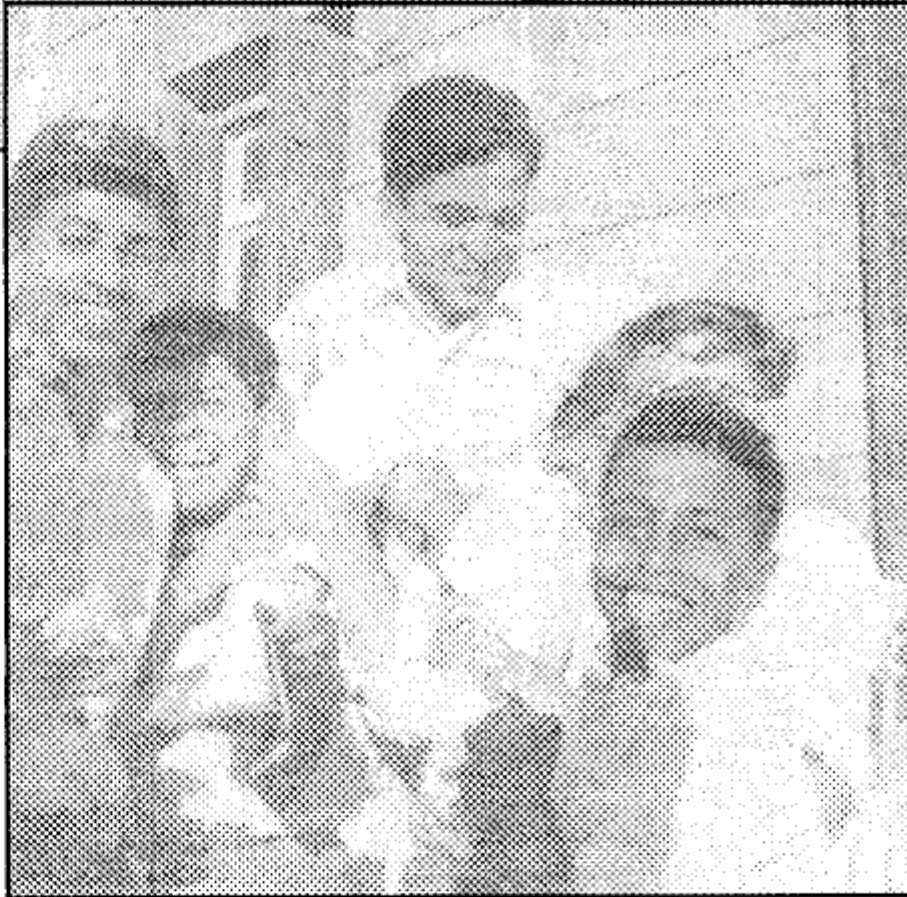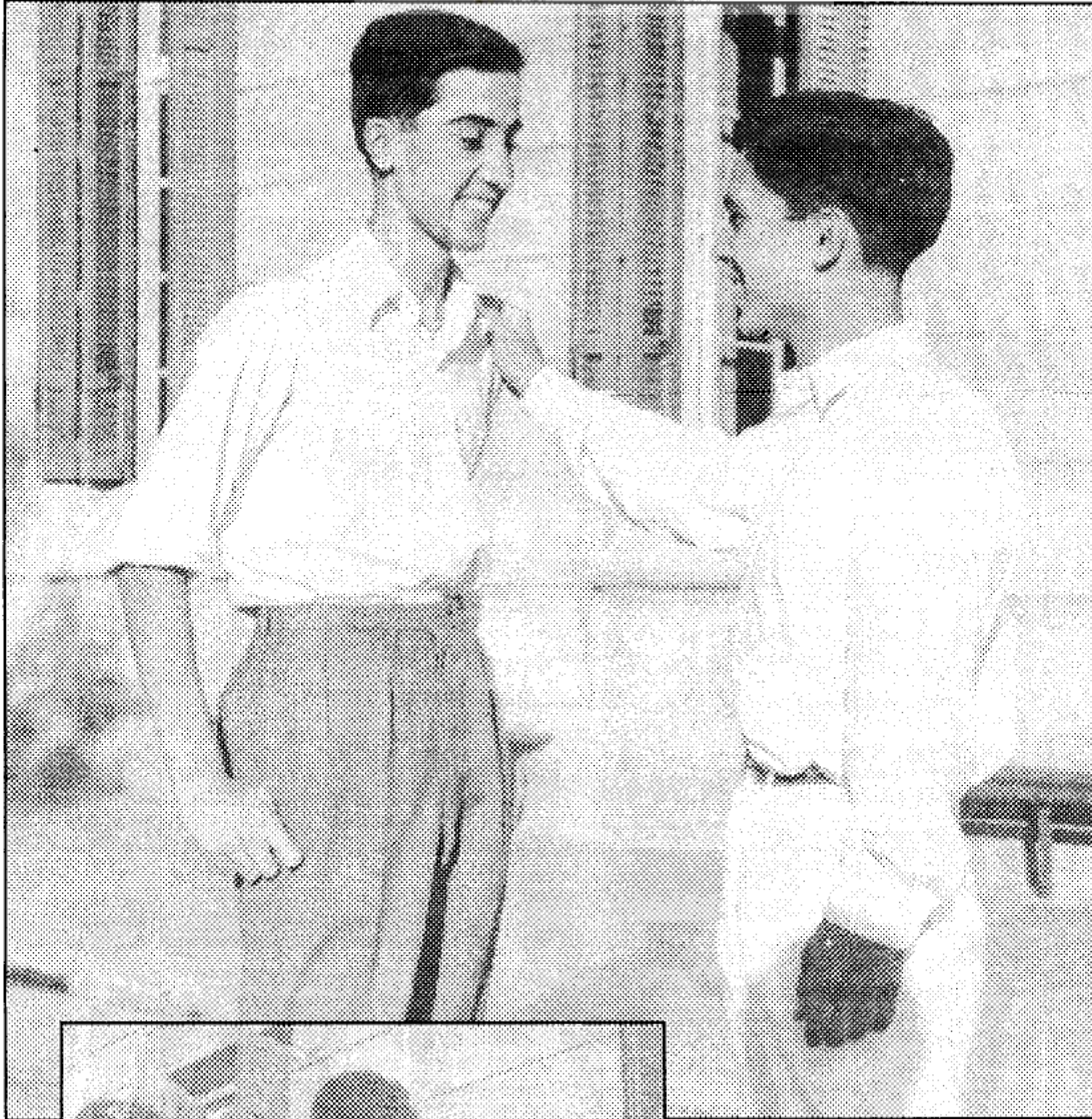
صورتان نادرتان

للملك حسين فى الإسكندرية

عندما كان يدرس فى كلية فكتوريا بالإسكندرية والصورتان من مجموعة من الصور التقطها المؤلف بنفسه للملك حسين (الأمير حسين فى ذلك الوقت) الذى كان صائماً رمضان وقد اضطر لقطع دراسته عندما استدعى إلى عمان على أثر اغتيال جده الملك؛ عبد الله فى القدس..

sharif mahmoud

اشتدت المنافسة بين الملك فاروق ومصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية حول تبنى فكرة إنشاء جامعة الدول العربية.

أراد كل منهما أن يكون له الفضل فى جمع كلمة الدول العربية المستقلة للاتفاق على إقامتها.

وكان تصور الملك فاروق هو أن تكتل الدول العربية فى هذه الجامعة يمكن أن يكون تحت مظلة أى نوع من التجمع الإسلامى قبل أن يكون تجمعا عربيا لـلاستفادة منه فى الدعوة لمبايعته خليفة للمسلين!

وكان النحاس باشا يرى فى نفس الوقت أن يتحفظ العرب تجاه التصريحات التى أدلى بها انطونى إيدن أمام مجلس العموم البريطانى حول موضوع الوحدة العربية.

وكان فى رأيه ـ كما كان فى رأى الكثيرين من زعماء الحركة الوطنية العربية أيضا ـ أن دعوة وزير الخارجية البريطانية مشوبة.. وأن الواجب القومى والوطنى يحتم مواجهتها بحذر شديد!

وقال بعض زعماء العرب إن انطونى إيدن يهدف من وراء تصريحاته إلى تحقيق أكثر ن هدف فى وقت واحد منها:

أولا: محاولة كسب تعاطف وتأييد الحركات الوطنية فى البلاد العربية إلى جانب الحلفاء بعد التجربة المريرة التى واجهتها بريطانيا عندما قامت ثورة رشيد على الكيلانى فى العراق فى شهر مايو سنة ١٩٤١.

ثانيا: القضاء على ما كان متبقيا من نفوذ تركيا فى منطقة الشرق الأوسط، بالرغم من أن تركيا كانت تقف على الحياد، ولم تشترك فى الحرب العالمية الثانية.

ثالثا: أن تتزعم انجلترا حركة الوحدة العربية بالعمل على السيطرة عليها بعد قيامها بواسطة عملائها العرب فى القاهرة وبغداد.

رابعا: مساندة حكومة نورى السعيد رئيس وزراء العراق فى تلك الأيام ومساعدته على تزعم حركة قيام هذه الوحدة العربية.

وكان العراق قد أعلن فى يوم ١٦ يناير سنة ١٩٤٣، أى قبل أن يدلى انطونى إيدن بتصريحاته

sharif mahmoud

الجديدة بعدة أسابيع حالة الحرب بين العراق ودولتى المحور، بينما اكتفت القاهرة بإعلان قطع العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الدولتين.

وكان تصور إيدن هو أن فى وسع نورى السعيد أن يفرض سيطرة على جامعة الدول العربية بعد إنشائها.

وكما قال أحد الزعماء الوطنيين العرب فى تلك الأيام:

«كان إيدن يريدها وحدة عربية تلبس قبعة مرسوم عليها العلم البريطانى.. أى برنيطة انجليزية!

وأراد الملك فاروق استغلال الموقف لصالحه، وكان أن استدعى محمد على علوبة باشا، وهو من الوزراء السابقين لمقابلته، وطلب إليه ـ دون أن يستشير رئيس حكومته، وهو النحاس باشا ـ الإعداد لعقد مؤتمر عربى فى القاهرة لمناقشة موضوع الوحدة المنشودة.

وكان محمد على علوبة باشا معروفا بحماسه للعروبة والإسلام، وبعلاقاته وصداقاته مع الكثيرين من زعماء البلاد العربية.

كما أوفد فى أوائل شهر مارس سنة ١٩٤٣ فؤاد أباظة باشا رئيس الجمعية الزراعية الملكية المصرية فى جولة فى بعض العواصم العربية لاستطلاع رأى حكوماتها والمسئولين فيها حول ما يجب أن تكون عليه صورة التجمع العربى الذى اقترحه وزير الخارجية البريطانية.

وفجأة وجه الملك فاروق ـ دون أن يستشير رئيس حكومته أيضا ـ الدعوة إلى الملك فيصل الثانى ملك العراق، ومعه الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق للقيام بزيارة رسمية للقاهرة.

وكان الأمير عبد الإله متزوجا فى تلك الأيام من سيدة مصرية من عائلة الطرابلسى، وكانت تربطه صداقات مع الكثيرين من الشباب المصريين من أولاد العائلات الكبيرة الذين كانوا يدرسون معه فى كلية فكتوريا الانجليزية بالاسكندرية.

إنها نفس الكلية التى درس فيها الملك حسين عاهل الأردن، وأمضى فيها عدة سنوات!

وفى أواخر شهر مارس سنة ١٩٤٣ وصل إلى القاهرة جميل المدفعى باشا ـ وهو من رؤساء الحكومات العراقية السابقين ـ للاتفاق على ترتيبات زيارة ملك العراق للقاهرة، وكان بصحبته تحسين العسكرى بك وزير الداخلية فى الحكومة العراقية فى تلك الأيام، وكان يعمل وزيراً مفوضا لبلاده فى القاهرة قبل أن يستدعى إلى بغداد للاشتراك فى الحكومة العراقية كوزير للداخلية.

sharif mahmoud

وانتهز النحاس الفرصة لاستطلاع رأيهما حول موضوع الوحدة العربية.. وقال جميل المدفعى للنحاس باشا صراحة.. «إن الموضوع جرت حوله مناقشات كثيرة فى بغداد، وكان فى رأى نورى السعيد أن يعقد مؤتمر تمهيدى يضم ممثلين عن الدول العربيه لدراسته والاتفاق على الصورة التى يجب أن تكون عليها هذه الوحدة على أن يضم المؤتمر عناصر حكومية، وأخرى غير حكومية..وبمعنى آخر.. أن يكون هذا المؤتمر حكوميا وشعبيا فى نفس الوقت.

وسأل النحاس: هل هذا هو الرأى الرسمى للحكومة العراقية؟

وكان رد جميل المدفعى باشا بالحرف الواحد:

«إنه رأى نورى السعيد باشا، وأظن أن الحكومة العراقية توافق عليه.

ورفض النحاس باشا وجهة النظر العراقية بشدة، وقال لجميل المدفعى باشا بنفس الصراحة:

«إن فى رأيى، وفى رأى الحكومة المصرية، أن يكون التجمع المنشود فى صورة وحدة عربية خالصة، على أن تتزعم مصر الدعوة لإقامتها»

وأراد النحاس باشا أن يقطع الطريق أمام تدخل أى أطراف أخرى، وخاصة الملك فاروق، فتوجه فى نفس الأسبوع إلى مجلس الشيوخ المصرى حيث أجاب على سؤال وجهه إليه أحد أعضاء المجلس حول ما تم فى موضوع الوحدة العربية قائلا بالحرف الواحد:

«فى رأيى، وفى رأى الحكومة المصرية أن تكون المباحثات على أسس رسمية.. أى بين الحكومات»

واستطاع النحاس باشا بهذا التصريح، أن يحتفظ لنفسه وللحكومة المصرية بالمبادرة فى قيادة الدعوة لإقامة التجمع العربى، وأن يسحب ـ كما قال أحد زعماء حزب الوفد فى تلك الأيام ـ «السجادة» من تحت أقدام نورى السعيد الذى كان يسعى لإقامة الوحدة العربية تحت راية الهاشميين وحدهم! وكان معارضا لانضمام دول شمال أفريقيا، ومصر والسعودية إلى هذه الوحدة..

وانتهز حزب الوفد الفرصة، فأوعز إلى الصحف الوفدية بأن تطلق على النحاس باشا اسم: زعيم القضية العربية!

واستمر النحاس باشا فى اتصالاته بالزعماء السياسيين العرب الذين كانوا يتوافدون على القاهرة فى مناسبات مختلفة.

وجاء إلى القاهرة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٣ سعد الله الجابرى رئيس وزراء سوريا بعد

sharif mahmoud

الاستقلال وبصحبته جميل مردم وزير خارجيته لتقديم الشكر باسم الشعب السورى إلى الملك فاروق ردا على تهنئته بانتخاب شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية.

وانتهز النحاس باشا الفرصة لاستطلاع رأيهما حول موضوع الوحدة العربية.. وقال سعد الله الجابرى.. إن الجمهورية السورية بعد الاستقلال ترحب بالانضمام إلى أى تجمع عربى تشارك فيه مصر.

ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن الحكومة البريطانية طلبت إلى النحاس باشا أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد توليه رئاسة الحكومة المصرية فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، بعدة أشهر- التوسط بينهما وبين أعضاء الحركة الوطنية فى كل من سوريا ولبنان.

كانت مشاعر الوطنيين فى سوريا ولبنان قد التهبت حماسا فى تأييدها لثورة رشيد عالى الكيلانى فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٤١، وعندما فشلت هذه الثورة، لم تستسلم الحركة الوطنية فى البلدين. وتحركت للمطالبة بالتخلص من النفوذ الفرنسى، وتحقيق سيادتها واستقلالها.

وكان تخوف الحكومة البريطانية كما قالت بعض تقارير وزارة الخارجية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، من احتمال اندلاع ثورة شعبية فى البلدين، وكان من الممكن أن يؤدى تدهور الموقف فيهما إلى تهديد المجهود الحربى للحلفاء.

وأنقل من أوراقى القديمة حديثاً للسفير أحمد رمزى الذى عمل ست سنوات كاملة قنصلا عاما لمصر فى بيروت..وكان رحمه الله متزوجا من كريمة المهندس عثمان محرم باشا وزير الأشغال العمومية فى حكومة النحاس باشا، وأشهر وزير للرى عرفته مصر. وكان النحاس باشا يثق فى السفير أحمد رمزى ويقربه إليه مما أثار حفيظة الملك فاروق ضده فأمر بإبعاده عن وزارة الخارجية ليعين فى منصب المدير العام لهيئة البريد، ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو أعيد إلى خدمة وزارة الخارجية المصرية، واختير للعمل كأول سفير لمصر بعد الثورة فى إيطاليا وكان فى مقدمة مهامه أن يكون عينا على الملك فاروق فى المنفى!

وأذكر أن السفير أحمد رمزى قال لى فى حديثه القديم، إنه تلقى فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٤٢ برقية بالشفرة من وزارة الخارجية المصرية تطلب إليه توجيه الدعوة باسم الحكومة المصرية إلى الشيخ بشارة الخورى من لبنان، وجميل مردم بك من سوريا لزيارة القاهرة، حيث يرغب النحاس باشا فى التشاور معهما فى بعض الشئون التى تتعلق بالأوضاع السياسية فى كل من سوريا ولبنان.. وكانت البرقية بتوقيع مصطفى النحاس باشا نفسه.

sharif mahmoud

وبادر الرجل بالاتصال بالشيخ بشارة الخورى وبجميل مردم بك وأبلغهما رغبة رئيس الحكومة المصرية فى لقائهما بالقاهرة.

ووافق الاثنان فورا على تلبية الدعوة، حيث رافقهما السفير أحمد رمزى فى رحلتهما إلى القاهرة بواسطة قطار الشرق الذى كان يخرج من محطة القاهرة للسكك الحديدية فى الساعة الخامسة بعد ظهر كل يوم، ويتجه شرقا حيث كان يعبر قناة السويس فوق كوبرى الفردان الذى دمرته الغارات الإسرائيلية أثناء عدوان عام ١٩٦٧، وكان يتجه إلى رفح عند الحدود المصرية الفلسطينية، ومنها إلى القدس، وإلى بيروت ودمشق، ثم يستمر فى رحلته شمالا إلى استانبول فى تركيا.

وكانت قيمة تذكرة السفر بالدرجة الأولى فى هذا القطار من القاهرة إلى بيروت لا تزيد على الخمسة جنيهات مصرية فى تلك الأيام!

وفى القاهرة استقبل النحاس باشا الشيخ بشارة الخورى وجميل مردم بك فى يوم ٩ يونيو سنة ١٩٤٢.

ثم تكررت الاجتماعات التى كان السفير أحمد رمزى باعتباره قنصلا عاما لمصر فى بيروت يشهدها بتعليمات من النحاس باشا.

وسأل النحاس باشا عن مقترحات الحركة الوطنية فى كل من البلدين من أجل إقامة نظام دستورى فيهما تمهيدا لتحقيق الاستقلال الكامل لكل منهما.

وقال جميل مردم إنه من الأفضل بالنسبة لسوريا الرجوع إلى الأوضاع الدستورية التى كانت بها قبل عام ١٩٣٩.. أى بإعادة رئيس الجمهورية المنتخب فى تلك الأيام، وإلى تعيين حكومة جديدة يختارها رئيس الجمهورية، على أن يلى ذلك إجراء انتخابات حرة، ثم التفاوض لعقد اتفاق مؤقت مع الحلفاء لفترة محددة حتى نهاية الحرب تمهيدا للوصول إلى اتفاق نهائى يؤكد استقلال سوريا وسيادتها.

وقال الشيخ بشارة الخورى إنه بالنسبة للبنان فإن الأوضاع فيه تختلف عنها فى سوريا حيث إن فى رأى الحركة الوطنية فيه أن تعيين رئيس الجمهورية السابق لم يكن دستوريا كما أن المجلس النيابى فيه لم يكن يمثل جميع طوائف وجماعات الشعب اللبنانى تمثيلا سليما. ولذلك فإن من الأوفق البحث عن أسلوب أكثر بساطة على أن يكون عمليا فى نفس الوقت لإيجاد وضع شرعى ودستورى، وهذا لا يكون إلا إذا كان التمثيل السياسى وطنيا فعلا، ويتفق مع الواقع

sharif mahmoud

اللبنانى.

وقال الشيخ بشارة إنه من الواجب أن يوضع فى الاعتبار أن ثلاثة أرباع الشعب اللبنانى من السنة والموارنة، وأن هاتين الطائفتين تؤيدان الكتلة الدستورية التى تعتبر المستفيدة الوحيدة من تأييد المسلمين والمسيحيين الموارنة، ولما كانت هذه الكتلة قد استبعدت بأسلوب تعسفى من الحكم، فإنه لا يمكن الوصول إلى حل للمشكلة الأساسية ما لم توافق عليه هذه الكتلة وتسانده.. وبمعنى آخر إن تجاهل هذه الكتلة الدستورية يعنى ان أى حل لا يمكن أن يكون سليما أو دستوريا، وبالتالى لن تقبله جماهير الشعب اللبنانى، واتفق الاثنان الشيخ بشارة الخورى وجميل مردم على أن هذا يكفى لتحقيق سيادة واستقلال كل من سوريا ولبنان.

وقال لى السفير أحمد رمزى فى شهادة للتاريخ إن النحاس باشا تحمس بكل قوة لوجهة نظر الحركة الوطنية فى البلدين الشقيقين، وقال للزعيمان السورى واللبنانى إنه يعتبر تنفيذ وجهة نظرهما من مطالب الشعب المصرى، وسيعمل على تنفيذها!

وشهدت القاهرة فى تلك الأيام عدة اجتماعات اشترك فيها الجنرال كاترو ممثل حكومة فرنسا الحرة التى كان يتزعمها الجنرال شارل ديجول مع زعماء سوريا ولبنان.

وحققت الوساطة المصرية نجاحا كبيرا، فقد انتهت المفاوضات التى دارت بين الجانبين بموافقة الجنرال كاترو نيابة عن الجنرال ديجول والحكومه البريطانية على تنفيذ مقترحات الحركة الوطنية فى كل من سوريا ولبنان بالكامل.

●●●

وتكشف وثائق وزارة الخارجية البريطانية بعض التفاصيل عن دور النحاس باشا أثناء هذه المفاوضات.

ويقول أحد تقارير السفارة البريطانية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن:

«قام النحاس باشا بإبلاغ السفير البريطانى نص مقترحات الحركة الوطنية فى سوريا ولبنان، وطلب أن تقوم الحكومة البريطانية بدعم هذه المقترحات بالموافقة على الاستجابة لها بهدف تحقيق الاستقرار فى البلدين.

وعرف أن النحاس باشا استقبل الجنرال كاترو عدة مرات، وأنه كان يؤكد له فى كل مرة أن الحكومة المصرية تؤيد ما جاء فى مقترحات الحركة الوطنية فى سوريا ولبنان، وأنه لو كان فى موقف الشيخ بشارة الخورى أو جميل مردم ما كان يقبل أقل منها.

sharif mahmoud

وفى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٢ عقد لقاء بين الجنرال كاترو والزعيمين السورى واللبنانى.. وأعلن الجنرال الفرنسى فى هذا اللقاء استجابته من خلال الاتفاق مع الجنرال ديجول إلى مطالب الحركات الوطنية فى البلدين.

ولكن فجأة حاولت الحكومة البريطانية أن تعرقل هذه الاستجابة، وقيل إن نورى السعيد نصح الحكومة البريطانية بعرقلة الاتفاق بحجة تعارضه مع خطته التى كان قد وضعها مع انطونى إيدن لإحياء مشروع الوحدة العربية الذى كان يعمل على تنفيذه بحيث يضم شرق الأردن والعراق وفلسطين وسوريا وربما لبنان أيضا.

ولكن الإرادة العربية انتصرت فى النهاية واضطرت وزارة الخارجية البريطانية وكذلك الجنرال كاترو للاستسلام للمطالب الوطنية لكل من سوريا ولبنان!

وكان أن تمت الموافقة على التنفيذ الفورى لهذه المطالب بالكامل وبلا أى تغيير!

وكان فى رأى المشتغلين بالشئون العربية فى تلك الأيام أن صلابة النحاس باشا، وإصراره على استجابة حكومة فرنسا الحرة إلى هذه المطالب كان أحد عناصر النجاح التى حققها الزعيمان السورى واللبنانى أثناء مفاوضاتهما بالقاهرة!

وهكذا، عادت الحياة الدستورية إلى سوريا ولبنان، وتم انتخاب الرئيس شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية وعين سعد الله الجابرى رئيسا للوزراء، بينما وقع الاختيار على جميل مردم ليكون وزيرا للخارجية.

وفى لبنان انتخب المجلس اللنيابى الشيخ بشارة الخورى رئيسا للجمهورية، فكان أول رئيس للجمهورية فى عهد الاستقلال.

وكان أول قرار اتخذه الشيخ بشارة الخورى بعد انتخابه هو اختيار الزعيم اللبنانى رياض الصلح ليكون رئيسا للحكومة اللبنانية، التى أرادت أن تحرر الإرادة الوطنية بتعديل الدستور.

وكان فى رأى الصلح أنه لم يعد ممكنا أن يستمر العمل بالدستور القديم باعتباره دستورا وضع فى عهد الانتداب الفرنسى.

ولم تنتظر الحكومة اللبنانية، وبادرت بدعوة المجلس النيابى لمناقشة الموضوع واتخاذ قرار بشأنه.

واعترضت السلطات الفرنسية بحجة أن الحكومة اللبنانية ليس من حقها تعديل الدستور المعمول به.. أى الدستور الذى وضع فى عهد الانتداب من طرف واحد.

sharif mahmoud

وأصرت الحكومة اللبنانية على رأيها. وفى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقد المجلس النيابى جلسة تاريخية لمناقشة التعديلات الدستورية المقترحة.

وجاء رد السلطات الفرنسية فى يوم ١١ نوفمبر أى بعد ثلاثة أيام عندما أعلن المندوب السامى الفرنسى حل المجلس النيابى وتعطيل العمل بالدستور بموجب صلاحياته الانتدابية.

وأكثر من ذلك قامت السلطات الفرنسية أثناء الليل بالقبض على الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية وعلى رياض الصلح رئيس الوزراء، وعلى عدد من الوزراء أعضاء حكومته.. وكان من بينهم سليم تقلا وكميل شمعون وعادل عسيران.. كما ألقت القبض على الزعيم اللبنانى عبد الحميد كرامى!

وألقى بجميع هؤلاء الزعماء اللبنانيين فى سجن قلعة راشيا فى لبنان تحت الحراسة العسكرية المشددة.

وأثارت هذه الإجراءات ثائرة الشعب فى كل من سوريا ولبنان، واعتبرت الحركة الوطنية فى البلدين أن ما حدث يعد نكسة!

وخرجت الصحف فى مصر والعالم العربى تتهم فرنسا بخيانة قضية استقلال الشعب اللبنانى.

ولم ينتظر الملك فاروق، وفقرر أن يتدخل لإيجاد حل لهذه الأزمة.. حيث كان يعرف بالدور الذى لعبه النحاس باشا للوساطة بين الحركة الوطنية فى كل من سوريا ولبنان وبين الفرنسيين والانجليز.

وعرف أن الملك فاروق استدعى السفير البريطانى والوزير المفوض الأمريكى فى القاهرة لمقابلته حيث أبلغهما احتجاجه على تصرفات السلطات الفرنسية فى لبنان - وطلب إليهما لفت انتباه الحكومتين البريطانية والأمريكية إلى خطورة الإجراءات التى اتخذتها السلطات الفرنسية باعتقال زعماء الحركة الوطنية فى لبنان، وعلى رأسهم رئيس الجمهوريه

وأذكر حديثا للزعيم اللبنانى صائب سلام، وكان عضوا فى المجلس النيابى عن ذكرياته عن تلك الأيام قال لى فيه:

«هبت البلاد كلها، وتحركت المظاهرات الشعبية فى اتجاه المجلس النيابى فى ساحة النجمة.. وكان النواب قد تجمعوا فقاموا - على قلة عددهم، وكنت واحدا - منهم، بعقد جلسة قانونية نيابة عن جميع زملائهم، وأعد النواب عدة مذكرات تشرح تفاصيل العدوان الفرنسى لإرسالها إلى دول

sharif mahmoud

العالم، وإلى البلاد العربية، ثم قام أحد جنود جندرمة الشرطة من الوطنيين بإخفاء هذه المذكرات داخل ملابسه العسكرية حتى لا تقع فى أيدى الفرنسيين وقام باخراجها من مبنى البرلمان .

وتم فى هذه الجلسة تصميم العلم اللبنانى الذى يحمل رسم شجرة الأرز، وهو من تصميم سعدى الملا، وقام مصمم العلم بالتوقيع على رسمه بإمضائه، ثم هرب إلى خارج لبنان!

وفى نفس الليلة عقد المجلس النيابى اجتماعا ثانيا، ولكن فى بيتى بحى البسطة فى بيروت، وكان الاجتماع فى حماية الشعب الذى كان يزأر بالغضب، بينما كانت إحدى فرق الجنود السنغاليين التى جاءت بها السلطات الفرنسية تحاصر مكان الاجتماع.

وفى يوم ٢٢نوفمبر سنه ١٩٤٣تراجعت السلطات الفرنسيه عن موقفها ، وتم الافراج عن الشيخ بشاره الخورى وعن زملائه من زعماء الحركه الوطنيه اللبنانيه .

واراد الملك فاروق أن يؤكد دو ره فى حل هذه الازمه فأوفد بعثه رسميه برئاسه عمر فتحى باشا كبير ياورانه لبنان لتهنئه الشيخ بشاره الخورى بالافراج عنه .

وبقيت هذه البعثة التي كانت تضم عددا من كبار الصحفيين المصريين لمدة عشرة أيام ضيوفا علي الحكومة اللبنانية..

وحاول النحاس باشا أن يثير أزمة دستورية بين حكومته وبين الملك لتدخله لمباشرة في حل الازمة اللبنانية دون إستشارة حكومته ، الا أنه تراجع في آخر لحظة حتي لا يتسبب في فشل إتصالاته مع المسئولين في الحكومة اللبنانية حول موضوع الرحدة العربية.

وفي أوائل شهر يناير سنة ١٩٤٤ وصل الي القاهرة وفد لبناني رسمي برئاسة رياض الصلح رئيس الحكومة اللبنانية للشكر علي تهنئة الملك فاروق للرئيس اللبناني بمناسبة الافراج عنه وعن بقيية زعماء الحركة الوطنية اللبنانية..

وأنتهز النحاس باشا الفرصة ليسأل رياض الصلح عن رأيه في مشروع الوحدة العربية ..

وقال رياض الصلح أن لبنان يرحب بالإنضمام إلي أى تراجع علي أن يكون هذا التجمع عربيا، وليس إسلاميا بسبب ظروف التركيبه الإجتمعية والطائفية في لبنان..

وقام رياض الصلح بمناسبة زيارته للقاهرة بزراعة شجيرة أرز في ميدان عابدين الذي زصبح إسمه الآن ميدان الجمهورية ..

وأقيم في هذا المناسبة إحتفال كبير شهده عدد كبير من الزعماء العرب والمسئولين في الحكومة المصرية ..

sharif mahmoud

وتبحث الآن عن شجرية الأرز التي زرعها رياض الصلح في ميدان عابدين منذ ٥٥ سنة فلا تجد لها أى أثر ، وقيل أن الشجيرة التي إشتهرت بها لبنان تنمو فوق جباله التي تغطيها الثلوج في الشتاء ، لم تتحمل حرارة اقاهرة في الصيف ، وكان ان جفت ولم بق لها أى أثر الآن..

●●●

لم تمنع الأزمة الالبنانية النحاس باشا من الإستمرار في مباحثاته واتصالاته مع زعماء الدول العربية حول مشروع الوحدة العربية..

والذي أعرفه أن هذه الاتصالات استغرقت سبعة أشهر كاملة وبالضبط إبتداء من يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٣ حتي يوم ٦ فبراير سنة ١٩٤٤..

وشملت هذه المباحثات بصفة رسمية نورى السعيد رئيس وزراء العراق وتوفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن والشيخ يوسف ياسين وكان يعمل سكرتيرا خاصا للملك عبد العزيز آل سعود قبل أن يصبح وزير دولة للشئون الخارجية والسيد حسين الكبسى المبعوث الخاص للإمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن.

وكان السيد الكبسى قد وصل إلى القاهرة حاملا تعليمات صريحة وواضحة من الإمام يحيى تقول له: عليك أن تستمع دون أن تتكلم، وألا تدلى بأى رأى يلزمنا.. أى يمكن أن يكون ملزما لحكومة اليمن!

وشملت أيضا سعد الله الجابرى رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان.. كان هؤلاء الزعماء العرب يمثلون الدول العربية - التى كانت بالإضافة إلى مصر - دولا مستقلة فى تلك الأيام.

وقد أراد النحاس أن يتعرف على وجهة نظرهم لتحديد معالم مشروع التعاون فيما بينهم من أجل تحقيق الوحدة العربية:

■ وفى بادىء الأمر كان فى رأى غالبية هؤلاء الزعماء أن يشمل التعاون بين الدول العربية.

التعاون الاقتصادى، خاصة فيما يتعلق بالعملة والمواصلات والجمارك والتبادل التجارى بصفة عامة.

■ التعاون الثقافى والاجتماعى وخاصة فيما بتعلق بالتعليم.

ولكن المناقشات تطورت للاتفاق على إنشاء منظمة للدول العربية.. وكان رأيهم بالإجماع هو أن وجود هذه المنظمة يمكن أن يوثق الصلة بين الدول العربية الأعضاء فيها، وأن يحقق التعاون

sharif mahmoud

المنشود بينها.

وقام النحاس باشا فى تحرك إيجابى بعد أن انتهى من مشاوراته مع الزعماء العرب وبعد أن تفهم مختلف وجهات نظرهم بإرسال مذكرات رسمية عن طريق وزارة الخارجية المصرية إلى جميع الحكومات العربية المستقلة، وكان عددها ست دول بالإضافة إلى مصر.

وعرف أن النحاس باشا اقترح فى هذه المذكرات التى توجد صور منها فى الأرشيف القديم لوزارة الخارجية المصرية عقد اجتماع بالاسكندرية لممثلى هذه الحكومة العربية فى صورة لجنة تحضيرية لمناقشة ما يجب اتخاذه من قرارات بشأن موضوع الوحدة العربية.

وكان فى رأيه أن يعقد اجتماعات هذه اللجنة التحضيرية فى موعد يتم الاتفاق عليه خلال شهرى يوليو أو أغسطس سنة ١٩٤٤.

وكان فى رأى غالبية المراقبين السياسيين أن النحاس باشا استطاع بتحركه السريع تأكيد أهمية دور مصر فى دعم وتنفيذ أى مشروع للوحدة العربية.. وأهم من ذلك تأكيد ألا تجمع عربى بدون مصر.

ورحبت أربع دول عربية بهذه الدعوة، وهى العراق والأردن وسوريا ولبنان بينما لم تتلق الحكومة المصرية أى رد من المملكة العربية السعودية ومن اليمن!

وعرف أن عبد الرحمن عزام بك، وكان قد صدر مرسوم ملكى بتعيينه وزيرا مفوضا بوزارة الخارجية المصرية للشئون العربية أرسل بصفته الشخصية برقية إلى الملك عبد العزيز آل سعود، كما أبرق أيضا إلى الأمير فيصل يقترح عليهما عدم تخلف المملكة العربية السعودية عن الاشتراك فى اجتماع اللجنة التحضيرية.

كانت تربطه بالملك عبد العزيز آل سعود علاقة صداقة وطيدة منذ أن كان يعمل وزيرا مفوضا لمصر فى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٣٧، وكان الملك عبد العزيز يثق فيه، وفى آرائه، وفى حنكته السياسية وإيمانه العميق بالتضامن العربى.

وكان تخوف عزام كما قال فى برقيته للعاهل السعودى وإلى الأمير فيصل أن يحاول البعض استغلال تخلف السعودية عن الاشتراك فى الاجتماع المقترح فى الإساءة إليها والإدعاء عليها بأنها ترفض فكرة التضامن العربى.

وكانت هذه البرقية كافية لأن يستجيب الملك عبد العزيز للدعوة التى تلقاها من النحاس باشا، وكان أن قرر مشاركة حكومته فى اجتماعات اللجنة التحضيرية.

sharif mahmoud

وأرسل الملك برقية إلى النحاس باشا يرحب فيها بتلبية دعوته، ومتمنيا كما قال فى أن تكون اجتماعات اللجنة مباركة لصالح العرب وتوحيد صفوهم.

وكلف الملك عبد العزيز الشيخ يوسف ياسين ومعه الشيخ حافظ وهبة وزير السعودية المفوض فى لندن بالسفر فورا إلى القاهرة والمشاركة فى اجتماعات اللجنة التحضيرية.

وفى نفس الوقت كلف الإمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن السيد حسين الكبسى والسيد أحمد قاسم بمقابلة النحاس باشا فى القاهرة والاستماع إلى وجهة نظره التى دعته لتوجيه الدعوة لعقد اجتماعات اللجنة.

وكانت تعليمات الإمام لهما هى أن يستمعا دون إبداء أى رأى!

اقترحت المملكة العربية السعودية فى بادىء الأمر تأجيل موعد اجتماعات اللجنة التحضيرية للمزيد من المشاورات.

وأذكر حديثا جرى بينى وبين أحد الدبلوماسيين السعوديين من أعضاء الوفد السعودى فقد قال بالحرف الواحد:

«كان الملك عبد العزيز متخوفا بسبب ما كان يراوده من شكوك حول الأهداف التى كان انطونى إيدن يجرى وراءها عندما أدلى بتصريحاته حول مشروع الوحدة العربية.

وتأكدت هذه الشكوك عندما انتهز نورى السعيد فرصة امتداد المشاورات للاتفاق على تحديد موعد لانعقاد اللجنة التحضيرية، وخرج على العالم فى يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ بمشروع كاد أن يقضى على فكرة التجمع العربى، وهو المشروع الذى عرف بعد ذلك باسم مشروع الهلال الخصيب.. أو سوريا الكبرى.

ويقضى المشروع كما أذيع من بغداد بإقامة دولة هاشمية تضم شرق الأردن وسوريا والعراق وفلسطين ولبنان.

ونشرت الصحف الانجليزية فى لندن تفاصيل المشروع يوم ٢٤ أغسطس ١٩٤٤ ليثير ضجة اهتزت لها العواصم العربية بعنف.

وهاجمت الصحف المصرية المشروع وقالت إنه مغرض، وأنه كشف حقيقة ما كان انطونى إيدن يهدف إليه بتصريحاته حول مساندة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية لأى مشروع يقترح للتجمع العربى.

وتكلم الملك عبد العزيز آل سعود ليذيع تصريحا قال فيه إنه يعارض بشدة مشروع سوريا

sharif mahmoud

الكبرى، كما أنه لا يوافق على أن يترتب على قيام الوحدة العربية أن تستفيد دولة على حساب دولة أخرى.

وفى دمشق قال سعد الله الجابرى إن سوريا المستقلة غير مرتبطة بأى اتفاق مع أى دولة عربية أخرى، وأنها لا ترغب فى الارتباط إلا بما يجمعها مع بقية الدول العربية الأخرى.

وقال وزير خارجية لبنان إن بلاده تؤمن بالديمقراطية، ويهمها ألا تكون بؤرة للاستعمار أو منبرا لاستعمار الدول المجاورة.

واضطرت المفوضية العراقية فى القاهرة لأن تصدر بيانا رسميا نفت فيه أن حكومتها تفكر فى شيء من هذا القبيل.

وأدرك نورى السعيد لأول مرة أن مشروعه مرفوض وأن الرأى العام العربى لا يمكن أن يوافق عليه.

وتحرك النحاس باشا مرة أخرى وقام بالاتصال بالعواصم العربية لتحديد موعد جديد لاجتماعات اللجنة التحضيرية.

وبعد مشاورات مع الدول العربية تم فى النهاية الاتفاق على يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٤ لعقد اجتماعات اللجنة فى قصر انطونيادس بالاسكندرية.

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها أن النية كانت متجهة إلى دعوة ممثلين من مراكش وهو الاسم الذى كانت تعرف به المغرب، وأيضا من تونس والجزائر وليبيا للمشاركة فى اجتماعات اللجنة التحضيرية.

واتفق أيضا على دعوة ممثلين عن فلسطين للاشتراك فى أعمالها، إلا أن النحاس باشا تعرض لضغوط شديدة من السلطات الانجليزية والفرنسية، للحيلولة دون دعوة ممثلين عن دول شمال أفريقيا بالذات للمشاركة فى اجتماعات اللجنة.

وتقرر أن تقتصر الدعوة على ممثلى الدول العربية المستقلة بالإضافة إلى ممثل عن شعب فلسطين.

وعرف أن النحاس باشا تدخل لدى السلطات البريطانية للإفراج عن الزعيمين الفلسطينيين جمال الحسينى وأمين التميمى للمشاركة فى أعمال اللجنة، وكانت السلطات الانجليزية قد قامت باعتقالهما فى جزيرة سيشيل.

وكشفت الوثائق البريطانية القديمة أن الحكومة المصرية أرسلت أكثر من مذكرة إلى السفير

sharif mahmoud

البريطانى فى القاهرة تطلب إليه الاتصال بحكومته للعمل على الإفراج عنهما، إلا أن الحكومة البريطانية رفضت الاستجابة إلى كل محاولات النحاس باشا فى هذا الشأن، وأصرت على عدم الإفراج عنهما.

وأذكر أن اللجنة التحضيرية قد عقدت أول اجتماعاتها دون أن يشترك فيها أى ممثل عن شعب فلسطين، إلا أن اللجنة قررت فى اجتماعها الرابع الذى عقد فى يوم أول أكتوبر سنة ١٩٩٤ ضم الزعيم الفلسطينى موسى العلمى ليشترك فى أعمالها ممثلا لفلسطين فيها.

وأثار هذا القرار ضجة فى لندن، واتصل السفير البريطانى بالنحاس باشا ليقول له إن موسى العلمى لا يمثل حكومة فلسطين.

واضطر النحاس باشا فى مواجهة احتجاجات الحكومة البريطانية لأن يؤكد فى مذكرة رسمية بعث بها إلى السفارة البريطانية فى القاهرة أن العلمى سوف لا يشترك فى التصويت أو فى اتخاذ القرارات.

وأنقل على لسان السفير السورى محمد الفرا أنه سأل مرة موسى العلمى عن الحقيقة حول موقف الحكومة البريطانية من قرار اختياره ممثلا لفلسطين فى اجتماع اللجنة، ابتسم موسى العلمى وهو يقول له:

« تلقيت على أثر وصولى إلى القاهرة للمشاركة فى اجتماعات اللجنة التحضيرية بتفويض من جميع أحزاب فلسطين، دعوة لتناول الغداء مع رؤساء الوفود العربية على مائدة الملك فاروق وأثناء المأدبة فوجئت برئيس الوزراء المصرى مصطفى النحاس باشا، وهو يقول لى: لن نقبلك أثناء المناقشات كممثل لفلسطين، لكنك تستطيع الحضور، على أن تقول ما تريد بعد الانتهاء من وضع الميثاق» .

وسأل موسى العلمى: لماذا يا باشا؟

قال النحاس باشا بالحرف الواحد:

« إنهم الانجليز الذين يريدون هذا، ومن منا يستطيع مخالفة الانجليز!»

ويقول موسى العلمى: استأذنت فورا فى مغادرة مأدبة الغداء، لأتوجه مباشرة إلى مبنى السفارة البريطانية فى القاهرة، حيث طلبت مقابلة اللورد موين الوزير البريطانى المقيم لمنطقة الشرق الأوسط. وجاء الجنرال كلايتون وكان يعمل مديرا للمخابرات البريطانية لمقابلته ليسأله عن حقيقة ما سمعه من النحاس باشا، وهو يقول له:

sharif mahmoud

إذا صح فليس أمام إلا أن استقل مباشرة قطار الشرق الذى كان يغادر القاهرة بعد ساعتين لأعلن أمام الشعب الفلسطينى موقف الحكومة البريطانية وأسباب فشل مهمتى.

ولم يتفوه الجنرال كليتون بكلمة واحدة ولكنه غادر المكان بسرعة ليدخل إلى مكتب اللورد موين.

ومضى موسى العلمى يقول:

تصورت أنه ذهب إلى اللورد الانجليزى ليتشاور معه، ولكنه غاب أكثر من ساعة دون أن يرد على استفسارى.

ولما طال انتظارى لم أتردد فى اقتحام مكتب اللورد موين لأجد الجنرال كلايتون معه، وكانا يتشاوران حول ما يجب أن يجيبا به على.

قلت لهما: لم يبق سوى ساعة على موعد قطار فلسطين، فهل أفهم من هذا التأخير أنكم رفضتم مشاركة فلسطين فى مناقشات اللجنة التحضيرية.

وقاطعه اللورد موين قائلا:

لا.. لا أرجوك أن تنتظر قليلا ولو لبضع دقائق أخرى..

وخرج موسى العلمى وأغلق الباب وراءه وكان فى تصوره أن اللورد موين فى انتظار مكالمة هاتفية من لندن.

وبعد قليل جاءه الجنرال كليتون برد لندن، وكان يقول:

- إن الحكومة البريطانية لا تمانع فى مشاركتكم فى المناقشات.

وطلب موسى العلمى ورقة مكتوبة تحمل هذا المعنى.

ودخل كلايتون إلى مكتب اللورد موين، ثم عاد برسالة مكتوبة بخط يد اللورد إلى النحاس باشا يقول له فيها «إن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية توافق على مشاركة موسى العلمى فى مناقشات اللجنة التحضيرية».. ■

sharif mahmoud

إقالة حكومة النحاس فى اليوم التالى لتوقيع بروتوكول الاسكندرية

وقعت أربع دول عربية بروتوكول الاسكندرية يوم ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤. وفى يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤ أى فى اليوم التالى صدر امر ملكى بإقالة حكومة النحاس. وتردد ان النحاس باشا كان قد وجه الدعوة إلى مجلس الانعقاد للاجتماع فى الساعة السابعة مساء للإتفاق على استقالة الحكومة بحجة تدخل الإنجليز فى الشئون الداخلية للبلاد، ولكن الملك كان أسرع عندما قرر إبلاغ النحاس باشا أمره الملكى بإقالة حكومته فى الساعة الخامسة بعد الظهر.

● إعتذر الشيخ يوسف ياسين عن التوقيع على بروتوكول الاسكندرية بحجة انه لم يتلق تعليمات بالتوقيع عليه

● هدد النحاس باشا بالانسحاب من الإجتماعات اثر خناقة بين الوفدين السورى واللبنانى!

sharif mahmoud

ازمه الحدود بين سوريا ولبنان

● الدكتور محمد صلاح الدين كان النحاس باشا يرشحه أميناً عاماً للجامعة العربية

الفصل الثالث

3

- عندما هدد النحاس باشا بنشر اسرار مباحثاته مع الزعماء العرب

- فاروق يصلى اماما والجماهير تهتف له : « يحيا امير المومنين » !

- إقاله حكومه النحاس فى اليوم التالى لتوقيع بروتوكول الاسكندريه

sharif mahmoud

● صورة نادرة لنورى السعيد عندما كان ضابطاً فى الجيش العثمانى. وعندما بدأت الاتصالات لإنشاء الجامعة العربية، كشف نوري السعيد عما كان يراوده من افكار، فقد كان يريدها جامعة عربية هاشمية لتخدم مصالح الإنجليز في منطقة الشرق الأوسط ولما فشلت جميع محاولاته اضطر لأن يوقع على بروتوكول الاسكندرية، ثم على ميثاق الجامعة العربية، وعاش الرجل يتآمر على الجامعة !

sharif mahmoud

عقدت اللجنة التحضيرية ثمانية اجتماعات فى قصر انطونيادس بالاسكندرية برئاسة مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر.

وكشفت المناقشات عن وجود جبهتين داخل اللجنة، ضمت الأولى العراق، وشرق الأردن.. أما الأخرى فضمت مصر وسوريا ولبنان، والمملكة العربية السعودية، واليمن الصامت الذى لم يكن يتكلم.

وكان إجماع الجبهة الثانية على أن تقوم الجامعة العربية لكل العرب، وليس لدولة عربية معنية بالذات.

وعرف أن العراق وشرق الأردن قد حاولا أكثر من مرة إخراج اللجنة أثناء المناقشات عن مهمتها، ولكن كل محاولاتهما باءت بالفشل.

ولكن فجأة، وقعت مشادة فى الاجتماع الذى عقدته اللجنة التحضيرية فى يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٤ بين سعد الله الجابرى رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان.

كانت المناقشة تدور حول أهمية احترام الدول العربية للحدود فيما بينها عندما قال رئيس وزراء سوريا «إن مساحات من الأراضى السورية تداخلت مع الأراضى اللبنانية»

وأنقل عن المحضر الرسمى للاجتماع أن ما حدث كان مفاجئا للجميع بما فيهم النحاس باشا نفسه، الذى اضطر أكثر من مرة الى التهديد بفض اجتماعات اللجنة والانسحاب من الاجتماع.

وفى أحدى المرات هدد بالخروج من قاعة الاجتماع، وهو يقول:

«ليس أمامى إزاء ما حدث إلا أن أنشر محاضر الجلسات الثنائية للمباحثات السرية التى كانت تجرى بينى وبين كل رئيس وفد من الوفود المشاركة فى اجتماعات اللجنة على حدة»

وكان مما قاله بالحرف الواحد:

«إنها فضيحة أن نخرج للناس ونقول لهم.. لقد اختلفنا، وليس فى وسعنا أن نتفق على تحقيق الوحدة العربية»

sharif mahmoud

وتكهرب جو الاجتماع، فقد كان النحاس باشا صريحا وحازما فى نفس الوقت.

وكان فى تصورنا أن أعمال اللجنة التحضيرية أصبحت مهددة بالفشل بعد أن قطعت شوطا كبيرا فى دراساتها.

وعرف الملك فاروق تفاصيل ما حدث، فقرر أن يتدخل بنفسه لإزالة أسباب الخلاف بين البلدين حول تحديد الحدود، فقام دون استشارة النحاس باشا بدعوة رؤساء حكومات كل من سوريا ولبنان وشرق الأردن لمقابلته لمناقشة الموضوع.

ونجح الملك فى تسوية الخلاف بين سوريا ولبنان.

وعرف النحاس باشا بتدخل الملك، فقام بالاتصال برئيس الديوان الملكى هاتفيا وقال له:

« كان ينبغى من الناحية الدستورية دعوتى للمشاركة فى الاجتماع بصفتى وزيرا للخارجية إلى جانب منصبى كرئيس للوزراء!»

ولكن النحاس باشا اضطر لأن يسحب اعتراضه بعد أن عرف أن الأزمة قد تمت تسويتها إنقاذا للموقف.

ولم يكن النحاس باشا يعرف فى تلك اللحظة أن الملك كان قد وقع مرسوما ملكيا بإقالة حكومته، وأن رئيس الديوان الملكى كانت لديه تعليمات بأن ينتظر حتى تنتهى اجتماعات اللجنة التحضيرية، وتوقيع بروتوكول الاسكندرية لإعلان إقالة الحكومة.

وفى يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ هجرية الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤، عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعها الثامن والأخير.. وقد استهل النحاس باشا الاجتماع معلنا أن السيد حسين الكبسى مندوب اليمن قد تلقى برقية من الإمام يحيى حميد الدين ملك اليمن، وقد تلاها الدكتور محمد صلاح الدين، وهذا نصها:

«من ملك اليمن الإمام يحيى بن حميد الدين إلى الولد حسين الكبسى.. نأمركم بالاشتراك فى اللجنة التحضيرية مع مندوبى البلدان الشقيقة بشرط عدم التقيد بشىء إلا بعد العرض علينا لنوافق على ما نرى إن شاء الله، والله الموفق»

ثم قام الدكتور محمد صلاح الدين بتلاوة نص برقية أخرى تلقاها النحاس باشا من الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، وهذا نصها:

«صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى

sharif mahmoud

العام.. بمناسبة انتهاء عمل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الوحدة العربية أرغب إلى رفعتكم واللجنة التحضيرية المحترمة قبول تحياتى وأطيب دعواتى لتوفيقهم على عملهم فى البداية المرضية والنهاية الخيرية إن شاء الله، وأقول إن الأمة العربية تدين بالوحدة وترضى بالاتحاد، وإنا لنرجو أن يتلو ذلك بعضه بعضا ما دامت النيات حسنة والأمانى بالوحدة متفاوتة، وأن الوصول إلى نتيجة عاجلة نحو توحيد الثقافة وإزالة الحواجز والتساند والتطاوع والاتفاق فى التعاون جميعا لحل الأمور الخارجية المعلقة لكل بلد من هذه المجموعة العربية لهو أول أمر ما يجب عمله كبرهان على صدق النية فى وحدة هذه الأقطار، وأن فيما وقع فى المحنة اللبنانية الأخيرة وإنفراجها بالتعاون لبرهان ساطع على صحة ما عرض من أمر التساند المطلوب.. وفقكم الله للخير جميعا مع التحية المتكررة.. عبد الله» .

ثم أعلن الدكتور محمد صلاح الدين أن اللجنة الفرعية السياسية، قد أنجزت المهمة التى كلفت بها، واستقر رأى أعضائها على أن يقوم جميع أعضاء اللجنة التحضيرية بالتوقيع على بروتوكول يتضمن المسائل التى تمت الموافقة عليها، ثم يذاع بيان يلحق بنص البروتوكول.

وقال إن اللجنة قد وضعت بالفعل مشروعا للبروتوكول، وآخر للبيان، ثم قام بتلاوة هذين المشروعين كما وضعتهما اللجنة الفرعية.

وكانت مفاجأة، عندما طلب الشيخ يوسف ياسين مندوب المملكة العربية السعودية الكلمة ليقول:

«اقترح تأجيل نشر البروتوكول والبيان إلى ما بعد إحاطة حكومتى العربية السعودية واليمن بالأمر خلال فترة محددة»

ودارت مناقشة سريعة حول الاقتراح السعودى، ثم انتهى رأى اللجنة إلى تكليف النحاس باشا باعتباره رئيسا للجنة بإرسال مذكرتين باسم اللجنة إلى كل من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود.. وإلى جلالة إمام اليمن على أن يوضح فى هذه المذكرة رأى اللجنة سواء فيما يتعلق بالشكل أو الموضوع، مع الإشارة إلى الأسباب التى استقر رأى اللجنة من أجلها على التوقيع على البروتوكول ونشره مع البيان.

وهذا هو نص البيان:

«انتهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام من أعمالها فى جو رائع من الثقة المتبادلة

sharif mahmoud

والاخوة الصادقة والود الصميم والشعور بالمسئولية المشتركة فى هذه الظروف الخطيرة التى يتحول فيها مجرى التاريخ، تحدوها الرغبة الملحة فى جمع شملها وتوحيد جهودها وتوجيهها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة لصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها.

وقد كان من أعظم دواعى الغبطة والسرور أن ينضم إلى اللجنة حضرة الأستاذ موسى العلمى العضو الممثل لعرب فلسطين، لما لقضية هذا القطر العربى الشقيق من الخطورة البالغة والأهمية الكبرى عند العرب أجمعين»

وقد اتخذت اللجنة الكثير من القرارات الحيوية سواء من الناحية السياسية أو من النواحى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها.. وإثباتا لاتفاق هذه الوفود على القرارات المذكورة وقع رؤساؤها وأعضاؤها البروتوكول المرافق لهذا البيان.

ثم أشار البيان إلى تأجيل وفدى السعودية واليمن إبداء الرأى إلى ما بعد عرض القرارات على صاحبى الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى بن حميد الدين.

واختتم البيان قائلا: «ويسر اللجنة أن تنتهز هذه الفرصة السعيدة التى هى بحق من أعظم الصفحات وأمجدها فى تاريخ العرب، فتزف إلى البلاد العربية قاصيها ودانيها أطيب تهانيها وأصدق أمانيها وترفع إلى حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك الدول العربية ورؤسائها وأمرائها العظام أسمى آيات ولائها وأبلغ آيات ثنائها موقنة أن أعمالها وآمالها والنتائج التى وصلت إليها وستصل بإذن الله إليها تحظى منهم بأوفر العطف وأبلغ التشجيع والتأييد»

●●●

أما البروتوكول الذى كان الأساس لميثاق جامعة الدول العربية عند إعلان قيامها منذ خمسين عاما فيقول فى مقدمته:

«إثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية»

قد اجتمعوا بالاسكندرية بين يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٣ «الموافق ٢٥ سبتمبر - ايلول سنة

sharif mahmoud

١٩٤٤» ويوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ «الموافق ٧ أكتوبر - تشرين أول سنة ١٩٩٤» فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام.. وتم الاتفاق بينهم على تأسيس جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التى ترغب فى الانضمام إليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية، تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقيات، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها، وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون فيها بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة، وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها.

وينص البروتوكول على أن تكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها فيما عدا الأحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان إلى المجلس لفض هذا الخلاف.. ففى هذه الأحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة.

ونص أيضا على أنه «لا يجوز على كل حال الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة، ولكل دولة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقيات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الأحكام أو روحها.. ولا يجوز فى أية حال إتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها.. وعلى أن يتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما..وعلى أن تتعاون الدول العربية الأعضاء فى مجالات الاقتصاد والثقافة والشئون الصحية والاجتماعية.

وجاء فى إحدى فقرات البروتوكول أن فلسطين تشكل واحدا من أهم العناصر بين الدول العربية، وأن حقوق عرب فلسطين لا يمكن المساس بها بغير وقوع خطر على السلام، وأن الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها تعتبر خطوة إلى الأمام نحو إقامة السلام والاستقرار، وأنه ليس هناك شىء أكثر ظلما من الرغبة فى حل مسألة اليهود الأوروبيين سيىء الحظ باعتراف الجميع، بظلم أخر يكون ضحاياه الفلسطينيون العرب.

ووقع على البروتوكول كل من مصطفى النحاس باشا وأحمد نجيب الهلالى باشا ومحمد صبرى أبو علم باشا والدكتور محمد صلاح الدين «عن مصر» وسعد الله الجابرى بك وجميل

sharif mahmoud

مردم بك ونجيب الأرمنازى وصبرى العسلى «عن سوريا» وحمدى الباجهجى وراشد العمرى ونورى السعيد وتحسين العسكرى «عن العراق» ورياض الصلح وسليم تقلا وموسى مبارك «عن لبنان» وتوفيق أبو الهدى وسليمان سكر «عن شرق الأردن»..

●●●

وأقف هنا قليلا أمام الأزمة التى كانت قد تفاقمت بين الملك فاروق والنحاس باشا قبل عدة أسابيع من عقد اللجنة التحضيرية لاجتماعاتها بالاسكندرية.

كان الملك فاروق قد حاول مرتين إقالة النحاس باشا منذ أن فرضت الحكومة البريطانية عليه تكليفه بتشكيل الحكومة فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢.

وكانت المرة الأولى فى ابريل سنة ١٩٤٣ بعد الأزمة التى تفجرت كرد فعل للكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا، والذى اتهم فيه حكومة الوفد بالفساد واستغلال النفوذ فضلا عن ارتكاب بعض وزرائها الكثير من المخالفات التى تمس الشرف والنزاهة.

وتدخل الانجليز للإبقاء على النحاس باشا رئيسا للحكومة المصرية بحجة أن حزب الوفد ما يزال يمثل الأغلبية بين جماهير الشعب المصرى، وأن حكومته تتعاون بصدق مع الحلفاء.

وكانت المرة الثانية فى ابريل سنة ١٩٤٤ عندما قام الملك فعلا بتوقيع مرسوم ملكى بإقالة الوزارة، وأصدر فى نفس الوقت مرسوما آخر بتكليف أحمد حسنين باشا رئيس ديوانه الملكى بتشكيل وزارة جديدة.

ولكن حدث بعد أن أتم أحمد حسنين باشا تشكيل الوزارة ووقع الملك على مراسيمها، أن قام اللورد كيلرن بزيارة الملك فاروق، واستطاع إقناعه بعدم إذاعة هذه المراسيم، والإبقاء على وزارة النحاس باشا.

قال له: إنها ما تزال تخدم المجهود الحربى للحلفاء، وأن الحكومة البريطانية لا توافق على إقالتها.

وبقى النحاس باشا رئيسا للحكومة.

وصحيح أن محاولات كثيرة قد جرت للمصالحة بين الملك والنحاس باشا، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل.

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول: تفجرت أكثر من أزمة بين الملك والنحاس باشا الا أن أياً من

sharif mahmoud

هذه الأزمات لم تمنع النحاس باشا من الاستمرار فى اتصالاته مع حكومات الدول العربية المستقلة للإعداد لاجتماعات اللجنة التحضيرية التى انعقدت فى الاسكندرية.

وأشتد التنافس بين الملك والنحاس حول مشروع الوحدة العربية.

ويكشف حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى فى تلك الأيام فى مذكراته السياسية التى نشرت فى كتاب بعنوان «القصر ودوره فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢» عن حقيقة هامة، وهى أن الملك لم يكن يريدها فى بادىء الأمر جامعة عربية تضم تحت لوائها الدول العربية وحدها، ولكنه كان يريدها تجمعا إسلاميا حتى يتخذ منها ركيزة يعتمد عليها فى الدعوة لمبايعته خليفة للمسلمين.

وكان المرحوم حسن يوسف باشا كاتما لسر مجلس البلاط الملكى فى عهد الملك فاروق، وكان حاملا لأختام الملك، وكان واحدا من الذين شاركوا وساهموا باسم الملك فى الكثير من الاتصالات والتطورات التى أدت إلى إعلان إنشاء جامعة الدول العربية.

وفى هذا يقول فى مذكراته السياسية بالحرف الواحد:

«عندما أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٣، أخذ زعماء المسلمين فى الهند وفى مصر وفى الحجاز يتطلعون إلى وراثتها، وكان الملك فؤاد أول من تحرك فى هذا الصدد، فأوحى إلى رجال الأزهر بدراسة الأمر والدعوة إليه.

كان ذلك فى عام ١٩٢٥، إلا أن صعوبات قامت فى الداخل والخارج حالت دون تحقيق هذه الغاية.

وفى الداخل ظهر كتاب: «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ على عبد الرازق الذى دلل على أن الخلافة ليست أصلا من أصول الحكم فى الإسلام.. وفى الخارج كان الملك عبد العزيز آل سعود قد استولى على أرض الحجاز، ولم يكن مؤيدا لأن يرث الملك فؤاد نفوذ العثمانيين على سائر المسلمين.

ومضى حسن يوسف باشا يقول فى مذكراته السياسية:

«توقفت فكرة إحياء الخلافة الإسلامية زمنا طويلا، ولم تثر إلا بصفة عارضة فى أوائل عهد الملك فاروق فى مناسبة الدعوة لإنقاذ فلسطين.. وكانت انجلترا قد دعت إلى مؤتمر مائدة مستديرة يحضره زعماء العرب للنظر فى قضية فلسطين، فاجتمعت وفود العرب فى القاهرة

استعدادا للسفر إلى لندن. وفي يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٣٩، دعاهم الملك فاروق إلى حضور صلاة الجمعة في مسجد قيسون بالقاهرة، وحضرت الوفود الصلاة، وكان من بينهم أمراء من السعودية واليمن.. واتخذ الملك فاروق من نفسه إماما للمصلين، وعند خروجه من المسجد هتفت له الجماهير: «يحيا أمير المؤمنين"

●●●

هذا ما قاله حسن يوسف باشا فى مذكراته السياسية. وفى رأيى أن أحلام الملك فاروق فى مبايعته خليفة للمسلمين قد ظلت تراوده حتى آخر لحظة عاشها ملكا على مصر.

وفى رأيى أنه لم يتحمس لمشروع الوحدة العربية إلا قناعة منه بأن إنشاء جامعة الدول العربية يعتبر خطوة من أجل تحقيق التجمع الإسلامى الذى كان فى تصوره يمكن أن يصبح الركيزة للدعوة لمبايعته خليفة للمسلمين.

وأحاول أن أربط بين ما كان يراود الملك فاروق من أحلام، وبين ظهوره لأول مرة فى إحدى المناسبات بالاسكندرية فى نفس الوقت الذى كانت اللجنة التحضيرية تعقد فيه اجتماعاتها، وقد أطلق لحيته!

وأذكر أن أزمة تفجرت فى أوائل عام ١٩٤٤، أى فى نفس الوقت الذى كان النحاس باشا يجرى فيه اتصالاته مع الدول العربية حول مشروع الوحدة العربية، بين الملك والنحاس باشا بسبب إصرار الملك على الإبقاء على المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى تلك الأيام فى منصبه.

وكان الشيخ المراغى قد تقدم باستقالته احتجاجا على تدخل حكومة النحاس باشا فى شئون الأزهر، وأصر النحاس باشا على أن يقبل الملك هذه الاستقالة، بينما كان الملك يرفض قبولها.

وفى شهر يونيو سنة ١٩٤٤ـ وكانت هذه الاستقالة ما تزال معلقة، وكان النحاس باشا يعتبر [illegible] الأزهر مستقيلا، بينما كان الملك يعتبره ما يزال فى منصبه ـ أوعز النحاس باشا إلى عدد من علماء الأزهر بالتقدم بالتماس إلى الملك يطلبون إليه قبول استقالة الشيخ المراغى.

[illegible] قصر عابدين حيث تقدموا بإلتماسهم.. وفى نفس اليوم، قام النحاس باشا باستقبالهم وقال لهم إنه فى سبيل إقناع الملك بتعيين شيخ جديد للأزهر.

وقامت مجموعة أخرى من علماء الأزهر ردا على ذلك بإعداد مذكرة مضادة تطالب الملك

sharif mahmoud

بالإبقاء على الشيخ المراغى، وعدم قبول استقالته. وحمل هؤلاء العلماء مذكرتهم ثم توجهوا إلى قصر عابدين لتقديمها إلى الملك، وكانت المفاجأة عندما قام رجال الشرطة ـ بتعليمات من وزير الداخلية فى حكومة النحاس باشا ـ بمنعهم من الوصول إلى القصر الملكى ومصادرة مذكرة الإلتماس التى كانوا يحملونها معهم!

وانتظر الملك عدة أيام حتى جاء شهر رمضان المبارك، وكانت العادة أن يحضر الملك صلاة الجمعة الأخير من رمضان وأن يلقى شيخ الأزهر درسا دينيا بعد خطبة الجمعة.. وذهب الملك إلى صلاة الجمعة، وبعد أن استمع إلى الدرس الدينى أهدى إلى شيخ الأزهر مسبحه ثمينة، ثم دعاه إلى مأدبة إفطار ملكية.

وصدر فى تلك الليلة بلاغ من ديوان كبير الأمناء عن تلك المأدبة ذكر فيه اسم الشيخ المراغى بوصفه شيخا للأزهر.

وكان هذا يعنى أنه باق فى منصبه!

وأذكر أننى سألت مرة المرحوم مرتضى المراغى وزير الحربية فى آخر حكومة مصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو، وهو ابن الشيخ مصطفى المراغى عن سر كراهية النحاس باشا لوالده فقال لى:

« كان والدى صلبا، وكان يعتز بكرامته، وكما سمعت منه، فإن السبب فى ذلك يعود إلى يوم ذهب فيه مع كبار علماء الأزهر إلى القصر الملكى لحضور تشريفة ملكية، ولم يعجبه أن يحاول النحاس باشا أن يفرض نفسه كرئيس للحكومة فى البروتوكول قبل شيخ الأزهر، وكان أن احتج وقرر أن ينسحب من التشريفة الملكية مع علماء الأزهر. واضطر كبار المسئولين فى القصر الملكى أن يعتذروا له وقالوا له إن البروتوكول يقضى بأن يتقدم شيخ الأزهر على رئيس الحكومة!»

وفى يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٤، أقام الملك مأدبة إفطار لسفراء الدول العربية ووجه الدعوة إلى النحاس باشا بصفته وزيرا للخارجية لحضور هذه المأدبة.

وكانت فضيحة عندما لم يحضر النحاس، ولم يعتذر عن عدم قبول الدعوة.

وكان فى تصور الملك، أن النحاس باشا يتحداه، وأراد أن يثيرها أزمة معه، ولكن رجال حاشيته نصحوه بأن يتحكم فى أعصابه بمناسبة وصول بعض زعماء الدول العربية فى نفس الأسبوع إلى الاسكندرية لحضور اجتماعات اللجنة التحضيرية.

وانتظر الملك الذى كان متحفزا للانتقام من النحاس باشا، حتى كان يوم ١٥ سبتمبر سنة

sharif mahmoud

١٩٤٤، وهو يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الكريم.

وكانت العادة أن يصطحب رئيس الوزراء الملك فى موكبه الرسمى عندما يتوجه إلى جامع عمرو بن العاص لصلاة الجمعة فى هذا اليوم.

وأرسل كبير الأمناء إلى رئيس الوزراء إخطارا ـ طبقا للعادة التى كانت متبعة ـ بأن جلالة الملك سوف يؤدى صلاة الجمعة فى ذلك اليوم فى مسجد عمرو بن العاص، دون أن يتضمن هذا الإخطار دعوة رئيس الوزراء إلى مصاحبة الملك طبقا لما جرت عليه العادة.

واتصل النحاس باشا بكبير الأمناء فى هاتفياً ليسأل عن السبب فى عدم دعوته لمصاحبة الملك.

وكان الرد: إن جلالة الملك قرر أن يصطحب أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى فى موكبه الرسمى!

وسكت النحاس باشا، ولم يقل شيئا، ولكن الملك ـ وهو فى موكبه الرسمى من قصر عابدين إلى مسجد عمرو بن العاص ـ شاهد عدة لافتات على امتداد الطريق كان مكتوبا عليها: «يحيى الملك مع النحاس».

وكان فى رأيى أن النحاس باشا أراد أن يتحدى الملك بهذه اللافتات.

ووصل الملك إلى مسجد عمرو بن العاص ليطلب من المرحوم محمود غزالى بك مدير الأمن العام إزالة هذه اللافتات.. وقال له وهو فى أشد حالات الضيق:

لا أريد أن أراها فى طريق عودتى بعد الصلاة.

الحق وزير الأوقاف ـ خلافا لما كانت المراسم والتقاليد تقضى به من وجود الوزراء بكامل هيئتهم ـ لاستقبال الملك عند وصوله إلى المسجد.

ولم يكن أمام محمود غزالى بك إلا أن يعمل على تنفيذ أمر الملك فورا.

وكان أن أزيلت كل اللافتات حتى لا يراها الملك فى طريق عودته من المسجد!

وعرف النحاس باشا فى الاسكندرية بما حدث، فقام بالاتصال بفؤاد سراج الدين باشا الذى كان وزيرا للداخلية، وطلب إليه إصدار قرار بوقف محمود غزالى بك عن عمله.

وقام النحاس باشا بإبلاغ القرار بنفسه إلى الصحف وطلب نشره فى صفحاتها الأولى.

فكان هذا القرار هو بداية الأزمة السياسية التى أطاحت بحكومة النحاس باشا.

sharif mahmoud

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن أحمد حسنين باشا اتصل بالمستر آلان ترنس شون القائم بأعمال السفير البريطانى فى القاهرة وأبلغه بأن الملك لا يعتزم اتخاذ أى إجراء متسرع ضد حكومة النحاس باشا، ولكن حفظا لكرامته، (أى كرامة الملك) يجب أن يعود محمود غزالى بك إلى عمله فورا.

وتقول الوثائق البريطانية.. إن مستر شون الذى كان يتولى أمر السفارة البريطانية فى غياب اللورد كيلرن الذى كان يقضى اجازته السنوية فى جنوب أفريقيا، أرسل رسالة إلى النحاس باشا قال له فيها: "إن الحكومة البريطانية مازالت تبدى اهتماما كبيرا بتأمين مصر باعتبارها قاعدة للعمليات الحربية، وأنها ترغب فى تجنب أية إجراءات قد تؤثر فى سير المجهود الحربى.

وأضاف فى رسالته "أن محمود غزالى بك ـ بصفته مديرا للأمن العام ـ يتفهم وجهة النظر هذه ويتعاون مع السلطات العسكرية فى سبيل تحقيق هذه الغاية.

وهكذا، تفجرت أزمة جديدة بين الملك والنحاس فى نفس الوقت الذى كانت اللجنة التحضيرية تعقد فيه اجتماعها بالاسكندرية.

وحاول النحاس باشا الاتصال بأمين عثمان باشا للتوسط بينه وبين السفارة البريطانية، ولكن أمين عثمان باشا كان يقضى اجازة فى فلسطين وتعذر الاتصال به.

وتردد أن النحاس باشا أوفد أحمد عبود باشا إلى لندن فى محاولة لإقناع الحكومة البريطانية بمساندة حكومة النحاس باشا ضد الملك وقال له المسئولون الانجليز: إن الحكومة البريطانية ليست على استعداد للتورط فى مثل هذه الخلافات الداخلية بين النحاس باشا والملك.

وكان هذا يعنى؛ أن الحكومة البريطانية أخذت فى تغيير سياستها فى دعم حكومة النحاس باشا.

وعاد أمين عثمان من فلسطين يوم ٢٢ سبتمبر ليقترح على السفير البريطانى حل الأزمة بنقل محمود غزالى بك إلى وظيفة أخرى.

وذهب أمين عثمان إلى أحمد حسنين باشا ينقل إليه نفس الاقتراح، ولكن الملك أصر على عودة محمود غزالى بك إلى عمله مديرا للأمن العام.

وكان فى رأى أحمد حسنين باشا أن يعود غزالى بك لفترة قصيرة إلى منصبه، ثم ينقل بعد ذلك إلى وظيفة أخرى كحل وسط للأزمة!

sharif mahmoud

ولم يوافق النحاس باشا على هذا الرأى وأرسل فى نفس الوقت مذكرة إلى مستر شون القائم بأعمال السفير البريطانى يقول له فيها:

١ - إن محمود غزالى بك أخطأ فى تصرفه بنزع اللافتات.

٢ - إن الملك بإصدار أمره إلى مدير الأمن العام مباشرة قد تجاوز سلطاته الدستورية.

٣ - إن العون الذى تلقاه الحلفاء من مدير الأمن العام، إنما هو تنفيذ لتعليمات رئيس الحكومة وتوجيهاته، وأن أى موظف فى موقعه يؤدى العمل بنفس الهمة وروح التعاون..

وعرف أن مستر شون أطلع أحمد حسنين باشا على رد النحاس باشا على مذكرته، وأضاف أنه بعث برسالة شخصية إلى النحاس باشا قال له فيها: إن ما لديه من معلومات تؤكد أن غزالى بك كان فى موقف حرج للغاية، وأنه عندما أشار إلى خدمات مدير الأمن العام فى رسالته، إنما كان يرغب فى تسجيل تقدير السلطات البريطانية له.

وأصر الملك على موقفه، كما رفض النحاس كل محاولات التفاهم بإيجاد حل وسط للمشكلة.

وحاولت السفارة البريطانية أن تتدخل، إلا أن النحاس باشا هاجم القائم بأعمال السفير البريطاني بعنف، وهدد بنشر الرسالتين المتبادلتين بينهما، وقال: إنهما الدليل على تدخل السلطات البريطانية فى شئون مصر الداخلية.

وكان قد تحدد يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ للاحتفال بتوقيع بروتوكول الاسكندرية، وبمعنى آخر الاحتفال بالاتفاق على إنشاء جامعة الدول العربية.

وقالت التقارير - التى رفعت إلى الملك فى تلك الأيام - إن النحاس باشا قرر أن يتريث حتى يتم التوقيع على هذا البروتوكول ليسجل لنفسه فى التاريخ شرف زعامة الوحدة العربية، وبعدها يتفرغ لمواجهة الملك والانجليز بتقديم استقالة حكومته مستندا إلى أسباب وطنية، منها تدخل الانجليز فى شئون البلاد وتعدى الملك لسلطاته الدستورية!

ولم ينتظر الملك، فقرر أن يقيل حكومة النحاس باشا قبل أن تتقدم باستقالتها إليه.. وقيل إن الحكومة البريطانية كانت قد أعطت الضوء الأخضر إلى الملك بأنها لن تحافظ هذه المرة على حكومة النحاس باشا.

وكان فى رأى الحكومة البريطانية أنه قد تمرد عليها بمطالبته بتعديل معاهدة ١٩٣٦ فى خطاب ألقاه فى يوم ٢٦ أغسطس من نفس العام.■

sharif mahmoud

وأنه لم يتفهم ما كان يعنيه انطونى إيدن من الدعوة للوحدة العربية لتصبح وحدة تحت هيمنة الهاشميين، فعمل على أن تصبح وحدة عربية لكل العرب.

وكان هذا يكفى لأن تغضب الحكومة البريطانية على حكومته، وتقرر مساندة الملك فى إقالتها.

وتلاحقت الوقائع التاريخية لتقول: «احتفل فى يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ بتوقيع بروتوكول الاسكندرية»

وأقام النحاس باشا فى هذه المناسبة مأدبة غداء فى قصر انطونيادس دعا إليها عدداً كبيراً من الزعماء والشخصيات العربية.

وكان حسن يوسف باشا وكيل رئيس الديوان الملكى مدعوا إلى المأدبة.

وعندما استقل حسن يوسف باشا القطار من القاهرة إلى الاسكندرية كان يحمل فى جيبه المرسوم الملكى بإقالة حكومة النحاس باشا..كان مؤرخاً بتاريخ ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤، وكان حسن يوسف باشا مكلفا بمهمة إبلاغ النحاس باشا بقرار إقالة حكومته.

وعرف أن الملك كان قد قام بتوقيع هذه المرسوم الملكى قبل يومين، وقد قام حسن يوسف باشا بكتابة هذا المرسوم بخط يده، أى أنه لم ينسخ بواسطة ديوان الخطاطين فى القصر الملكى زيادة فى الحيطة وحرصاً على بقاء الموضوع فى طى الكتمان..

ويروى حسن يوسف باشا فى مذكراته السياسية.. كيف أنه انتحى جانبا مع النحاس باشا عقب مأدبة الغداء وبعد انصراف المدعوين من حديقة قصر انطونيادس وقال له: إن جلالة الملك يود أن يعرف ما تقرر بشأن محمود غزالى، وقد مضى على وقفه عن العمل ثلاثة أسابيع.

ورد النحاس قائلا إنه كان منشغلا بالرد على الانجليز الذين أقحموا أنفسهم فى الأزمة بما يعتبره تدخلا فى الشئون الداخلية للبلاد.

وعقب حسن يوسف باشا على ذلك قائلا:

« إن جلالة الملك يرى إعادة غزالى بك إلى عمله، ولو بصفة مؤقتة.»

وكان رد النحاس باشا: إذا كانت هذه هى رغبة جلالة الملك، فلابد من التحقيق مع غزالى وسؤاله لماذا تصرف دون الرجوع إلى الوزير المختص؟

ويقول حسن يوسف باشا: كانت هناك مسائل أخرى معلقة بين القصر والحكومة، ولذلك اتفقت مع النحاس باشا على موعد لمقابلته فى اليوم التالى وهو يوم ٨ أكتوبر فى جناحه الذى

sharif mahmoud

كان يقيم فيه بفندق سيسيل بالاسكندرية.

ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن المرسوم الملكى بإقالة حكومة النحاس باشا ظل فى جيب حسن يوسف باشا إلى اليوم التالى دون أن يعرف به أحد، وأن النحاس باشا ـ بعد أن انتهت اللجنة التحضيرية ـ وجه الدعوة إلى مجلس الوزراء إلى اجتماع عاجل يعقد فى تمام الساعة السابعة من مساء اليوم التالى، أى فى يوم ٨ أكتوبر، على أن يتم الاجتماع فى مقر رئاسة الوزراء الصيفى فى بولكى لأمر هام.

وأنه كان هو الآخر، قد أعد خطاب استقالة حكومته بدعوى تدخل الانجليز فى شئون البلاد الداخلية، وأنه كان يزمع التقدم باستقالته إلى الملك فى نفس الليلة.

وحدث فى صباح يوم ٨ أكتوبر أن اتصل أحمد حسنين باشا من القاهرة بحسن يوسف باشا فى الاسكندرية وطلب إليه أن يعود فورا إلى القاهرة.

وتصور وكيل الديوان الملكى أن الخطة التى أعدت لإقالة حكومة النحاس قد تغيرت!

وعاد الرجل إلى القاهرة بالقطار ليجد إصرارا على تنفيذ المرسوم الملكى بإقالة الوزارة.

ولما عرف أحمد حسنين باشا أن موعدا قد تحدد مع النحاس باشا فى الساعة الخامسة بعد الظهر، أمر بإعداد سيارة خاصة نقلت حسن يوسف باشا بسرعة إلى الاسكندرية حتى يلحق بالموعد المحدد.

ويذكر حسن يوسف باشا فى مذكراته السياسية تفاصيل مثيرة حول اللقاء بينه وبين النحاس باشا فى الصالون المجاور لغرفته بفندق سيسل بالاسكندرية.

فيقول بالحرف الواحد:

أبلغت النحاس باشا تحيات جلالة الملك، ثم سلمته أمر إقالته. وأخذ النحاس باشا يتلوه بصوت مسموع، وكان منطوقه:

أمر ملكى رقم ٢٥ لسنة ١٩٤٤

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لما كنت حريصا على أن تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا، وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق والواجبات، وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات الشعب، فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم.

sharif mahmoud

وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع شاكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أمكنكم أداءه من الخدمات أثناء قيامكم بمهمتكم.

صدر بقصر عابدين فى ٢١ شوال ١٣٦٣ «٨ أكتوبر ١٩٤٤» فاروق.

ولم يتمالك النحاس باشا نفسه بعد أن قرأ الأمر الملكى بإقالة وزارته، فجلس على مقعد، وهو يقول: الله يوفق جلالة الملك ويلطف بالبلاد!

وصدر فى نفس الليلة أمر ملكى آخر بتكليف أحمد ماهر باشا بتشكيل وزارة جديدة.

وكان أول عمل قام به رئيس الوزراء الجديد بتوجيه من الملك، هو إذاعة بيان نشرته الصحف قال فيه إن الحكومة تؤيد قضية الوحدة العربية باعتبارها قضية قومية وليست سياسية.

وكان هذا البيان ردا على بعض الإشاعات التى رددتها الأوساط الوفدية من أن إقالة حكومة النحاس باشا تعتبر هدما للقضية العربية.

وأذكر أن جريدة البلاغ التى كانت تنطق بلسان حزب الوفد، كانت قد نشرت فى اليوم السابق.. (أى فى يوم التوقيع على ميثاق الاسكندرية) ما وصفته بأنه تحذير للذين يضعون العراقيل أمام النحاس باشا فى سبيل ممارسته حقوقه الدستورية.

وفهم أن الجريدة الوفدية كانت تعنى الملك بهذا التحذير.

وكان النحاس باشا يرشح الدكتور محمد صلاح الدين لمنصب الأمين العام للجامعة العربية.

وعلى إثر تشكيل أحمد ماهر باشا لحكومته الجديدة، قام بإعادة تشكيل وفد مصر فى اللجنة التحضيرية، وتم الاتفاق على بعض التعديلات التى أدخلها عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين على بروتوكول الاسكندرية.

وتم الاتفاق على ترشيح عبد الرحمن عزام بك ليصبح أمينا عاما للجامعة لمدة سنتين قابلة للتجديد.

وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ تم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية بصورته النهائية.

واتفق على إطلاق اسم بروتوكول الاسكندرية على ما تم إنجازه والاتفاق عليه فى اجتماعات قصر انطونيادس بالاسكندرية.

● وكان أول قرار لحكومة أحمد ماهر باشا بعد توليها الحكم هو تعيين المرحوم عبد الرحمن عزام أميراً للحج وكلفته بالعمل على إقناع الملك عبد العزيز للموافقة على التوقيع على بروتوكول الإسكندرية، ولكن العاهل السعودى الكبير كانت له ٧ تحفظات لها أهميتها !!

sharif mahmoud

التحفظات السبعه للملك عبد العزيز

● قال الملك عبد العزيز للمرحوم عبد الرحمن عزام :
كـيف ادخل جـامـعـة بهـا نورى السـعـيـد !

الفصل الرابع

4

■ عزام اميرا للحج لإقـناع المـلك عبد العزيز بالتوقيع على البروتوكول

■ عندم قرر عزام السفر الى الرياض وهو مـريض بالمـراريه لمقابله الملك

■ الملك عبد العزيز يقول :« كيف ادخل جامعه بـها نورى السـعيد

sharif mahmoud

رسالة روزفلت فى يوم ٥ أبريل سنة ١٩٤٥ قبل وفاته بأسبوع إلى الملك عبد العزيز

● ارسل الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت رسالة إلى الملك عبد العزيز آل سعود أشار فيها إلى الحديث الذى دار بينهما عند لقائهما على ظهر السفينة الحربية كوينسى عندما كانت ترسو فى ماء البحيرات المرة فى قناة السويس. كما أشار إلى موقف حكومته من كل من العرب واليهود مؤكداً أنه لن يتخذ أى قرار بشأن الوضع السياسى الفلسطينى من غير استشارة كاملة مع كل من العرب واليهود، وقال الرئيس الأمريكى فى رسالته:

ـ تذكر جلالتكم بأننى فى مناسبات سابقة نقلت إليكم موقف الولايات المتحدة من قضية فلسطين وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ أى قرار بشأن الوضع السياسى فى ذلك البلد بدون التشاور الكامل مع العرب واليهود وبدون ذلك فإن جلالتكم تذكرون أيضاً بأننى خلال مباحثاتنا الأخيرة أكدت لكم بأننى لن اقوم بصفتى رئيساً للسلطة التنفيذية لهذه الحكومة بأى عمل يمكن ان يكون معادياً للعرب. ويسرنى أن اجدد لجلالتكم التأكيدات التى قدمت سابقاً بشأن موقف حكومتى وموقفى كرئيس للسلطة التنفيذية بشأن القضية الفلسطينية، ابلغكم أن سياسة هذه الحكومة فى هذا الشأن لن تتغير..

وتوفى الرئيس روزفلت بعد إرسال هذه الرسالة بأسبوع واحد وخلفه نائبه ترومان، وفى يوم ٣١ آب (اغسطس) ١٩٤٥ كتب ترومان إلى إتلى رئيس وزراء بريطانيا التى كانت لا تزال دولة منتدبة عن فلسطين يؤيد فتح أبواب فلسطين لليهود النازحين من المانيا والراغبين فى الهجرة إليها ويؤيد اقتراحاً بمنح اليهود مائة الف شهادة هجرة إضافية إلى فلسطين. وأدلى ترومان بتصريحات عديدة بهذا المعنى فأثار سخط العرب عليه مما حمل الحكومات العربية على تقديم مذكرات رسمية إلى حكومة الولايات المتحدة تعرب فيها عن احتجاجها واستنكارها لتصريحات ترومان، وبادر المستر بيرنز وزير الخارجية الأمريكية فى تلك الأيام بالإدلاء بتصريحات حاول بها إزالة اثر سخط العرب وقال فيها أن سياسة حكومة الولايات المتحدة لا تصل إلى نتائج نهائية تتعلق بالمباحثات مع الحكومة البريطانية حول تغيير الوضع الأساسى فى فلسطين من غير التشاور التام مع زعماء العرب واليهود وسمح بنشر نص كتاب الرئيس روزفلت إلى الملك عبد العزيز المؤرخ فى ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥.

ونشر مستر سمنر ويل وزير الخارجية فى عهد

● الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكى روزفلت عند لقائهما على ظهر بارجة امريكية بالبحيرات المرة بقناة السويس.

●●●

روزفلت كتاباً عنوانه: يجب الا نفشل.. وقال عن هذا الكتاب نص رسالة الرئيس روزفلت إلى الملك عبد العزيز بالحرف الواحد :

ـ إنها دسيسة من وزارة الخارجية فهى التى دبرتها واعدت الرسالة فى الأيام الأخيرة من حياة روزفلت حين كان ضعيفاً ولا يقوى على عمل من التفكير العميق والرؤية الصحيحة فوقع الرسالة دون أن يدرى وعموماً لا يوجد فى هذه الرسالة على أى حال ما يتعارض مع الوعود التى سبق لروزفلت أن اعطاها لليهود.

أما الرئيس ترومان فقد ارسل كتاباً إلى الملك عبد العزيز آل سعود أذاع نصه فى يوم ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ قال فيه:

ـ يجب الا يتخذ أى قرار بشأن الوضع الأساسى فى فلسطين بدون التشاور مع العرب واليهود.

ومع ذلك فإنه نقض هذا الوعد بعد فترة عندما رضخ ترومان للضغوط السياسية الداخلية واعترف بإسرائيل ويروى الكولونيل إيدى الوزير المفوض الأمريكى السابق لدى المملكة العربية السعودية أن الرئيس ترومان أبدى اهتماماً بتلبية المطالب الصهيونية فى فلسطين فلما حاول إيدى أن ينبهه إلى أن ذلك سيغضب العرب نظر إليه ترومان شذراً وقال له:

ـ اسمع.. إنى مرشح نفسى مرة ثانية للرئاسة وأنا لا اعلم أن للعرب أصواتاً فى الانتخابات الأمريكية.

sharif mahmoud

اعاد أحمد ماهر باشا تشكيل وفد مصر فى اللجنة التحضيرية بعد توليه رئاسة الحكومة المصرية.

وكان أول مشكلة واجهته، هى محاولة إقناع الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن بالتوقيع على بروتوكول الاسكندرية.

وكما فهمت فى تلك الأيام.. كان للملك عبد العزيز رأى فى نورى السعيد.. ولم يكن فى تصوره ـ كما قال لى الشيخ يوسف ياسين ممثل المملكة العربية السعودية فى اللجنة ـ أن تنضم بلاده إلى أى تجمع عربى تكون فيه العراق تحت حكم نورى السعيد عضوا فيه.

ونقل عن الملك عبد العزيز أنه قال بالحرف الواحد:

«كيف أدخل جامعة بها نورى السعيد؟!»

وكشف الزعيم العراقى رشيد عالى الكيلانى فى مذكراته السياسية التى قمت بنشرها فى مجلة آخر ساعة فى عام ١٩٥٨ عن سر عدم ثقة الملك عبد العزيز بنورى السعيد. فيقول فى هذه المذكرات بالحرف الواحد:

« كنت رئيسا للديوان الملكى فى عهد الملك غازى والد الملك فيصل الثانى، وكان الملك غازى شابا ملتهبا بالحماس، وكان وطنيا مخلصا، وكان فى قرارة نفسه يكره الانجليز، ولم يكن ذلك يعجب نورى السعيد، فقرر أن يتخلص منه.

وأرسل نورى السعيد رسالة إلى الملك عبد العزيز يقول له فيها:

ـ قررنا التخلص من الملك غازى، ويلزمنا خمسة آلاف جنيه من الذهب للإنفاق على المؤامرة التى ندبرها لإغتياله.

ورفض الملك عبد العزيز أن يشارك فى هذه المؤامرة وأرسل إلى نورى السعيد يقول له: عيب يا نورى أن أشارك فى مؤامرة لاغتيال الملك غازى، وأنا ملك..! »

وفى القاهرة كان أحمد ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية الجديد يعرف بعلاقة الصداقة والود التى كانت تربط بين الملك عبد العزيز آل سعود وعبد الرحمن عزام بك الوزير المفوض للشئون العربية بوزارة الخارجية المصرية.

sharif mahmoud

فقد كان العاهل السعودى يثق به ويستشيره فى الكثير من الشئون التى كانت تتعلق بسياسة المملكة العربية السعودية الخارجية، وأحياناً الداخلية أيضا.

وعرف أن أحمد ماهر باشا قرر بالاتفاق مع القصر الملكى تعيين عبد الرحمن عزام بك أميرا للحج وتكليفه بمحاولة إقناع العاهل السعودى بالموافقة على توقيع بروتوكول الاسكندرية.

وأذكر أننى سألت مرة عبد الرحمن عزام بعد تعيينه أمينا عاما للجامعة العربية عن تاريخ علاقته بالملك عبد العزيز..

كنت قد ذهبت لزيارته فى شقته التى كان يعيش فيها مع عائلته وتطل على النيل فى حى العجوزة بالجيزة.

وابتسم عزام باشا، وهو يقول لى: إن علاقتى بالملك عبد العزيز قديمة وترجع إلى عام ١٩٢٨ عندما ذهبت لأول مرة للحج، حيث كنت أيامها عضوا فى مجلس النواب المصرى، وكان لقائى بالملك بعد تأدية مراسم الحج، وكان إعجابى به بلا حدود.

قلت له: إن العاهل السعودى يثق بك يا باشا.

قال عزام باشا: فى عام ١٩٢٨ لم تكن مصر قد اعترفت بالمملكة العربية السعودية كدولة ذات سيادة، وبالتالى لم تكن قد تبادلت معها أى درجة من درجات التمثيل الدبلوماسى، وأظننى قد لعبت دورا لإقناع المسئولين فى الحكومات المصرية، وأيضا رجال القصر الملكى فى عهد الملك فؤاد بالاعتراف بالمملكة العربية السعودية وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى بادىء الأمر على مستوى قنصليتين، واحدة للسعودية فى القاهرة، والأخرى لمصر فى جدة.

ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن الملك عبد العزيز آل سعود أرسل إلى الملك فؤاد فى عام ١٩٣٤ رسالة يشكر فيها مصر على مساندتها للمملكة العربية السعودية، ويطلب إليه إهداء بلاده عدة شحنات من الأسلحة والمهمات ليدعم بها حكمه!

إن أصل هذه الرسالة موجود فى أرشيف قصر عابدين الذى نقل أخيرا إلى ديوان المحفوظات القومية لإعادة ترتيبه.

وفى رأيى إن هذه الرسالة كانت بداية عهد جديد للعلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية.

وفى عام ١٩٣٧، وقع الاختيار على عبد الرحمن عزام بك للعمل وزيرا مفوضا للمملكة المصرية فى السعودية إلى جانب عمله وزيرا مفوضا فى عدة عواصم أخرى، هى طهران وبغداد

sharif mahmoud

وكابول عاصمة أفغانستان.

واستطاع عبد الرحمن عزام أثناء عمله وزيرا مفوضا لمصر فى المملكة العربية السعودية أن يوثق علاقته بالملك عبد العزيز. حيث كان معجبا بالملك وبعروبته. وتزايدت ثقة الملك به حتى أنه قال له مرة: إنت يا عبد الرحمن تستطيع أن تتكلم باسم السعودية أيضا كما تتكلم باسم مصر!

وفى أواخر شهر نوفمبر سنة ١٩٤٤، سافر عبد الرحمن عزام إلى المملكة العربية السعودية بصفته أميرا للحج.

وعرف الملك عبد العزيز بالمهمة الأصلية التى كلف بها عبد الرحمن عزام، فقرر - حتى لا يتم اللقاء بينه وبين عزام - ألا يخرج للحج فى تلك السنة، وأن يبقى فى الرياض.

وعرف أن الملك عبد العزيز قال لبعض مستشاريه:

« إذا قابلنى عزام، فلابد أن أدخل الجامعة، وأنا لا أريد دخولها على هذه الصورة!»

ولم ييأس عبد الرحمن عزام، وانتظر حتى انتهى موسم الحج، ثم ذهب إلى المرحوم الملك فيصل، وكان أميرا لجدة وقال له:

« لن أغادر المملكة العربية السعودية حتى يتسنى لى مقابلة جلالة الملك عبد العزيز، وأنا على استعداد للسفر إليه بالطائرة فى أى مكان يوجد فيه مهما كانت الظروف.»

ولم ينتظر عبد الرحمن عزام، وبادر بإعداد كل شىء للسفر بالطائرة إلى الرياض لمقابلة الملك.

ولكن حدثت مفاجأة فى الليلة السابقة للسفر، حيث أخذ عبد الرحمن يرتعش فى سريره، واشتدت عليه وطأة المرض.

وجاءه أحد الأطباء ليقول له: أنت مريض بحمى الملاريا.

وحاول الطبيب إقناعه بتأجيل رحلته إلى الرياض، ولكن عزام لم يوافق، وقال للطبيب:

« سأذهب لمقابلة الملك وأنا مريض بالحمى.»

وعرف المرحوم الملك فيصل بما أصاب عزام فحاول هو الآخر إقناعه بالبقاء فى جدة حتى يتماثل للشفاء من المرض.

وأصر عزام على رأيه، وقال إنه سيطير إلى الرياض لمقابلة الملك ولا يهم إذا ما تعرض لنكسة أثناء رحلته بالطائرة.

وأبرق فيصل إلى والده المرحوم الملك عبد العزيز فى الرياض يقول له:

« إن عبد الرحمن عزام يعرض حياته للخطر فى حالة سفره بالطائرة وهو مريض بالحمى.»

sharif mahmoud

وجاء الرد من المرحوم الملك عبد العزيز فى نفس الليلة يقول:

« امنعوا عزام من السفر بالطائرة، وسأحضر بنفسى من الرياض للاجتماع به فى جدة..!

ومرت عدة أيام، ثم وصل جلالة الملك عبد العزيز إلى منطقة اسمها الشرايع فى ضواحى مدينة جدة.»

وعرفت تفاصيل المباحثات التى دارت بين عبد الرحمن عزام وبين العاهل السعودى حول موضوع الوحدة العربية.

وأنقل عن يوميات كتبها عبد الرحمن عزام بخط يده على الأوراق الخاصة بالمفوضية المصرية فى جدة، فقرات عن مهمته التى تعتبر واحدة من أخطر المهام فى تاريخ الاتصالات التى مهدت لإنشاء جامعة الدول العربية.

إنه يقول فى مستهل يومياته وهى بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ بالحرف الواحد:

«خرجت اليوم إلى الشرايع، وهى على بعد ٢٨ كيلو مترا شرقى جدة، لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز، فلما قدم الملك إلى المخيم المعد، والذى كان هدية من قوت القلوب هانم ونزل من سيارته وكان محرما ، وقد بدا عليه الهرم ، ولكنه كان عظيم الطلعه ، فتقدمت للسلام عليه وقبلت أنفه لأنه قيل لى إن ذلك يسره، وبعد أن سلم على وفود المستقبلين جلس، وجلست على كرسى على يساره والناس أمامه صفان، فأخذ أحد فقهاء الشام يحييه بخطبة طويلة فى فضل العقيدة السلفية والأمن الشامل فى الجزيرة العربية ثم علق جلالته على ذلك بقوله: «وما رميت إذ رميت، ولكنّ اللّهَ رمى» وتكلم كلاما طيبا فى الدين والعقيدة وقال إنه لم يكن شيئا ولم يورثه آباؤه شيئا، وأنه عزيز بأهل مملكته وإكرام المسلمين والعرب له حتى والكفار.. ومع هذا الذى هو فيه فأنه يقسم أنه يفضل أن يموت فى الحال هو وأولاده إذا كان فى ذلك سلامة لعقيدته أو خير للدين، وقال إنه لا يعتبر نفسه سيدا لرعيته ولكنه خادم الرعية، كبيرها أخاً وصغيرها ابناً.. وفى الحقيقة أجاد وأحسن.

ولما قام قمنا، ومشى إلى سيارته ومشى الناسُ وتخلفُت، فوقف هناك واستدعانى للركوب معه فركبت عن يساره، ثم نظرت فإذا الأمير فيصل والأمير منصور يركبان ويجلسان على أرض السيارة بعد أن رفعا المقاعد وكانا متجهين إلى أبيهما، فقلت ألا يتفضل أحد الأمراء مكانى، قال الملك لا، وضغط على ركبتى، ثم ركب الشيخ يوسف ياسين وجلس على الأرض كذلك، وسرنا. ثم أخذ جلالته يتحدث فسألنى عن جلالة الملك فاروق، فأبلغته بتحيته، وسأل عن أهل مصر، فذكرت

sharif mahmoud

أنهم بخير وقلت إن الحرب حرمتهم من أشياء كثيرة، ولكن إذا نظرنا إلى مصائب الغير حمدنا الله وكذلك هنا فإن النعم التى ينعم بها أهلكم لا نظير لها فى أوروبا المخربة الجائعة اليوم.

فأخذ جلالته يتحدث عن الحرب وبلائها، وعن المدن وخرابها والقنابل المحرقة وغيرها من أدوات الدمار، فقلت ! لقد نجى الله مصر من هذه الحرب لأن الانجليز لم يقبلوا أن يتفقوا معنا على شىء فى بداية الحرب، وقالوا إنهم لا يقبلون المساومة، فحمد الله جلالته على أننا لم ندخل الحرب، وقال إن عملكم كان حيويا.. وتناول الحديث بعض الدول وسياستها وأظهر تفضيله للانجليز على من عداهم.

وقال فى أثناء الحديث عبارة طريفة، وهى أن بعض الأدوية يستطيع الإنسان استعمالها من الظاهر، ولكنه إذا شربها قتلته، وذكر فى هذه الأثناء أنه يصارحهم ويصدقهم وأنهم يقدرون ذلك، وأنه عرض عليهم استغلال البترول، وهم الذين رفضوه.. الخ

ثم انتقل الحديث إلى الوحدة العربية فقال إنه يقول لى ما لا يقوله لغيرى، وأن الانجليز يريدون مشروع الدعاية، قصد الدعاية «للقضية الفلسطينية»، ويحرصون عليه ولكنهم يقولون ذلك إذا خرج من الدعاية حوادث «وأظنهم يقصدون فلسطين» فإنهم غير مسئولين ولا مرتبطين بشىء.. ثم حمل على مشروع الدعاية على أنه عمل يقصد بعض الناس منه «يقصد نورى السعيد والملك عبد الله» التمهيد لأمور، وأن جميل مردم حين ذهب فى سياحته للعراق وشرق الأردن كان يقصد إبعاد عبد الله عن التفكير فى ملك سوريا لضمه إلى ملك فلسطين وشرق الأردن، وهو لا يريد اللعب به فى هذه السياسات، وأن هذه الدعاية يفهمها لفلسطين وحدها.. وأحسن وسيلة لذلك، هو أن يكتب الملوك ويبعثوا وفدا يمثلهم إلى أمريكا للقاء روزفلت وهو يذهب فى ذلك إلى أقصى مدى من الشدة فى الكتابة.. ويرى أن يستغنى عن وفد، ويرسل عبد الرحمن عزام باسم الجميع دليلا على وحدة رأيهم وكلمتهم، فقلت إننى أفهم أن القصد الأساسى من الدعاية فى أمريكا هو كما يريد جلالة الملك.

فقال أنا أريد الاتفاق مع مصر والتعاون مع مصر وعمل كل شىء مع مصر معها ، ونحن واحد، فقلت هذا خير ما ترجوه مصر.

وكأن جلالته يريد أن يقول إن العرب الآخرين لا يهمه الاتفاق معهم فسكت منتظرا فرصة أخرى لأنه كان منفعلا.

ثم استمر جلالته يبين ما كان فى العراق من عمل رشيد عالى وخديعته له، حيث أنه كان

sharif mahmoud

متفقا مع الألمان، وأنه فهم ذلك من المرحوم توفيق السويدى «أحد وزراء العراق السابقين» عندما قابله، وأن هرب نورى وعبد الإله لم يكن مشرفا لهما.. الخ، فلم أعلق على ذلك.

ثم ذكر أنه رغم كل شيء لا يستطيع أن يرى بلاد العرب (أى جيرانه) تتعرض لسوء و ودون ان يهتم، لأنه فضلا عن عروبته، يعلم أن الشر سيصل إليه.. حتى أن وصول الألمان للعلمين كان معناه وصولهم إليه.

كان هذا الحديث هو البداية.. وكما يقول عبد الرحمن عزام فى يومياته عن مهمته فى السعودية: استغرق الحديث ثلاثة أرباع الساعة تقريبا، وقبل أن يصل الركب إلى قصر الملك قال الملك عبد العزيز لعبد الرحمن عزام:

أنا أعتمد على رأيك وأقول لك ما لا أقوله لغيرك وأريد أن تفكر أنت فيما قلته لك حتى نلتقى غدا فنتحدث.

ويقول عبد الرحمن عزام: جاءنى فى تلك الليلة الشيخ يوسف ياسين ليطلعنى على مجموعة من الأوراق قال إن جلالة الملك أمره بإطلاعى عليها.

وكانت هذه الأوراق عبارة عن مقال لأستاذ يهودى فى الجامعة العبرية اسمه مجنس وكانت تتضمن أيضا نص المذكرة السرية التى كان نورى السعيد قد بعث بها إلى المستر كايسى الوزير البريطانى للشرق الأوسط، وأيضا على مجموعة من الرسائل كان جلالته قد بعث بها إلى النحاس باشا.

وكان مقال الأستاذ اليهودى لا يختلف كثيرا فى مضمونه عن أفكار نورى السعيد التى كان يطالب فيها بجامعة عربية تضم شرق الأردن والعراق وفلسطين وسوريا.. وربما لبنان!

أى أن هذا الأستاذ اليهودى كان يؤيد نورى السعيد فيما كان يجرى وراءه لإقامة جامعة عربية للهاشميين وحدهم!

وقد أراد الملك عبد العزيز أن يؤكد لعبد الرحمن عزام أن أفكار نورى السعيد لا تختلف كثيرا عن أفكار اليهود.

أما بالنسبة لرسائل الملك إلى النحاس باشا، فلم يكن الملك عبد العزيز سعيدا بموقف رئيس وزراء مصر.

كان تصوره أن النحاس باشا يريد أن يفرض عليه آراءه وأفكاره!

ويقول عبد الرحمن عزام فى يومياته التى كتبها بخط يده:

sharif mahmoud

قابلت جلالة الملك فوجدته قد جمع كبار رجاله كالأمير فيصل وزير الخارجية والأمير منصور وزير الدفاع وعبد الله السليمان وزير المالية وخالد القرقنى أبو الوليد مستشاره الخاص، ويوسف ياسين سكرتيره وبشير السعداوى مرافقه، فأجلسنى إلى جانبه على الأريكة، وجلس الآخرون جميعا على البساط، حيث كان مكان الاجتماع بهوأواسعاً..

وأخذ الملك يتحدث فقال: هل أطلعت على كل شيء.. قلت نعم أطلعت، ولكننى لم أقل اقتنعت.

ثم استرسل الملك فى وجوب الحذر، وحمل حملة شديدة على المساعى المبذولة للدعاية وترشيح نورى باشا للندن.. وقال إن هذه الدعاية ستنقلب لخدمة الأغراض الشخصية وأنه يرى أنها لا تفيد، وأن الشيء العملى، هو أن يكتب رؤساء الدول العربية لروزفلت ويستوضحون سياسته بالنسبة لفلسطين، ويحمل كتبهم وفد مؤلف من كل بلد، أو شخص واحد من مصر هو عبد الرحمن عزام.. يحمل كتب الجميع.

وقال: وحتى إذا أرادوا هم أن يرسلوا من طرفهم، فإنه يكتفى بأن يكون عبد الرحمن عزام رسول مصر ورسوله، إلا إذا أرادت مصر غير ذلك.

ثم قال إنه يريد الاتفاق مع مصر، وأن تكون الاخوة كاملة بينه وبينها.

وعاد الملك للحملة على المشروع، فقال أنه مؤامرة لتمليك عبد الله على فلسطين بعد أن أغراه جميل مردم بالتنازل عن سوريا.. الخ

وكلما حاولت أن أعلق على شيء من ذلك طلب منى أن أصبر، ففهمت أنه يحسن بى أن أبحث عن الحلول بدلا من مناقشة الوقائع، وهذا ما كنت دائما أعول عليه.. فاستمعت لجلالته طويلا.

وأخيرا طلب رأيى فقلت: إن جلالة الملك يعرف الوضع ويفهم أننى لم أحضر للدفاع عن تصرفات النحاس ونورى السعيد أو دسائس الأشراف.. ويعلم أن الحكومة الحاضرة فى مصر لم تضع البروتوكول للجامعة، ويعلم أكثر من ذلك المركز الاستثنائى الذى وضع فيه ملكنا، ولكننا نريد الوحدة ونريد النجاح، ولا نهدم عملا قد يكون مبدأ لخير، ويعرف الشيخ يوسف ياسين وقد يكون قد بينه لجلالتكم تماما..!

وقلت أريد - بما أعرف من حكمت جلالته وبعد نظره - أن يجد هو الحل والمخرج من موقف ليس فيه خير له او لنا.. فأخذ يبين رغبته فى التحالف مع مصر، وأن يكون الأمر بعيدا عن الدسائس وأن يكون المقصد الخير، وألا يدعو لقبول عمل يخالف الدين.

وتكلم جلالته عن أهمية هذه النقطة للبلاد السعودية، ومكانته فى هذا الأمر ومسئوليته أما.

sharif mahmoud

الله وأهل نجد.. الخ

وأخيرا قال: أنت واحد منا ابن وأخ وابن عم.. فأجتمع أنت تجتمع مع فيصل وهؤلاء وتضع مشروعا وأنت وكيل عنى.

فقلت كما تأمر.. وانصرفنا..!

كان حديث الملك عبد العزيز مع عبد الرحمن عزام هو البداية.

وتلاحقت بعد ذلك الاجتماعات واللقاءات التى كانت تعقد ويشترك فيها عبد الرحمن عزام مع الأمير فيصل والشيخ يوسف ياسين وخالد بن الوليد الجرباوى وبشير السعداوى.

وكما يقول عبد الرحمن عزام فى يومياته التى كتبها بخط يده:

فى مساء يوم ١٩٤٤/١٢/٣٠ اجتمعت بمنزل الأمير فيصل، وحضر خالد وبشير ويوسف، فقلت :أريد أن أسمع مقترحاتهم.. فلم أتلق جوابا ينير الطريق للبحث واضطررت لأن ألخص الموقف.

فقلت :إن جلالة الملك يطلب حلفا وعلاقات خاصة مع مصر ...ولكننى لم آت هنا لبحث هذا ـ ولا صلاحية لى كممثل للحكومة المصرية فى هذا الشأن، ولكن علما منى برغبتها الأكيدة فى أحسن وأمتن العلاقات مع المملكة العربية السعودية.. فإننى مستعد لتلقى ما يقترحونه فى هذا الشأن على أن أرفعه للحكومة المصرية.

فقال الشيخ يوسف ياسين: نريد محالفة، كالتى بيننا وبين العراق واليمن.

قلت: وهل هذا ما يريده جلالة الملك.

فقال احد الحاضرين: لا نظن.. بل إن الملك يريد شيئا جديدا.

فقلت: ما هو؟

فقال: محالفة وتنظيما للعلاقات على أوثق ما يمكن.

فقلت: فلنترك هذه الرغبة مؤقتا، ولنبحث الموضع الأصلى، فلم أجد ردا، ولا كلاما شافيا.

وأخيرا قلت: إننى وجدت الحل فى خطاب الملك الأخير للنحاس.

فقال خالد بن الوليد: إن رأيى ـ والذى فهمته من الملك ـ أن نوافق على البروتوكول ونضع التحفظات التى يشير إليها جلالته.

وقال يوسف: بل نضع أسسا جديدة معتمدين على أصل العبارة التى أشار إليها عبد الرحمن.

sharif mahmoud

وقلت: بل ممكن التوفيق بين الرأيين.. فلتوافقوا على البروتوكول ولتقولوا تحفظاتكم فى شكل مبادىء، تحبون أن تأخذها اللجنة بنظر الاعتبار حين تضع مشروع نظام جامعة الدول وحين اجتماع اللجنة التحضيرية والمؤتمر.

وبعد مناقشة، اتفقنا على أن نعمل على هذا الوجه.

وأخيرا، كلفونى أن أضع اقتراحات للعلاقات التى يريدها جلالة الملك، فقلت: لا.

فقالوا: أنت تشتغل سعودى ونحن نشتغل مصريين.

وضحكنا واتفقنا على أن نجتمع فى الصباح

وفى صباح اليوم التالى.. وكان يوم الأحد الموافق ١٩٤٤/٢/٣١ عقد اجتماع آخر فى القصر الملكى.

وجاء الشيخ يوسف ياسين بمشروع أدخلت عليه عدة تعديلات.

وفجأة قال الشيخ يوسف إنها الأسس التى يريدها الملك وبعد قبولها يتعدل البروتوكول.

ويقول عبد الرحمن عزام بالحرف الواحد:

غضبت.. وقلت: إذن قد جئت إلى هنا لأحمل تعليماتكم وأترك الحكومات العربية ورجالها ينتظرون لأكتب أنا بعض مبادىء وأحملها، فهذا لا يعقل . ولما فهموا غضبى، قال الأمير فيصل: يحسن أن يذهب يوسف وخالد لجلالة الملك وإحاطته علما بما تم بيننا، فذهبوا ثم استدعيت لمقابلة جلالة الملك، فلاطفنى ووجدته باشاً.. وبعد حديث عن الدعاية وعما يقصد وما يخشى، وكرر شيئا مما سبق له أن أفهمنى إياه.

قال: إن الجماعة أرادوا أن تشتغل أنت شغلهم.

فقلت: إذا كلفت أن أعمل كسعودى فإننى أعمل بصدق، أما هم فيكذبون إذا أدعوا أنهم يعملون كمصريين، فضحك وضحكنا، وكأن الأمر فى سياق المزاح!

وخرجنا من جلسة الملك على أن نصيغ نهائيا المبادىء التى كان يعبر عنها جلالته، والتى كانت فى الجلسات الماضية غير واضحة وأخذت تنجلى بالتعديلات والقالب الذى كنت وضعتها فيه، وخرجت وشعورى يتزايد بأننا انتهينا إلى تفاهم يرضى الجميع، فبعد أن اقتنع جلالة الملك بأن العزلة ليست فى مصلحته سواء كان اقتناعه ناشئا عن التفكير فيما قلته أو قاله الآخرون من رجاله أو نصحوا به فى غيبتى، فإنه كان واضحا أنهم جميعا عدلوا رأيهم، فقد اعترفوا لى كلهم بأن نصيحتهم لجلالة الملك كانت قبل موضوع رفض البروتوكول ـ وحتى قبل البروتوكول ـ كانت

sharif mahmoud

رفض التعاون أساسا لأنهم كانوا مسيئى الظن بالمشروع كله وبالقائمين عليه.

تلاحقت بعد ذلك اجتماعات عبد الرحمن عزام مع الأمير فيصل ومستشارى الملك عبد العزيز.

وكما يقول فى يومياته: أمر الملك فى اليوم التالى، وهو يوم الاثنين الموافق أول يناير سنة ١٩٤٥ بالانتقال من مكة إلى جدة.

وسافر الملك.. ليلحق به الجميع.

وشهدت مدينة جدة فى هذا اليوم، وفى يوم الثلاثاء ٢ يناير سنة ١٩٤٥ عدة اجتماعات لصياغة المبادىء التى تقرر أن تبعث بها الحكومة السعودية إلى القاهرة لوضعها موضع الاعتبار عند إدخال تعديلات على بروتوكول الاسكندرية.

وتم عرض هذه المبادىء فى صياغتها النهائية على الملك عبد العزيز فوافق عليها.

ويقول عبد الرحمن عزام:

دعانى الملك لتناول الغداء معه، وأمضينا جلسة ممتعة كان فيها متجليا بالتبسط مع الموجودين، وكنا نحكى عن شئون الناس، وبعض ما كان على المائدة.

وفى الصالون.. وبعد أن صرف الملك الحاضرين وبقيت معه وحدى، تحدثنا عن الترتيبات الخاصه بزياره الملك فاروق له (اجتماع رضوى بين الملك عبد العزيز وملك مصر).. وقلت له: إن الملك فاروق لو كان يعلم المشقات التى تعرضتم لها والتكاليف التى استلزمها قيامكم من نجد فى هذا الركب الهائل بآلاف الناس لتحين فرصة أخرى لرؤياكم، ولكنه ظن أنها رحلة بسيطة كما يفعل هو فى أسفاره فى الصحراء، وفى داخل مصر.

فقال الملك: إن ظروفنا هنا تختلف.. وقيامى من نجد يستلزم كما ترى قيام هذا الجمع من الناس.. والسيارات حالتها سيئة، وصادف سقوط الأمطار. ولكن سرورى بأننى سأرى فاروق أعظم من كل شىء، وأنا حقيقة عندى كل شىء هين فى سبيل تعارفنا شخصيا ومحبتنا.

فدعوت له، وقلت إن نفس هذا الشعور الذى يحرك الملك فاروق لهذه الزيارة غير الرسمية.

ثم قلت إننى سأعود قبل قدوم فاروق.. فهل تريد أن تنصحنى بشىء؟

فقال: إن مقصدنا هو التعارف والمحبة، وهل تحب أنت شىء؟

فقلت: أحب شىء فى حياتى أن أرى هذه الأخوة كاملة لأننى خادم مخلص لمصر وللسعودية، وسعادتى فى أن تكون جلالتكم وجلالة ملك مصر أخوة متفاهمين.

انتهز عبد الرحمن عزام بك، فرصة زيارته للمملكة العربية السعودية لاستعراض بعض

sharif mahmoud

التفاصيل الخاصة بالزيارة التى اتفق على أن يقوم الملك فاروق بها للسعودية.

واتفق على أن يقوم الملك بهذه الزيارة فى نفس الأسبوع بعد أن تقوم المملكة العربية السعودية بتوقيع بروتوكول الاسكندرية.

وفى يوم الأربعاء ٣ يناير سنة ١٩٤٥ ذهب عزام إلى القصر الملكى لوداع الملك عبد العزيز قبل العودة إلى القاهرة.

ويقول عبد الرحمن عزام فى يومياته عن هذا اليوم:

ذهبت إلى القصر الملكى لتناول الغداء بناء على أمر الملك، وكان على أن أقوم بوداع الملك لاضطرارى للسفر على الباخرة التى تحدد موعد مغادرتها لميناء جدة فى يوم الجمعة الموافق ٥ يناير سنة ١٩٤٥.

وبعد الغداء، أجلسنى الملك إلى جانبه ثم أمر وهو يلاطفنى باحضار اللبن.. و وجىء بإناء ملىء باللبن الحليب فأخذه وشرب منه ، ثم ناولنى إياه فشربت ثم دعانى للشراب أكثر فشربت للمرة الثانية.

ويقول عزام إنه عرف فى هذا اليوم من الشيخ يوسف ياسين أن الملك قام بتوقيع رسالتين، واحدة كانت موجهة منه إلى الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية، ورئيس اللجنة التحضيرية.. والأخرى للنقراشى باشا بصفته وزيرا للخارجية.

وكانت هناك رسالة أخرى موجهة من الشيخ يوسف ياسين إلى الدكتور أحمد ماهر يبلغه فيها موافقة الحكومة السعودية على أن يقوم بالتوقيع على بروتوكول الاسكندرية.

ولم ينتظر عزام، وبادر فى نفس اليوم.. أى فى يوم ٣ يناير سنة ١٩٤٥ بكتابة تقرير إلى الدكتور أحمد ماهر رئيس الحكومة المصرية بصفته رئيسا للجنة التحضيرية.

ويقول هذا التقرير الذى أرسل برقيا إلى القاهرة بواسطة المفوضية المصرية فى جدة:

اليوم اختتمت المباحثات بينى وبين الحكومة العربية السعودية على أحسن ما يرجوه العرب، وكان الفضل الأكبر فى ذلك لحكمة جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله، فقد أشرف على المباحثات بروح يملؤها العطف، وبرغبة أكيدة فى بناء مجد الأمة العربية وعزتها، فتفضل بإرشادنا إلى مبادىء قومية من شأنها أن تخطو باتحاد العرب وتعاونهم خطوات موفقة، وتأييدا لذلك أمر مندوبه فى اللجنة التحضيرية سعادة الشيخ يوسف ياسين بتوقيع بروتوكول الاسكندرية باسم الحكومة السعودية، وإننى إذ أهنىء دولتكم على توفيقكم الذى ترونه فى رد جلالة الملك المعظم

sharif mahmoud

على كتابكم ونصائحكم التى زودتمونى بها أؤكد لدولتكم أن سرورى بما وجدت من محبة صادقة وأخوة كاملة لا يقل عن سرورى بأنه كان لهذه المحبة أكبر الأثر فى الدخول فى اتفاق يرضاه الجميع، وقد وجدت شعورا فياضا فى جميع الدوائر هنا لتنمية العلاقات الأخوية والمصالح المشتركة بين مصر والمملكة العربية السعودية فى جميع الشئون، هذا الشعور يحيطه ويغذيه جلالة الملك عبد العزيز بعزمه وهمته العالية، وذلك ما أعده من توفيق الله لدولتكم وأنتم تسيرون إلى بناء جامعة الدول العربية وتتولون رئاسة العمل التحضيرى لذلك، ولا شك أن العرب فى وطنهم الأكبر سيستبشرون بجمع الشمل الذى هو مقدمة لظهور أمتهم العظيمة بالمظهر الذى أمر الله به من الاتحاد والكرامة.. عبد الرحمن عزام

وفى جدة، أمر الملك عبد العزيز الشيخ يوسف ياسين بالسفر إلى القاهرة وتوقيع ميثاق الاسكندرية.

وحمل الشيخ يوسف معه رسالة موجهة إلى الدكتور أحمد ماهر رئيس الحكومة المصرية، ورئيس اللجنة التحضيرية، ويقول نص هذا الخطاب:

الرقم ٢٧٨/١٩/١٧.

التاريخ ١٩ محرم سنة ١٣٦٤هـ..

الموافق ٣ يناير سنة ١٩٤٥م..

حضرة صاحب الدولة أحمد ماهر باشا..

رئيس مجلس الوزراء، واللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، تعلمون دولتكم أننى عندما كنت فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى فى اجتماعه الأخير بالاسكندرية ممثلا للحكومة العربية السعودية، لم أوقع على البروتوكول الذى وقع عليه من قبل ممثلو الحكومة المصرية وحكومات سوريا وشرق الأردن والعراق ولبنان، وأجلت ذلك إلى أن يدرس ذلك البروتوكول من قبل الحكومة العربية السعودية قبل توقيعه من قبل مندوبيها.

إن الحكومة العربية السعودية كانت ولا تزال من العاملين والراغبين فى جمع كلمة العرب وتود أن ترى كلمة الدول العربية مجتمعة ومتفقة على مبادىء وأسس قوية من شأنها أن تهدى إلى ما تصبو إليه الأمة العربية، وهى لذلك قد كلفتنى أن أبين هذه المبادىء كى تؤخذ بنظر التقدير والاعتبار أثناء عمل اللجان وأثناء التحضير لاجتماع المؤتمر.. والحكومة العربية السعودية تعتقد

sharif mahmoud

أن مراعاة هذه المبادىء تخدم الغرض المشترك للدول العربية وتعين على تحقيق أمانى أمتنا وهذه المبادىء هى كما يلى:

١ - يعقد بين الدول العربية حلف يرمى إلى تضامنها وتعاونها وسلامة كل منها وسلامة مجموعتها ويضمن حسن الجوار بينهم، وقد سبق للمملكة العربية السعودية والمملكة العراقية واليمنية أن سارت خطوة موفقة فى هذا السبيل.

٢ - على أنه من المفهوم أن لكل دولة عربية أن تعقد مباشرة اتفاقيات لسلامتها مع أية دولة عربية أخرى من غير أن تكون ضارة بإحدى الدول العربية مما يضمن حسن الجواروالتعاون الأخوى.

٣ - إن تكافل العرب وتحالفهم وتضامنهم ليس موجها إلى أية غاية عدائية نحو أية أمة أو دولة أو جماعة من الدول، وإنما هو أداة للدفاع عن النفس ولإقرار السلم ودوامه ولتأييد مبادىء العدل والحرية للجميع.

٤ - الحرب محرمة بين الدول العربية، وكل خلاف يقوم بين طرفين فى المجموعة العربية فى أمر جديد أو فى تقصير أحد الطرفين فى تنفيذ ما التزم به من تعهدات قبل حكومة عربية أخرى من دول الحلف يحل بالإصلاح والتوسط أو التحكيم على أصول العدل والقسط بين الأخوين محل الخلاف وإنفاذ ما لم ينفذ من تعهدات، وإذا امتنع أحد الطرفين عن قبول التحكيم أو عن الإذعان لما حكم به، فعلى الدول العربية نصيحته ودعوته للحق، فإن بغى واعتدى، فلها بعد التشاور أن تقرر ما تراه لإيقاف الاعتداء وإقامة العدل والقسط فى ساحة الأمة العربية.

٥ - اجتنابا للمشاكل بين الدول العربية يجب أن يكون مفهوما من البداية أن نظام سوريا ولبنان كجمهوريتين، سيستمر كما هو مفهوم أن استقلالهما التام متفق عليه.

٦ - أن السعى لتوحيد الثقافة وتوحيد التشريع بين الدول العربية وفى ساحة الأمة العربية كلها عمل مشكور، غير أن ظروف المملكة العربية السعودية ووجود الأماكن المقدسة بها يجعل لها وضعا خاصا، فهى ستمتنع عن تنفيذ أى مبدأ فى التعليم أو التشريع يخالف قواعد الدين الإسلامى وأصوله.

٧ - تتعاون الدول العربية على تسهيل معاملاتها وتجارتها وتقوية اتصالاتها باعتبارها أمة واحدة ذات مصلحة مشتركة، على أن هذا التعاون لا يحرم أحدا منها من حريته فى إدارته المالية والاقتصادية لبلاده وداخل حدود دولته بكامل سلطته حسبما تقتضيه ظروفه ومصلحته الخاصة.

sharif mahmoud

هذه هى الأسس التى ترى الحكومة العربية السعودية أن يبنى بها اجتماع كلمة العرب ولتسهيل الوصول إلى هذه الغاية السامية، فإنى بصفتى عضوا فى اللجنة التحضيرية ممثلا لحكومتى أوافق على البروتوكول الموقع بالاسكندرية بتاريخ ٢٠ شوال لعام ١٣٦٢ (الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤)..

يوسف ياسين

كانت هذه التحفظات أو المبادىء التى وضعتها الحكومة السعودية قبل أن تقرر التوقيع على بروتوكول الاسكندرية.

وفى يوم ١٦ يناير سنة ١٩٤٥، قام الشيخ يوسف ياسين بالتوقيع على هذا البروتوكول.

وفى ٧ مايو من نفس السنة، جاءت موافقة الإمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن بالموافقة على أن يقوم مندوبه السيد حسين الكبسى بالتوقيع على البروتوكول. ■
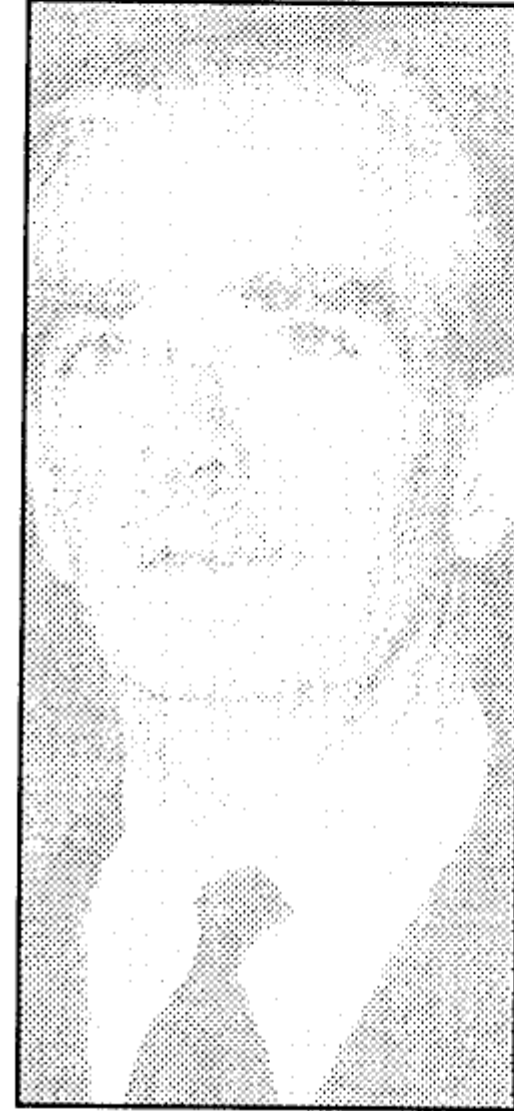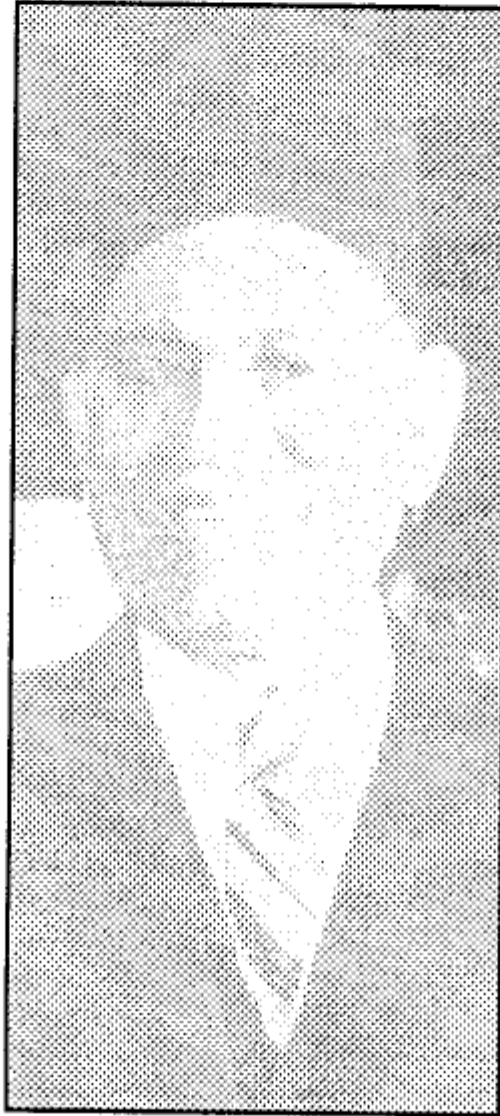
● إيدن أرادها جامعة عربية تلبس قبعة إنجليزية!

● الملك عبد الله أرسل برقية تحية إلى اللجنة التحضيرية.

● النحاس تحمس للدفاع عن مطالب اللبنانيين والسوريين من ديجول!

sharif mahmoud

الفصل الخامس

5

لقاء فاروق والملك عبد العزيز والحكومه المصريه آخر من يعلم !

● الملك فاروق يرتدى العقال الذى أهداه إليه الملك عبد العزيز فى لقائهما فى رضوى

- لماذا استقبل «فاروق» «عزام» فى جراج قصر عابدين
- عندما أقترح الملك عبد العزيز اقامة اتحاد بين مصر والسعودية
- الجامعة العربية قامت قبل الأمم المتحدة بـ ٢١٦ يوما و٩ ساعات !

sharif mahmoud

● فاروق والملك عبد العزيز يتناولان الطعام..

فاروق فى السعودية والحكومة المصرية لا تعلم

● سافر الملك فاروق للاجتماع بالملك عبد العزيز آل سعود فى رضوى دون أن يخطر حكومته وكادت أن تثير هذه الزيارة والمباحثات التى جرت فيها أزمة دبلوماسية لولا أن تمت تسوية الأزمة بسرعة.

● كان الملك عبد العزيز فى وداع الملك فاروق قبل أن يستقل اليخت الملكى عائداً إلى السويس
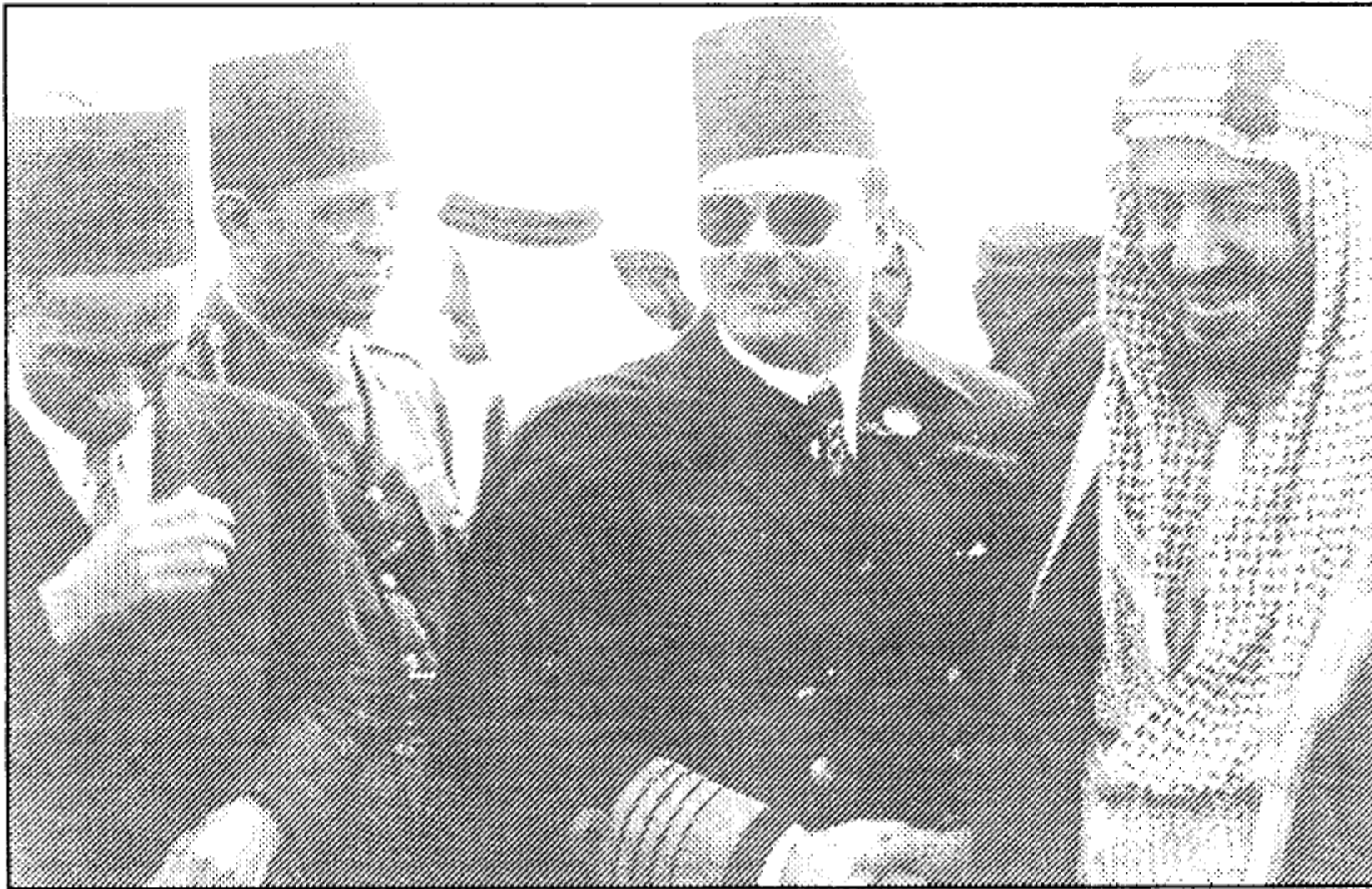
● الملك عبد العزيز يرحب بالملك فاروق بعد وصوله إلى رضوى وكان الملك عبد العزيز قد اقترح فى هذا اللقاء إقامة اتحاد بين مصر والسعودية تحت زعامة ملك مصر، واعترض عزام على إعلان مثل هذا الاتحاد حتى لا يثير الهاشميين.

sharif mahmoud

قام الشيخ يوسف ياسين بالتوقيع على بروتوكول الإسكندرية فى يوم ١٦ يناير سنة ١٩٤٥، وأصبحت المملكة العربية السعودية الدولة العربية السادسة التى وافقت على الانضمام الى جامعة الدول العربية. وفى يوم ٢٢ يناير، أى بعد ستة أيام، إختفى الملك فاروق من القاهرة، ثم فيما بعد عرف انه استقل اليخت الملكى «قاصد خير» من ميناء السويس، متجها الى ميناء ينبع بالسعودية ومنها إلى رضوى، وهى ميناء صغير لا يبعد كثيرا عن ميناء ينبع..

وفى رضوى تم اللقاء بين الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود.. حيث كانت السلطات السعودية قد أقامت مخيما فاخرا على شاطىء البحر فى هذه المنطقة. وفى هذا المخيم أقام الملك فاروق والبعثة المصرية التى كانت ترافقه يومين كاملين.. وأثناء أحد الإجتماعات ، اقترح الملك عبد العزيز آل سعود على الملك فاروق إقامة اتحاد بين مصر والسعودية برئاسة ملك مصر!

ولكن عبد الرحمن عزام اعترض على إقامة هذا الاتحاد، وقال عندما سئل عن رأيه فى مواجهة الملكين بالحرف الواحد:

- إنها فكرة عظيمة، وهى جديرة بالدراسة، ولكننى أنصح بعدم التسرع فى تنفيذها فى الوقت الحاضر، لأن التسرع والحماس قد ينتج عنهما الفشل، وإذا فشلت المحاولة الأولى لإقامة مثل هذا الاتحاد، فإنها ستكون نكسة لأية محاول اخرى.

وعرف ان الملك فاروق والملك عبد العزيز اقتنعا بهذا الرأى، وقررا إقامة جسر من التعاون الصادق بين بلديهما فى مختلف الشئون والمجالات بلا حساسية، ودون التقيد بأى نصوص قانونية مكتوبة.

وأذكر أننى سألت - ذات - مرة عبد الرحمن عزام باشا - بعد أن أصبح أمينا عاما للجامعة العربية - عن الحقيقة حول ما تردد عن هذا الاتحاد الذى اقترح الملك عبد العزيز إقامته مع مصر..

وقال عزام فى حديث لم يكن للنشر،، أى أنه لم يسمح لى بنشره فى تلك الأيام:

sharif mahmoud

- كان خوفى من أن يؤثر إعلان إقامة مثل هذا الاتحاد على التوازن بين الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية فى بداية نشاتها، وذلك للحساسية الشديدة بين العائلتين السعودية والهاشمية وكان من الجائز أن يفسر الإعلان عن أى إتفاق فى هذا الصدد من جانب الهاشميين ـ أى العراق وشرق الأردن ـ على أنه تكتل من جانب مصر والسعودية ضدهم..

وكان الملك فاروق قد إصطحب معه فى رحلته الى رضوى كلا من مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية، وعبد العزيز بدر بك مدير الإدارة العربية بالديوان الملكى فى تلك الأيام..كما أصطحب معه عبد الرحمن عزام بك الذى عرف فيما بعد بأنه كان وراء الإعداد سرا لترتيبات اللقاء بين الملكين السعودى والمصرى.. وأصطحب أيضا كريم ثابت مندوبا عن جريدة «المقطم» التى كانت تصدر مسائية فى القاهرة، ولم يكن قد عين بعد مستشارا صحفيا للديوان الملكى، كما لم يكن قد أنعم عليه برتبة الباشوية ليصبح اسمه كرم ثابت باشا..

وكان القصر الملكى فى القاهرة قد تكتم أنباء زيارة الملك فاروق للسعودية، فلم يخطر بها أحدا من المسئولين فى الحكومة المصرية..

وكان كل مايمكن ان يتبادر الى خاطر هؤلاء المسئولين عندما علموا أن الملك تحرك مع مجموعة من مرافقيه على ظهر اليخت «قاصد خير» من ميناء السويس، أنه قد خرج كما كانت عادته فى رحلة لصيد السمك فى مياه البحر الاحمر..

وبالتالى، لم يعرف أحمد ماهر باشا باللقاء بين الملكين فاروق وعبد العزيز فى رضوى إلا بعد عودة الملك على ظهر يخته الملكى إلى ميناء السويس..

وحاول أحمد ماهر باشا أن يقول شيئا: احتجاجا على قيام الملك بهذه الرحلة دون ان يخطره بها كرئيس للحكومة.

وكان رأيه.. أن لقاء الملك فاروق بالعاهل السعودى الكبير يعتبر عملا سياسيا، وأنه من صميم شئون الحكومة بحيث كان ينبغى التشاور معه بشأنه معه طبقا لأحكام الدستور.

وكشف حسن يوسف «باشا» وكيل الديوان الملكى فى مذكراته السياسية ـ التى نشرها فى كتاب بعنوان: «القصر ودوره فى السياسية المصرية ١٩٢٢ – ١٩٥٢» ـ بعض تفاصيل هذه الأزمة عندما قال بالحرف الواحد: اجتمع النقراشى باشا وزير الخارجية بكل من رئيس الديوان الملكى

sharif mahmoud

وكبير المستشارين الملكيين عبد الحميد بدوى باشا فى نادى محمد على بالإسكندرية، وحضرت الاجتماع الذى دارت فيه مناقشات فقهية ودبلوماسية، وقد انتهت المناقشة بأن أفتى بدوى باشا بأن اختيار عبد الرحمن عزام ضمن اعضاء البعثة يعتبر تمثيلا كافيا للحكومة باعتباره وزيرا مفوضا بوزارة الخارجية للشئون العربية..

وعرف النقراشى باشا قد اقتنع بهذه الفتوى، وكان رأيه كما قال:

- كان واجب عبد الرحمن عزام إطلاعى بما كان يعرفه عن الرحلة بصفتى وزيرا للخارجية!

ولم يعرف النقراشى باشا وقتها أن عبد الرحمن عزام كان هو الذى أعد كل الترتيبات الخاصة بلقاء الملكين المصرى والسعودى أثناء رحلته إلى السعودية كأمير للحج..

وأهدى الملك فاروق إلى الملك عبد العزيز اثناء لقائهما فى رضوى قلادة محمد على الكبير.

وفى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٤٥، توجه الملكان فاروق وعبد العزيز بالسيارات إلى المدينة المنورة حيث أديا صلاة الجمعة فى المسجد النبوى، ثم ودع الملك عبد العزيز ضيفه الذى عاد إلى رضوى ومنها أستقل اليخت قاصد خير عائداً إلى السويس.

وأرادت الصدفة بعد أقل من أسبوعين أن يوجه الرئيس الأمريكى روزفلت الدعوة الى الملك عبد العزيز للقائه على ظهر الطراد الأمريكى «كوينزى» الذى كان يقف فى بحيرة التمساح فى قناة السويس.

وأرسلت قيادة البحرية الأمريكية مدمرة أمريكية الى جدة ليستقلها العاهل السعودى الى مكان الاجتماع الذى عقد بينه وبين الرئيس الأمريكى..

وكان الاجتماع سريا للغاية، ولكن الملك عبد العزيز اشترط - للموافقة على حضور الاجتماع - إستئذان الملك فاروق حيث قال: "إن التقاليد العربية تمنعه من الحضور الى بلد دون علم ملكها..!"

واضطرت السلطات الأمريكية للرضوخ لرغبة الملك عبد العزيز فقامت بإخطار القصر الملكى فى القاهرة بموعد اللقاء بين الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكى روزفلت على ظهر الطراد الأمريكى «كوينزى» فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥..

وكانت إتصالات انتهت بالاتفاق على أن يقضى الملك عبد العزيز عدة أيام للاستجمام والراحة فى فندق أوبرج الفيوم فى ضيافة ملك مصر..

sharif mahmoud

وذهب الملك فاروق إلى الفندق للترحيب بالملك عبد العزيز وأبدى العاهل السعودى رغبته إلى الملك فاروق فى دعوة صديقه الحميم عبد الرحمن عزام لمقابلته..

وروى لى المرحوم عبد الرحمن عزام باشا بعد سنوات ـ فى حديث عن ذكرياته عن تلك الأيام ـ كيف دق جرس التليفون فى بيته، وكان المتحدث هو القائمقام حلمى مدير الركائب المكلية وكان واحدا من أفراد الحاشية المقربين الى الملك وقال حلمى حسين لعزام:

-إنها تعليمات الملك فاروق أن تحضر فى سيارة تاكسى لمقابلة جلالته فى الساعة العاشرة صباح يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٤٥ فى مبنى جراجات الركائب الملكية الملحق بقصر عابدين لأمر هام للغاية..

وتوجه عبد الرحمن عزام وهو فى أشد حالات الدهشة فى الموعد المحدد بالضبط إلى مبنى جراج الركائب الملكية ليجد الملك فى انتظاره داخل سيارة مرسيدس سوداء..

وفتح الملك الباب وقال لعزام: تفضل اركب..

وركب عزام بجوار الملك الذى انطلق بالسيارة بأقصى سرعة متجها إلى الفيوم .وأنزعج عزام بسبب اندفاع الملك فى قيادته للسيارة وكان أن حاول اقناع الملك بالتهدئه من سرعة السيارة..

والتفت الملك فاروق وهو يقول:

– أنت خايف على نفسك يا عزام..

ورد عزام على الملك قائلا:

– أنا لا أخاف من الموت، وقد سبق أن تعرضت له عدة مرات، ولكننى أخشى عليك ياصاحب الجلالة..

ولم يقل الملك شيئا،ولكنه فى نفس الوقت إزداد عنادا فلم يخفض من سرعة السيارة..

ويقول عزام: وصلنا إلى فندق أوبرج الفيوم لينزل الملك من السيارة، ثم نزلت وراءه..

وألتفت فاروق إلى عزام، وهو يقول له:

– عندى لك مفاجأة..

ودخل الملك، ومن ورائه عزام إلى الدور الأرضى من الفندق ليجد عزام نفسه أمام الملك عبد العزيز آل سعود..

وعاد فاروق إلى القاهرة، وترك عزام وراءه مع الملك عبد العزيز..

●●●

sharif mahmoud

وفى القاهرة، عقدت اللجنة التحضيرية عدة اجتماعات خلال شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٤٥..

وفى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ أقرت اللجنة ميثاق جامعة الدول العربية فى صورته النهائية .وكان عبد الحميد بدوى باشا كبير المستشارين الملكيين فى تلك الأيام، وهو الذى أصبح فيما بعد أول قاض عربى فى محكمة العدل الدولية بلاهاى - قد أدخل بعد التعديلات على ما سبق الاتفاق عليه فى يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ فى اجتماعات اللجنة التحضيرية فى قصر انطونيادس بالإسكندرية، أى فى اليوم السابق لإقالة حكومة النحاس باشا..، كانت كلها تعديلات قانونية، وقد روعيت فيها غالبية المبادىء والشروط التى وضعتها المملكة العربية السعودية للموافقة على التوقيع على بروتوكول الإسكندرية. وهى التعديلات التى جاءت فى رسالة الشيخ يوسف ياسين الى الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية ورئيس اللجنة التحضيرية

واتفق على أن يطلق اسم «ميثاق جامعة الدول العربية» على هذه الصيغة النهائية، على ان يطلق اسم: «بروتوكول الإسكندرية» على الخطوط الأساسية والمبادىء التى وضعتها اللجنة عند بداية تشكيلها وقبل ان تتفجر الأزمة بين حكومة النحاس باشا والقصر الملكى..

وقام مندوبو أربع دول من الدول العربية بالتوقيع على الميثاق فى صورته النهائية، فيما عدا مندوب اليمن الذى أعلن أنه ما يزال على موقفه فى انتظار تعليمات الأمام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن، وكذلك السعودية التى وقعت عليه بعد ذلك..

واتفقت اللجنة على اختيار عبد الرحمن عزام للعمل أمينا عاما للجامعة العربية لمدة سنتين قابلة للتجديد..

ولعلها أول مرة التى عرف فيها أن الحكومة العراقية - وكانت قد عرفت بدور عزام فى تحقيق التقارب، ولا أريد أن أقول المصالحة بين مصر والسعودية- حاولت

sharif mahmoud

أن تعترض على ترشيح عزام لمنصب الأمين العام للجامعة، وكان أن اقترح مندوب العراق فى اللجنة اسم الزعيم الفلسطينى موسى العلمى لهذا المنصب قال أن اختياره يعتبر تكريما لفلسطين ولجهاد شعب فلسطين.

وأيد مندوب شرق الأردن العراق فى ترشيحه، ولكن مصر والسعودية أصرتا على ترشيح عبد الرحمن عزام، وأيدتهما سوريا ولبنان..

وأضطر مندوب العراق لأن يسحب ترشيحه لموسى العلمى ولأن يعطى صوته مع إنتخاب عبد الرحمن عزام أمينا عاما للجامعة..

وكما قال لى أحد أعضاء اللجنة فى تلك الأيام:

– أراد مندوب العراق أن يعرقل عملية اختيار عزام لهذا المنصب فى معركة كان على يقين أنه لن يفوز فيها..!

●●●

وأقف قليلا أمام شخصية أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى المصرى فى تلك الأيام..

كان الرجل بشهادة كل السياسيين الذين تعاملوا معه من مصريين وعرب وأجانب داهية سياسية، وكان يتميز بالهدوء والروح الرياضية العالية..

وفى رأيى أنه لعب دورا كبيرا - بحكم منصبه فى القصر الملكى - فى تعميق دور الملك فاروق ورسم خطوات تحركاته السياسية بالنسبة لقضية الوحدة العربية..

وكان الرجل بشهادة عبد الرحمن عزام نفسه الجندى المجهول الذى ساند فى صمت من وراء الستار فكرة قيام جامعة الدول العربية تحت زعامة مصر..

وكان الرجل مثالا للنزاهة ونظافة اليد، ولم يحدث أن استثمر مركزه الى جوار الملك فى القصر الملكى فى تحقيق أى مكاسب شخصية لنفسه..

وكان فاروق يحترمه ويعتز به، وصحيح أنه جاءت فترة اهتزت فيها العلاقات بينه وبين الملك فاروق بسبب ما كان يتردد حول زواجه السرى من الملكة نازلى أم الملك، الا انه سرعان ما إستعاد ثقة الملك به، وعاد قويا ليعمل الى جانب الملك بكل إخلاص..

وأذكر أن الرجل ورث عن والده حوالى ١١٦ فدانا فى ناحية أبو حمص بمحافظة البحيرة، بالإضافة إلى ٣٠ فدانا أخرى فى ناحية بهتيم بالقرب من القاهرة، كما ورث منزلا كبيرا فى حى

sharif mahmoud

شبرا بالقاهرة، إلا أنه أضاع فى شبابه كل هذه الأراضى الزراعية والممتلكات للإنفاق على مظاهر المناصب التى تولاها، وعلى رحلاته التى اشتهر بها عبر الصحراء الغربية الى منطقة الكفرة والعوينات عند منطقة الحدود الجنوبية لمصر مع ليبيا، وعلى رحلاته بالطائرات التى كان يشتريها بماله الخاص ليطير بها من انجلترا الى القاهرة..

كان يريد أن يكون أول عربى يطير من لندن الى القاهرة بطائرة بمحرك واحد..

ولم يتحقق حلمه بعد أن تحطمت به ثلاث طائرات فى ثلاث محاولات اثناء رحلاته بها..

وعرف عن الرجل أنه كان يعيش مثقلا بالديون..

وروى لى أحدهم أنه كان يعمل أمينا أولا بالقصر الملكى عندما وقع عليه اختيار الملك فؤاد ليعمل رائدا للأمير فاروق ولى العهد فى لندن عندما أوفده والده الملك أحمد فؤاد للدراسة فيها..

وطلب الملك فؤاد إلى سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء إخطار أحمد حسنين باشا برغبة الملك فى اختياره للعمل رائدا لولى عهده..

وكانت مفاجأة عندما اعتذر الرجل عن تولى مسئولية المهمة التى أراد الملك تكليفه بها..

قال لكبير الأمناء: أنت تعلم يا باشا أننى مثقل بالديون، ولا يعقل أن أسافر إلى لندن مع ولى العهد وأن اكون رائدا فى الوقت الذى يلاحقنى فيه أصحاب الديون لمطالبتى بإسترداد ما إستدنته منهم..!

وعرف الملك فؤاد بإعتذار أحمد حسنين، فطلب إلى كبير الأمناء إبلاغه بأنه سيتلقى فى لندن راتبا يزيد عن حاجته، أما بالنسبة للديون فقد قرر الملك تشكيل لجنة لحصر الديون والعمل على أن يقوم الرجل بتسديدها بالتقسيط المريح..

ووافق أحمد حسين على السفر إلى لندن برفقة ولى العهد، ولكن الديون ظلت تثقل كاهله، وعندما مات فى اوائل عام ١٩٤٦ لم يجدوا فى رصيده بالبنك أكثر من ١٨٠ جنيها!

●●●

واقف هنا أمام حقيقة تاريخية هامة، وهى أن جامعة الدول العربية قامت، وأصبح لها كيانها الدولى قبل أن يتم توقيع ميثاق الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو بسبعة أشهر ويومين إثنين، حيث تم الإعلان عن قيام جامعة الدول العربية مع التوقيع على ميثاقها فى يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥، بينما لم يتم التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة إلا فى يوم ٢٤ أكتوبر من نفس السنة. وللدقة قامت

sharif mahmoud

الجامعة العربية قبل التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة بـ ٢١٦ يوما وتسع ساعات وهى الفرق الزمنى فى التوقيت بين القاهرة وسان فرانسيسكو بالولايات المتحدة.

وأظن أن المبادىء التى تضمنها ميثاق جامعة الدول العربية كالإنتصار للحرية فى كل مكان، ولكل الشعوب بلا تفرقة بين الأجناس، وأيضا الإعتراف بحق تقرير المصير لكل البشر، والعمل على حفظ الأمن والسلام الدوليين، هى نفسها المبادىء التى قام عليها ميثاق الأمم المتحدة.

وصحيح أن جامعة الدول العربية بدأت بسبع دول عربية، وأن هذه الدول كانت نامية وحديثة العهد بالإستقلال، إلا أن هذه الجامعة أصبحت بعد خمسين سنة من مولدها تضم ٢٢ دولة عربية تتمتع جميعها بالإستقلال الكامل، ولا يوجد على أرضها جندى أجنبى واحد، كما تغيرت خريطة العالم العربى السياسية بحيث أصبحت تختلف الآن تماما عما كانت عليه فى سنة ١٩٤٥ عندما أعلن عن قيام جامعة الدول العربية.

وفى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٥، شاركت خمس من الدول العربية فى الإحتفال بالتوقيع على ميثاق الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو لتمثل كتلة الدول العربية أكثر من ١٠٪ من عدد الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة عند قيامها وكان عددها ٤٦ دولة.

واليوم، أصبحت كتلة الدول العربية، (وعددها ٢٢ دولة)تمثل حوالى سبع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة. أى أن كل سبع دول أعضاء فى الأمم المتحدة منها واحدة عربية.

وأذكر أن حوارا دار بينى وبين المرحوم عبد الرحمن عزام باشا قبل وفاته فى عام ١٩٧٨ بعدة أشهر .

كنت فى زيارة له فى حلوان، وكان يتأهب للسفر إلى ليبيا لزيارة المناطق التى قاتل فيها فى شبابه مع المجاهدين الليبية ضد قوات الإستعمار الإيطالى.

قال لى: «كان حلمى دائما أن تصبح الدول العربية قوة عالمية، ومن ورائها قوى العالم الإسلامى الذى يضم دولا تمثل حوالى ثلث عدد الأعضاء فى الأمم المتحدة قلت له: وهل تحقق حلمك يا باشا» قال: لا يمكن أن تصبح الدول العربية قوة ما لم تتحد كلمة زعمائها..!

فقلت له: فى تصورى أن الدول الكبرى ستقف دائما بالمرصاد ضد وحدة العالم العربى..

قال: إن الخلافات بين الدول العربية ستؤدى حتما الى تفتيت القوى العربية، وبالتالى ستجد الدول الكبرى منافذ للتدخل وإثارة الخلافات بين القوى الوطنية فى الدول العربية..

sharif mahmoud

قلت له: ما هى توقعاتك للوحدة العربية فى سنة ٢٠٠٠، أى بعد قيام الجامعة العربية بحوالى ٥٥ سنة؟

قال رحمه الله: ستقوم فى العالم العربى منظمات وتكتلات إقليمية، ولكن الجامعة العربية ستبقى بإعتبارها المنظمة الأم التى لن يكون امامها إلا ان تضم كل ابنائها بلاتفرقة إلى صدرها. وقد يختلف هؤلاء الأبناء فيما بينهم، وهو أمر وارد دائما وطبيعى، ولكن الجامعة العربية هى وحدها التى تستطيع ان تجمع الأخوة عندما تقع الخلافات فيما بينهم، وأن تعيد الوئام إليهم..!

●●●

وتتكلم وثائق الأمانة العامة للجامعة العربية القديمة لتقول:

- كانت أول أزمة واجهت الجامعة بعد توقيع ميثاقها فى يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥، عندما حاولت فرنسا إعادة سيطرتها على كل من سوريا ولبنان..أرادت إعادة احتلال البلدين العربيين مرة أخرى..

وكانت بداية هذه الأزمة عندما وصلت إلى ميناء بيروت سفينة حربية فرنسية تحمل حوالى ٨٠٠ جندى من قوات الفرقة الاجنبية التى كانت تعمل تحت القيادة الفرنسية، وكانت غالبية هؤلاء الجنود من السنغاليين..

وكان وصول هذه السفينة الى ميناء بيروت فى يوم ٤ مايو سنة ١٩٤٥ أى بعد ثمانية أسابيع بالضبط من إعلان قيام جامعة الدول العربية..

وقالت السلطات الفرنسية أن هذه القوات جاءت لتحل مكان عدد مماثل من الجنود الذين تقرر مغادرتهم سوريا ولبنان للعودة إلى فرنسا..

ونزلت القوات القادمة من السفينة الحربية، بينما لم يصعد إليها اى جندى من الجنود الذين تقرر إعادتهم إلى فرنسا..

واعترض المسئولون السوريون، وقالوا أنها لم تكن عملية استبدال للجنود، ولكنها كانت عملية تعزيز واضافة جنود إحتلال جدد..

ويضم أحد الملفات القديمة بالأمانة العامة صورة مذكرة قال جميل مردم بك وزير الخارجية السورية أنه بعث بها الى المندوب الفرنسى المقيم فى دمشق فى يوم ٦ مايو سنة ١٩٤٥، وأرسل صورة منها إلى عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية..

sharif mahmoud

أنها مذكرة احتجاج على التصرف الفرنسي، وتقول بالحرف الواحد:

«لقد أبلغتموني أبان الزيارة التى شرفتموني بها يوم الجمعة ٤ مايو سنة ١٩٤٥ أن هناك سفينة حربية تقل ٨٠٠ جندى، وأنهم سيحلون محل الجنود الذين يغادرون البلاد السورية وقد أطلعت زملائى الوزراء على هذا النبأ، وأتشرف أن أعلمكم بأن الحكومة السورية ترى فى هذا العمل مظهرا من المظاهر التى تمس استقلال سوريا، ذلك الإستقلال الذى اعترفت به مختلف دول العالم.. فالحرب توشك ان تنتهى، وليس ثمة عذر يفسر نقل الجيوش فى هذه الأونة التى تبذل فيها الحكومة السورية غاية جهدها بغية تصفية المشاكل المعلقة بين فرنسا وسوريا فى جو من المودة والصداقة..

فسوريا، التى اشتركت فى الجهد الحربى، والتى أدت نصيبها فى النزاع المشترك، لها الحق بأن تطالب باحترام إستقلالها، ويجب الا تؤدى المساعدات القيمة التى قدمتها لدول الحلفاء الى الانتقاض من على حقوقها..

وترى الحكومة السورية ان المبادىء والشروط التى يخضع لها نظام نقل وأوامر الجيوش بسبب الظروف الحربية فى البلاد المستقلة ذات السيادة، قد أن لها أن تطبق فى البلاد السورية حتى لا تؤخذ البلاد على غرة وتفاجأ من حين إلى أخر بمثل هذه القرارات المنافية لسيادتها..

●●●

وتطور الموقف عندما وصل إلى دمشق فى يوم ١٢ مايو سنة ١٩٤٥.. جنرال فرنسى إسمه الجنرال بينيه ليتولى منصب الوزير الفرنسى المقيم فى كل من سوريا ولبنان..

وفى يوم ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ وصل إلى ميناء بيروت الطراد الفرنسى جان دارك، الذى كان يحمل على ظهره حوالى ١٥٠٠ من الجنود الفرنسيين..:

وذهب الجنرال الفرنسى الى شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية فى القصر الجمهورى بدمشق ليبلغه رسالة شفوية من الحكومة الفرنسية.. وكان يتكلم بغطرسة، وهو يعدد أمام الرئيس السورى ما وصفه بأنه مطالب الحكومة الفرنسية..

وابتسم الرئيس السورى، ثم قاطع الجنرال الفرنسى، وقال له:

– إن الحكومة السورية على استعداد لبحث هذه المطالب والدخول فى مفاوضات بشأنها مع الحكومة الفرنسية، ولكن بشرط أن يتم إبلاغها بتفاصيل هذه المطالب فى مذكرة رسمية مكتوبة،

sharif mahmoud

أما الحديث الشفى فإنه لن يفيد.

وخرج الجنرال الفرنسى من القصر الجمهورى فى دمشق ليبعث فى اليوم التالى ـ أى فى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٤٨ ـ مذكرة رسمية إلى جميل مردم وزير الخارجية فى الحكومة السورية..

وتقول هذه المذكرة بالحرف الواحد:

«من الجنرال بينيه المفوض الفرنسى إلى وزير الخارجية السورية.. إن المبادرة الأولى لسلطات فرنسا الحرة منذ وصولها الى الشرق كان إعلان استقلال سوريا ولبنان. وبعد هذه المبادرة، أصبح هذا الاستقلال امرا واقعا، وإنه ليسر فرنسا أن ما شرعت به قد اتى ثماره وهى تتمنى ان تمارس الحكومتان السورية واللبنانية سلطتهما كاملة بدون عرقلة أو عقبة من أى نوع كان،

وبهذه الروح، وبدون أدنى تحفظ بشأن استقلال سوريا ولبنان، ترغب الحكومة الفرنسية فى أن تؤمن فيما بنص بها صيانة المصالح الجوهرية التى تحتفظ بها فرنسا فى سوريا ولبنان ـ ان هذه المصالح هى على ثلاثة أنواع ثقافية واقتصادية واستراتيجية..

والأحكام الثقافية التى تهم سوريا ولبنان يمكن تحديدها وضمانها بإتفاق جامعى.. ويمكن تحديد الأوضاع الاقتصادية المتقابلة وضمانتها بإتفاقيات مختلفة ينص عليها بالاصول الدولية المعتادة كالاتفاق المتعلق بوضع الرعايا الاجانب والاتفاق القنصلى والاتفاق التجارى .. إلخ

أما الأوضاع الاستراتيجية فتتضمن إقامة قواعد تمكن من تأمين طرق مواصلات فرنسا وممتلكاتها فيما وراء البحار..

وعندما يتم التفاهم على هذه النقاط، توافق الحكومة الفرنسية على نقل القطاعات الخاصة الى الدولتين مع الاحتفاظ بإبقاء هذه الجيوش تحت القيادة الفرنسية مادامت الظروف لاتسمح بممارسة السلطات الوطنية لقيادة هذه الوحدات بالكامل..»

كانت مذكرة تفوح منها رائحة الغدر والعدوان، وكان فى رأى بعض المسئولين السوريين أنها كانت أشبه بالإنذار .

ولم ينتظر الرئيس السورى شكرى القوتلى، وفبادر بإرسال صورة من مذكرة الجنرال الفرنسى الى الامين العام للجامعة العربية..

أراد ان يستغيث بالجامعة العربية الوليدة!

● ● ●

sharif mahmoud

وكانت أول مرة تجري فيها اتصالات بين العواصم العربية للدول الاعضاء في جامعة الدول العربية حول مشكلة تواجه دولتين من الدول الاعضاء في الجامعة ..

كان استقلال سوريا ولبنان في خطر ..

وخرجت من الحجرتين اللتين كانت الأمانة العامة للجامعة تشغلهما بالدور الثاني بمبني وزارة الخارجية المصرية القديم ، في الأشهر الأولي بعد إعلان انشاء الجامعة، عشرات المذكرات التي كانت ترسل الي حكومات الدول العربية الأعضاء في الجامعة عن تفاصيل الازمة ..

وكانت هذه المذكرات تطبع علي ماكينة رونيو قديمة استعارتها الأمانة العامة من أحد مكاتب وزارة الخاجية المصرية..

وحمل مبعوث خاص رسالة من الأمين العام للجامعة الي شكري القوتلي فى دمشق..!

قال له ان فى رأية ان تعمل سوريا بسرعة علي توحيد موقفها مع لبنان في مواجهة التحرك الفرنسي الجديد..

أراد كما فهمت ان تواجه الدولتان العربيان الشقيقتان تهديدات الفرنسيين بموقف واحد..

ونصحه بأن يكون حاسما في موقفه ، وأن لايستسلم لمطالب الفرنسيين!

وأكد له ان الأمانة العامة للجامعة لن تدخر اي جهد في سبيل المحافظة علي سيادة البلدين الشقيقين واستقلالهما

وانقل عن بعض الاوراق القديمة التي يضمها أرشيف الامانة العامة للجامعة مذكرة تقول :

●●● قبل توقيع ميثاق الجامعة العربية وبالتحديد يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥، التقي الملك عبد العزيز آل سعود مع الرئيس الامريكي روزفلت وسأله بوضوح : ماذا سيكون عليه موقف الولايات المتحدة فيما لو حدث ان استمرت فرنسا في ضغطها غير المحتمل علي الدول العربية ومطالبتها باعادة احتلال كل من سوريا ولبنان..

وجاء رد الرئيس الامريكي علي جلالة الملك عبد العزيز بقوله:

«ان الحكومة الفرنسية اعطتني تأكيدا متكوبا باعترافها باستقلال سوريا ولبنان وانا استطيع ان اكتب رسالة الي الحكومة الفرنسية في أي وقت بان تحترم وعدها ، وان تبر بكلمتها. وفي حالة معارضة الفرنسيين لاستقلال سوريا ولبنان ، فان الحكومة الامريكية ستعطي كلا من سوريا ولبنان كل المساعدات الممكنة.

sharif mahmoud

واستطردت هذه المذكرة التاريخية تقول ايضا!

ـ وعندما اجتمع الملك عبد العزيز بالمستر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية اثناء الحرب العالمية الثانية تكلم معه ايضا بمثل ماتكلم به مع الرئيس الامريكي روزفلت مؤكدا علي ضرورة مساعدة سوريا ولبنان في مواجهة طلبات فرنسا التي لايمكن التسليم بها ..

وكان رد تشرشل لايختلف كثيرا عن رد الرئيس روزفلت وان اضاف انه يري من المستحسن اعطاء الفرنسيين بعض الامتيازات الخفية التي لاتمس الاستقلال، مثل الابقاء علي المدارس الفرنسية وامتياز سكك حديد لبنان ـ سوريا وما أشبه ذلك ..

واكد ايضا على اصرار بريطانيا علي عدم السماح للفرنسيين باتخاذ سوريا ولبنان مركزا استعماريا لهم

وكان تشرشل في لقائه مع الرئيس شكري القوتلي اكثر صراحة كما كان واضحا عندما قال للرئيس السوري بالحرف الواحد:

«في رأيي ان تقوم بين فرنسا وسوريا معاهدة شبيهة بالمعاهدة العراقية البريطانية وان يكون لفرنسا بعض الامتيازات الخاصة بالمدارس وبالسكك الحديدية وما اشبه ذلك» .

وفي يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٥ اي قبل إعلان ميثاق الجامعة العربية باقل من اربعة اسابيع أدلي تشرشل ببيان امام مجلس العموم البريطاني عن لقائه مع الرئيس السوري شكري القوتلي قال فيه بالحرف الواحد:

«لقد سررنا بحديث طويل مع الرئيس السوري شكري القوتلي حيث عملنا معا كل مافي وسعنا للاحتفاظ بموقف ودي تجاه فرنسا ولتشجيع التفاوض بهدف إيجاد تسويه مناسبة مع الفرنسيين، لابخصوص سوريا فحسب بل ولبنان أيضا. ولايسعني الا ان اوضح ان موقف حكومة صاحب الجلالة الملك وعلاقتها بحلفائها الفرنسيين محدد بتسوية عام ١٩٤٤ عندما اعلن استقلال هذين البلدين من قبل بريطانيا وفرنسا .

هذا وقد اكدت الحكومة البريطانية دائما انها لاترغب في ان تشغل مركز النفوذ الفرنسي في هذين البلدين ونحن عازمون ايضا علي احترام استقلالهما وان نبذل احسن مساعينا للمحافظة علي المركز الخاص للعلاقات الثقافية والتاريخية التي اقامتها فرنسا منذ عهد طويل في سوريا ولبنان

sharif mahmoud

وهكذا حدد ونستون تشرشل سياسة الحكومة البريطانية باحترام استقلال سوريا ولبنان والوقوف في وجه آية محاولات فرنسية لإعادة إحتلال البلدين ..

●●●

ان موقف الحكومتين البريطانية والامريكية كان واضحاًولم يمنع ذلك الفرنسيين من إثارة أكبر أزمة تعرضت لها المنطقة العربية في تلك الايام..

واعود بذاكرتي الي تطورات هذه الازمة عندما توجه الجنرال بينيه المقيم العام الفرنسي في يوم ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ الي دار رئاسة الجمهورية في دمشق في شبه مظاهرة عسكرية ..إذ كان مكلفا بان ينقل الي الرئيس السوري توضيحا جديدا لإنذاره السابق الذي ابلغه الي الحكومة السورية

واعتدل الجنرال الفرنسي في وقفته ثم قال للرئيس السوري :

. «ان الحكومة الفرنسية علي استعداد للتنازل عن القوات التي يطلق عليها إسم القوات الخاصة لكل من سوريا ولبنان علي ان تحتفظ فرنسا بحقها في تقرير اسلوب انتقال هذه القوات لادماجها في القوات الوطنية في كل من البلدين وتطلب فرنسا في المقابل قواعد بحرية في لبنان وأخري جوية في سوريا كما تطلب ضمانات اخرى لمصالحها في البلدين »

ورفضت سوريا هذه المطالب واصرت على سحب جيع القوات الاجنبية من اراضيها وطالبت بضرورة تسليمها القوات الخاصة علي جناح السرعة ..

وعرف ان اتصالات فرنسية دارت في نفس الوقت مع الحكومة اللبنانية وان المطالب الفرنسية قوبلت ايضا بالرفض.

وتلاحقت الاحداث عندما اصدرت الحكومة السورية بيانا تطلب فيه الي الجنود السوريين في الوحدات الفرنسية الخاصة بالانسحاب منها فورا والالتحاق بقوات الجيش الوطني السوري ويهدد باسقاط الجنسية السورية عن كل جندي سوري يتخلف عن تنفيذ ذلك.

وفي نفس الليلة إتخذت الحكومة اللبنانية نفس الموقف بالنسبة للجنود اللبنانيين في القوات الخاصة الفرنسية..

وكان رأي الرئيس شكري القوتلي ـ كما نشرته الصحف والمجلات العربية في تلك الايام ـ ان هؤلاء الجنود السوريين واللبنانيين قد قامت فرنسا بتجنيدهم للعمل تحت قيادتها أثناء الاحتلال

sharif mahmoud

الفرنسي اما وقد حصلت سوريا ولبنان عل استقلالهما فان مكان هؤلاء الجنود يجب ان يكون ضمن تشكيلات الجيش الوطني لكل من البلدين..

ومرت عدة ايام ثم تلقي الامين العام لجامعة الدول العربية تقريرا خطيرا من دمشق يقول:

●●● فوجئت احدي دوريات البوليس السوري في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٤٥ وكانت تباشر عملها في احد شوارع دمشق - بالجنود الفرنسيين وهم يطلقون نيران مدافعهم الرشاشة علي جنود الدورية، ثم توالت بعد ذلك حوادث اعتداء هؤلاء الجنود الفرنسيين علي المواطنين السوريين الآمنين ..

وجاءت انباء اخري تقول: قام الفرنسيون بقطع جميع الاتصالات بين سوريا وبين مختلف بلاد العالم وان دمشق اصبحت تعيش اياما عصيبة تحت الحصار

وكان تصورنا ان القوات الفرنسية تقوم بهذه الاعتداءات في عملية استعراض للعضلات ولكن الموقف في وسوريا ازداد تدهوراً في يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٤٥ عندما خرجت القوات الفرنسية من ثكناتها لتطلق النيران في جميع الاتجاهات، وكان تركيزها علي مبني مقر الحكومة وعلي مبني المجلس النيابي وعلي فندق قصر الشوق الذي اشتهر باسم فندق «الأوريانت بالاس» في دمشق..

وكان معروفا ان سعد الله الجابري رئيس المجلس النيابي يقيم في هذا الفندق وقالت.. التقارير التي خرجت من دمشق ان الاعتداءات استمرت لمدة اربعة ايام وتضاربت الانباء حول اعداد الشهداء الذين تساقطوا تحت وطأة رصاص الفرنسيين!

وفي القاهرة، تحرك عبد الرحمن عزام في اول عمل دبلوماسي بصفته امينا عاما للجامعة ..

فقام باتصالات مع دار السفارة البريطانية في القاهرة ومع الوزير المفوض الامريكي مطالبا بتدخل الحكومتين الامريكية والبريطانية لوقف مذابح الفرنسيين في دمشق. واثمرت هذه الاتصالات عن نتائج ايجابية عندما اصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الي قيادة الجيش التاسع البريطاني بالتدخل لوقف عدوان الجنود الفرنسيين علي المواطنين السوريين وفك الحصار علي مدينة دمشق. وكان تقي الدين الصلح يعمل في تلك الايام مستشارا للمفوضية اللبنانية بالقاهرة وكان القائم باعمال المفوضية السورية اسمه علي ماأذكر عاصم النائلي.

وتوجه الأمين العام للجامعة الي دار المفوضية اللبنانية في القاهرة حيث عقد مؤتمرا صحفيا اعلن فيه انه سيتخذ من مبني المفوضية اللبنانية مقرا مؤقتا للامانة العامة..

sharif mahmoud

وقال انه يعتبر كل مفوضية عربية مقرا للامانة العامة للجامعة العربية ..

وكان تصوري ان الامين العام قد ضاق بعمله في الحجرتين اللتين كان يشغلهما في مبني وزارة الخارجية المصرية القديم، فانتقل الي مبني المفوضية اللبنانية حتي تكون له حرية العمل والتصرف ..

وتلقي الامين العام في تلك الاثناء برقية من حكومة العراق تطلب عقد اجتماع عاجل لمجلس الجامعة العربية لمناقشة الموقف المتدهور في وسوريا ..

وعرف الملك عبد العزيز ال سعود بالرغبة التي ابدتها حكومة العراق فبعث ببرقية الي الامين العام للجامعة في يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ يقول له فيها:

- ابلغتنا حكومة العراق انها طلبت منكم اجتماع لمجلس الجامعة العربية لبحث في موقف فرنسا من سوريا ولبنان، والحقيقة ان هذه مسألة تهم العرب جميعا، والواجب علي العرب الاجتهاد في هذا الامر وبذل كل ممكن. ولكن يجب ان نلاحظ كما قيل «أحسن الناس من لم يرتكب عملا حتي يفكر ماتخبيء عواقبه»

واستطرد الملك عبد العزيز يقول في برقيته :

«يجب ان نفكر فيما سنفعله ومانستطيع ومالانستطيع ان نقوم به. اما رأيي في هذه القضية فأري ان تتفاهم الحكومة المصرية مع الحكومتين البريطانية والامريكية في هذا الشأن وثانيا تقديم احتجاج لفرنسا.»وفي رأيي ان يجيء طلب عقد مجلس الجامعة من اصحاب الشأن في وسوريا ولبنان طبقا لميثاق الجامعة. واذا اجتمعنا يجب ان تكون قراراتنا قيمة ومعقولة بحيث لاتتعارض مع خطة بريطانيا وامريكا في سوريا حتي لاتحمل علي الرجوع عن قراراتنا ..

ثم اختتم الملك عبد العزيز برقيته قائلا:

- نريد ان يكون موقفنا وموقف الحكومة المصرية واحدا، وعلينا ان نفكر ونعمل بحزم..

وتحرك الملك فاروق أيضا . فقام باستدعاء مستشار المفوضية اللبنانية والقائم بأعمال الوزير المفوض السوري لمقابلته .. ودامت المقابلة ٤٥ دقيقة..■

sharif mahmoud

الجيش التاسع البريطانى يتدخل

● جميل مردم رئيس وزراء سوريا مع رياض الصلح رئيس وزراء لبنان فى احد الاجتماعات للتنسيق بين الحكومتين فى مواجهة العدوان الفرنسى

الفصل السادس

6

- سوريا ولبنان يوحدان موقفهما ضد العدوان الفرنسى على دمشق !
- عزام يقترح إنشاء جيش عربى موحد للدفاع عن الدول العربيه
- سوريا ترفض السماح بإقامة قاعدة جوية فى اراضيها !

sharif mahmoud

● محرك إحدى الطائرات الفرنسية التى أسقطها المناضلون الوطنيون أثناء القتال

● أحد أحياء دمشق بعد العدوان الفرنسى ١٩٤٥/٥/٢٩

● استولى الوطنيون السوريون على عدد من الدبابات الفرنسية أثناء المعارك التى دارت فى شوارع دمشق

● هكذا دمر الفرنسيون قاعة اجتماعات المجلس النيابى

● وهكذا أصبحت بعد تجديدها على أثر جلاء الفرنسيين عن سوريا

sharif mahmoud

كان العدوان الفرنسى على سوريا ولبنان، أول مشكلة تواجه جامعة الدول العربية بعد أيام من إعلان قيامها.

وتحرك نورى السعيد فى محاولة للسيطرة على الجامعة.. فقام باتصالات مع العواصم العربية مقترحا عليها عقد اجتماع طارىء لمجلس الجامعة العربية لمواجهة الموقف.

وأراد أن تأتى المبادرة من جانبه، ولم يعجب ذلك الملك عبد العزيز آل سعود، فبعث إلى عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة فى يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ برقية أبدى فيها رأيه صراحة بالنسبة لقضية العدوان الفرنسى على سوريا ولبنان.

واقترح أن يتم التنسيق بين المملكة العربية ومصرلمواجهة الموقف.. وبادر عبد الرحمن عزام بإرسال برقية إلى جلالة الملك عبد العزيز يرد فيها على برقيته، قال له فيها:

١ ـ طلبت حكومة العراق مرارا عقد مجلس الجامعة، ولكن الحكومة المصرية كانت ترى انتظار عودة المندوبين العرب من سان فرانسيسكو، ثم حدثت حوادث سوريا ولبنان، فأصبح انعقاد المجلس متوقفا على رغبة سوريا ولبنان، وقد جاء طلب منهما بعقد المجلس بمقتضى المادة السادسة من الميثاق، فوافقت الحكومة المصرية على ذلك..وكانت رغبة سوريا ولبنان فى العجلة.. وأن يكون الاجتماع يم الاثنين ٤ يونيو، فوافقنا على ذلك، وأرسلت الدعوات إلى الدول الأعضاء.

٢ ـ إن نصيحة جلالة الملك عبد العزيز بوجوب الحذر والنظر فى عواقب الأمور هى نصيحة زعيم العرب الكبير المجرب.. والواجب علينا جميعا أن نضعها نصب أعيننا.

٣ ـ أبلغت الحكومة المصرية أمس الأول مفوضياتها فى لندن وواشنطن وموسكو بالاتصال بالمسئولين فى هذه الدول ووصف الحالة لهم، وطلب رأيهم ومعونتهم بصفتهم معترفين ومؤيدين لاستقلال سوريا ولبنان.. واليوم طلب رئيس الحكومة المصرية وزير فرنسا فى القاهرة وأبلغه أن للحوادث فى بلاد الشام أثرا سيئا جدا فى الرأى العام المصرى، وأن على فرنسا أن تعتدل وتهدىء الخواطر، فلا يتركوا جنودهم فى المدن تحتك بالأهالى.. وسيذيع اليوم رئيس وزراء مصر

sharif mahmoud

بيانا فى مجلس النواب والشيوخ المصرى تأييدا لسوريا ولبنان.

٤ ـ سأبلغ رأى جلالة الملك لرئيس الحكومة المصرية عن الاتصال بالانجليز والأمريكان.

٥ ـ اتصلت بدورى بممثلى أمريكا وانجلترا. فالأمريكيون صرحاء جدا وهم ضد ما تقوم به فرنسا ومؤيدون للعرب، أمّا الانجليز فهم ضد ديجول ويلومون فرنسا ولكنهم لا يبدون رأيا قاطعا فيما سألتهم عنه!

وقد أصدرت باسم الأمانة العامة للجامعة العربية بيانين ضد فرنسا وتأييداً لبلاد الشام، أحدهما فى ٢١ مايو فهنأنى عليه كبار الانجليز هنا، والثانى فى ٢٦ مايو وقد نشرته صحفهم وأذاعوه باهتمام لشعورهم معنا، ولكى لا يمكن أخذ كلام منهم عن مدى التأييد والمعونة للعرب!

ولكن يبدو أن الملك عبد العزيز كان قلقا خوفا من تدهور الموقف فى سوريا ولبنان، ولذلك بادر بمجرد أن تلقى برقية عبد الرحمن عزام بالرد عليه ببرقية أخرى قال له فيها:

سعادة عبد الرحمن بك عزام..

تلقينا برقيتكم، وأنا ممنون منكم ومتشكر، وأما الرأى الذى عندى فأنت وقفت عليه تماما، علاوة على ذلك، إن الآراء التى بينتها هى رأيى.

وعلى كل حال فأنت تعرف حالتى مع أهل سوريا ومواقفى معهم سابقا ولاحقا، وأهل سوريا يعرفون ذلك تمام المعرفة.. ومنذ صارت هذه الحادثة الأخيرة، وأنا ملح على الفرنساويين وملح على الأمريكيين والبريطانيين، تارة فى البرقيات، وأخرى بواسطة وزرائهم. «قف».. أما الفرنساويين، فقد أتانا منهم مكتوب طيب قبل هذه الحوادث الأخيرة مظهرين فيه لنا الصداقة وأنهم مستعدون أن يقبلوا نصائحنا.. وبعد الحادثة كتبت لهم رسالة بينت لهم فيها ما عندى، وذكرت لهم بأن الأحسن هو أن يخلصوا أمورهم مع سوريا ولبنان بطريقة ودية تحفظ مصلحة أهل سوريا ولبنان ومصالحهم، وأن عملهم هذا سيكون له أحسن الأثر فى حقهم.. القصد، كتبت لهم كتابا مثل ما تقول العامة «سوط وليث».. وأخبرتهم إن كانوا يريدون أن أتوسط فى مسألتهم فنحن مستعدون وإلى الان لم يصلنا جوابهم.

أما البريطانيون والأمريكان فكتبنا لهم مرارا فى هذه المسألة، فأما البريطانيون فالحقيقةأنهم معذورون بموجب الانتخابات الحاضرة فى بلادهم وإنشغالهم بها.. أما الأمريكان فإنهم يؤملونا آمالا طيبة مثل ما ظهر لكم.

sharif mahmoud

أما الدعاية فى هذا الصدد، ففيصل فى أمريكا ما قصر هو وأخوانه.. عملوا كل ما استطاعوا هناك.. ونقول إن شاء الله إنها تنجح.. وذلك بموجب تأكيدنا عليهم، علاوة على ذلك أخبرنا الابن فيصل بأنه بعدما تنتهى مسألة المؤتمر سيقيم مدة لأجل الدعاية لسوريا ولبنان ولفلسطين، وأجبناه بأن مسألة الدعاية تهم الجميع، ولهذا يجب أن تشاوروا البريطانيين والأمريكيين فى هذا الأمر أحسن.

أخى.. إن الكلام فى هذه المسألة يطول ويعرض، أما الكلام مع الدول وبالخاصة بريطانيا وأمريكا فكل ما يتكلمون نحن نرى له نتائج طيبة، ولكى يحصل بعض الملاحظات التى لم نعرف الغاية منها.. وهى أربعة أمور:

الأول: اشتغالهم فى أوروبا ما لا يخافكم وهم مرتبكون فى أمورهم.

والثانى: حالتهم مع اليابان، كل هذا يشغلهم عن مسألتنا وكلها خطرة عليهم.

والثالث: مسألة اختلاف الحكومات فيما بينهم.. إذ نرى ونشاهد اختلاف وجهات النظر بينهم ولا نرى فيما بينهم من اتفاقيات.

أما الرابع: ما هو خافيك مقاصد الحكومات وأهدافها البعيد والقريبة.

فهنا لابد أن تضعوها أمام أعينكم واعلموا جزما بأنهم يقدمون مصالحهم على كل شىء ، ومشهور ومعروف لدى العموم، إذا حدث شىء من المشاكل فإن مصالحهم مقدمة على كل حال.

أمامسألة فلسطين فحالتها ليست خافية عليكم.. وتعرف أن الموقف صعب من جميع الوجوه، نرجو الله أن يسهل الأمور التى فيها. أما سوريا ولبنان، فلا أظن أن الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية يرضون بضغط الفرنساويين على العرب، لأن هذا ما هو فى مصلحتهم.. ومصلحتهم تقضى ألا يطردون من سوريا بتاتا، وفى نفس الوقت لا يتمكنون فيها كلية.. ولكن يا أخى إن حوادث العالم مشكلة معقدة، وليس لأى حكومة فى سياستها وتمشية أمورها حرية التصرف، وكل منهم يحتاج إلى صاحبه يدان فوق يدين، ونحن أمام ثلاثة احتمالات:

الأول: لا نعرف حقيقة بريطانيا وأمريكا فى الوقائع التى تحدث فى سوريا ولبنان وماذا يريديون.. هل يريدون أن يقوموا قومة طيبة، وأن يخمدوا النار؟.. أما الظواهر التى ظهرت لنا لحد الآن، فإنها إنشاء الله ستكون ناجحة، وهذا ما سيكون إن شاء الله.. ولكن مصلحتهم الحاضرة كما ذكرنا أعلاه غير معلومة لدينا، وما هى حقيقة مرادهم ومصلحتهم.

sharif mahmoud

الثانى: إننا نحب أن نصيح وأن نعمل كل شىء.. وفوق الصياح، وقد كتبنا برقية موقوفة فى جدة لترسل عند اللزوم وهى لفرنسا وأمريكا وبريطانيا، ولكن ما بانت النتيجة منهم إلى الآن حتى نمشى على طريقة بينه.

الجامعة العربية فى أفضل المشكلات.. إن ترك مسألة سوريا ولبنان غير ممكن.. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن تجازفت الحكومات فى أمر.. وقالوه وهم غير قادرين على فعله فهذه مصيبة.. ورأيى إننا نكتب لفرنسا وبريطانيا وأمريكا كتابات تبين الحقوق التى لسوريا ولبنان، وأنشره عليهم لأجل إثبات هذه الحقوق التى لسوريا ولبنان.. وتسير كتاباتنا حجة للعرب عليهم وإظهارا للحقائق بلا تجازف.

الثالث: كل ما تقدرون تتقربون من الأمريكان والبريطانيين وتبدون لهم رأيكم وتأخذون آراءهم فهذا أمر أوفق ومفيد لأنهم يعضدونكم من حكوماتهم.

هذا ما أراه.. وكما قيل «وأحزم الناس من لم يرتكب عملا حتى يفكر ما تجنى عواقبه».

أما العذر عن سوريا ولبنان وهم فى هذه الحالة لهذا مشكل علينا.. وملزمون نقوم بأمرهم.. ولكن يكون المدخل واضحا حتى يكون المخرج أيضا واسعا.

كنا قبل هذه الحوادث قد تلقينا دعوة من فرنسا لأجل زيارة الابن فيصل لباريس.. وكنا لبينا الدعوة مبدئيا.. ولكن بعد وقوع هذه الحوادث الأخيرة فى سوريا ولبنان وعمل الفرنساويين ما عملوا، وجهنا رسالة للجنرال ديجول ووزير فرنسا بينا له موقف العرب جميعا من سوريا ولبنان وطلبنا فيها من فرنسا أن توضح فيها موقفها حتى تكون الشعوب العربية على بينة، ونحن ما زلنا فى انتظار الجواب.

فإذا وردنا الجواب من ديجول وفيه ما يطمئن الخاطر فنريد أن نسمح للابن فيصل بالزيارة، وإذا كان الجواب على خلاف ذلك فنريد أن نلغى هذه الزيارة، ونفيدهم بأنه لا يمكن أن نسمح بزيارة ابننا إلى باريس بينما فرنسا تقوم بالأعمال العدائية إلى الشقيقات سوريا ولبنان.

ووددنا أخباركم بهذا لتكونوا على معلومية.

●●●

وأنقل من أوراق جميل مردم بك رئيس وزراء سوريا بالنيابة التى نشرتها ابنته السيدة سلمى فى باريس بعنوان: «سوريا كويست» بعض فقرات عن الأزمة التى واجهت سوريا ولبنان بعد

sharif mahmoud

الاستقلال.

إن أوراق جميل مردم بك تقول بالحرف الواحد:

اجتمع الرئيسان السورى واللبنانى ورئيسا حكومتيهما فى شتورا يوم ١٩ مايو سنة ١٩٤٥ وقد دام الاجتماع مدة أربع ساعات، وقد تمت دراسة المواضيع الفرنسية ـ السورية والفرنسية ـ اللبنانية خلال هذا الاجتماع بمنتهى الإمعان، وكذلك المذكرة الفرنسية.. وقد تقرر بألا تدخل دولة منهما فى مفاوضات دون استشارة الدولة الأخرى. وقد قال الطرف السورى للطرف اللبنانى بأن سوريا قد صممت عزمها على تسلم قيادة القطاعات الخاصة وأن قانون حماية الاستقلال الذى تم التصويت عليه فى يوم ١٤ مايو هو خطوة فى هذا الاتجاه وطلب إلى الطرف اللبنانى أن يسير فى الطريق نفسه عندما تسمح الظروف، وبذلك وافق الطرفان على تحضير مذكرات توجه إلى رؤساء الدول الغربية والدول العظمى لإعلامهم بالتطورات الأخيرة كما تم الاتفاق على أن يكون نص المذكورة السورية مطابقا لنص المذكرة اللبنانية وذلك لتقديم البرهان للقوى العظمى بأن سوريا ولبنان متحدتان فى الرأى، وفى نهاية الاجتماع اذيع بلاغ رسمى بالنص التالى:

«اجتمع فى شتورا أصحاب الدولة والمعالى رئيس الوزراء السورية بالوكالة ووزير الخارجية ورئيس الوزراء اللبناني ووزير الخارجية اللبنانية فى التاسع عشر من الشهر الحالى للتداول فى الموقف السياسى الناشىء عن إرسال فرنسا للمرة الثانية جنودا إلى لبنان وسوريا دون موافقة من البلدين السورى واللبنانى على الرغم من إبلاغ الحكومتين السورية واللبنانية ممثل فرنسا من أجل وجوب نيل موافقتهما قبل استقدام الجنود ومن تقديم ممثل فرنسا مذكرة بمقترحات لتكون أساساً للمفاوضات بين الجانب الفرنسى والجانبين السورى واللبنانى.. وقد رأى ممثلو الحكومتين السورية واللبنانية أن إنزال الجنود على النحو الذى يعتبر انتقاصا لسيادة البلدين وأن المذكرة تتضمن مقترحات، وتنم عن روح لا تتفق واستقلال سوريا ولبنان.. لذلك اتفق الجانبان السورى واللبنانى على عدم الدخول فى المفاوضات مع الجانب الفرنسى وإلقاء جميع التبعات التى يمكن أن تنجم عن هذا الموقف على عاتق الحكومة الفرنسية كما قررا توحيد الجهود والمساعى للدفاع عن سيادة البلدين واستقلالهما.. شتورا فى ١٩ أيار ١٩٤٥»

وتقول أوراق جميل مردم بك:

«فى مساء يوم ١٨ أيار «مايو» أصيب الرئيس شكرى القوتلى بعارض صحى شديد عقب

sharif mahmoud

عودته من شتورا، فقد نزفت القرحة التى كان يعانى منها فى معدته والتى كادت أن تودى بحياته فى العام الماضى، وقد أشتد النزيف فى الليل فطلب أن يرانى على وجه السرعة، وذهبت إليه ليقول لى ودموع الألم تملأ عينيه: ياجميل.. إننى أعتمد عليك الآن.. وأنا واثق إنك قادر على مواجهة الموقف، وإننى آذن لك بالقيام بمهام الرئاسة بالنيابة فى جميع الشئون.

ولم يكن فى وسعى إلاأن أطمئن الرئيس القوتلى بأن الأحداث تتطور لمصلحة سوريا، وطلبت إليه ألا يقلق وأن يركز اهتمامه على صحته.

وبادرت فى نفس الوقت، باستدعاء فريق من الأطباء من بيروت وطلبت فى نفس الوقت من السلطات البريطانية أن تقدم كل مساعدة صحية موجودة تحت تصرفها لعلاج الرئيس.

ولم تتردد السلطات البريطانية فى تقديم كل ما أمكنها فى هذا الصدد.

وكان الإعلان عن الأزمة الصحية التى أصابت الرئيس القوتلى فى نفس الوقت الذى صدر فيه البلاغ المشترك عن اجتماع شتورا، مما ألهب الموقف فى سوريا بدرجة لم تشهدها البلاد من قبل.

وحاول الفرنسيون إثارة الفتن والقلاقل بتشجيع بعض الحركات الانفصالية فى عدة مناطق بتوزيع الأسلحة على العصاة ضد الحكومة المركزية الوطنية، ولكن غالبية الشعب السورى وقفت فى وجه هذه المحاولات بالمرصاد.

ولعب صبرى العسلى وزير الداخلية دورا كبيرا فى دعم وحدة الشعب السورى فى مواجهة مؤمرات الفرنسيين.

إنه ينحدر من عائلة وطنية لها ماض فى النضال الوطنى، وقد شارك فى الثورة السورية إلى جانب شقيقه فائق الذى استشهد خلال الثورة، وكان من أبرز الشباب الوطنيين شجاعة وصاحب حيوية كما كان خطيبا وسيدا فوق منابر الخطابة.

وساعد على ذلك أيضا سعد الله الجابرى، وكان رئيسا لمجلس النواب وقد استطاع أن يحول بين النواب والإنجرار وراء ألاعيب الفرنسيين.

وهكذا عملت الحكومة السورية على توحيد موقفها مع الحكومة اللبنانية عملا بنصيحة عزام بك الأمين العام للجامعة العربية.

وفى يوم ١٩ أيار «مايو» سنة ١٩٤٥.. كان قد اتفق على أن يعقد مجلس النواب السورى

sharif mahmoud

اجتماعا فى الساعة الخامسة من بعد الظهر، وأعد الفرنسيون مخططا لقصف مبنى البرلمان بقنابل المدافع أثناء اجتماع المجلس لقتل أعضاء الحكومة والنواب، وإلقاء القبض على من يفلت منهم من الموت لإحداث فراغ دستورى يسمح لهم بأن يملأوه وفرض ما يريدونه على الشعب السورى.

●●●

ويتكلم جميل مردم بك فى أوراقه عما حدث فى ذلك اليوم فيقول:

«توجهت فى الصباح إلى مبنى الحكومة حيث ألقيت خطبة فى مظاهرة نسائية قامت بها المنظمات النسائية، ثم قصدت إلى منزل الرئيس القوتلى حيث كان ما يزال يعانى من المرض، وفى الساعةالخامسة بعد الظهر ذهبت إلى مبنى دار البرلمان حيث عرفت من الرئيس الجابرى أن النية قد اتجهت لتأجيل اجتماع المجلس نظرا لتغيب عدد كبير من الأعضاء، وعدم توافر الأغلبية المطلوبة لانعقاده، وأذكر أنه أثناء مغادرتى مبنى دار البرلمان أن أثار انتباهى تجمع بعض حشود الجنود الفرنسيين مع مدرعاتهم وعرباتهم المصفحة حول بناء مجلس النواب، وأثار منظر تجمع هؤلاء الجنود ريبتى، ولذلك بادرت بالاتصال بالرئيس الجابرى من أقرب تليفون، وطلبت إليه أن يغادر مكتبه فورا، ومعه جميع النواب الموجودين فى مبنى البرلمان.

قلت له إننى أتوقع أن يبدأ الفرنسيون عدوانهم بضرب مبنى البرلمان بقنابل المدافع.

واستطرد جميل مردم بك فى رواية تفاصيل ما حدث فى تلك الليلة قائلا:

«صدقت توقعاتى عندما قامت القوات الفرنسية برفع العلم الفرنسى فوق مبنى رئاسة الأركان الذى يقع فى مواجهة مبنى البرلمان فى الساعة السابعة مساء، ثم طلبوا من أفراد الشرطة السورية المكلفين بحراسة مبنى البرلمان أن يحيوا العلم الفرنسى، ولكن مفوض الشرطة رفض.

وجاء الرد بسرعة عندما ألقى أحد الجنود الفرنسيين قنبلة انفجرت أمام مدخل مبنى البرلمان.

وكان إلقاء هذه القنبلة على ما يبدو هو الإشارة التى بدأت القوات الفرنسية معها ضرب مبنى البرلمان بقنابل مدافعهم.

ويقول جميل مردم بك:

«أحمد الله أن الرئيس الجابرى كان قد غادر مبنى البرلمان ومعه أعضاء المجلس من النواب الذين كانوا داخل المبنى قبل أن تبدأ عملية قصف المبنى بدقائق معدودات»

sharif mahmoud

وسجلت أحداث تلك الليلة إطلاق الجنود السنغاليين الرصاص بوحشية على أفراد الشرطة السوريين، مبتدئين برئيسهم وكان اسمه المفوض سعيد القهوجي.

لقد قتلوهم جميعا، ثم قاموا باقتحام مبنى مجلس النواب فهدموه وأتلفوه، وهم يفتشون عن الوزراء من أعضاء الحكومة وعن النواب الذين كانت السلطات الفرنسية قد أصدرت أوامر بالقبض عليهم دون أن تعرف هذه السلطات أن جلسة اجتماعات مجلس النواب قد تأجلت.

ودخل الجنود الفرنسيون مكتب رئيس المجلس، وقاموا بمصادرة جميع الأوراق التى كانت فيه، وعندما اكتشفوا أنه لم يكن بالمجلس أى نائب أو عضو فى أعضاء الحكومة وجهوا قنابل المدفعية إلى الأبنية الحكومية المجاورة ، كما استهدفوا القلعة حيث كانت تضم قيادة الدرك والسجن المدنى.

وجاءت الطائرات الفرنسية فى تلك الأثناء لتضرب مبنى السجن المدنى بالقنابل ممأادى إلى مقتل عدد كبير من السجناء.

واضطر النائب فخر البارودى، وكان قد تطوع فى الدرك بنفس رتبته العسكرية التى كان يحملها أيام الدولة السورية فى عهد الشريف فيصل، لأن يصدر أوامره بإطلاق سراح جميع المساجين، وكان عددهم كبيراً..

وكان إطلاق سراح هؤلاء المساجين هو الذى أنقذ حياة الكثيرين منهم.

ومضى جميل مردم بك يقول فى شريط ذكرياته عن هذا اليوم الأسود الذى عاشته دمشق:

«كنت عندما ـ بدأ القصف على غالبية أعضاء الحكومة ـ فى السراية، أى مبنى رئاسة الحكومة، وكان الفرنسيون تنفيذا لمخططاتهم قد صمموا على التخلص بالقتل من الرئيس القوتلى، ومنى، ومن الرئيس سعد الله الجابرى.. ولما لم يتمكنوا منا فى مبنى البرلمان، فقد قاموا بتوجيه قنابلهم إلى فندق «أوريانت بالاس» حيث كان الرئيس الجابرى يقيم عندما يكون فى دمشق.

وقتل من جراء هذا القصف عدد من الأجانب من بينهم ضابطان بريطانيان.

وفى نفس الوقت قاموا بتوجيه قذائف مدافعهم إلى مبنى وزارة الخارجية، وكان تصورهم أننى قد أكون بداخل هذا المبنى.

ويقول جميل مردم بك: طلبت إلى الوزراء الذين كانوا معى فى مبنى سراى الحكومة مغادرة

sharif mahmoud

المبنى على أن يتفرقوا وأن يلجأوا إلى منازل قريبة.

ولم يكن فى وسعى أن أتوجه إلى منزلى لأنه كان فى منطقة لم يكن من السهل الوصول إليها مع انتشار القوات الفرنسية فى مختلف أنحاء المدينة، ولذلك اصطحبت صبرى العسلى وزير الداخلية، وتوجهنا إلى بيت خالد العظم وزير المالية فى حى قديم اسمه «سوق روجة» وقد تمكنا من الوصول إليه عن طريق أزقة لم يكن الفرنسيون يأمنون على أنفسهم التواجد فيها.

ولم نكن نعرف أن القوات الفرنسية قد قامت فى تلك الليلة باحتلال مراكز التليفونات ومراكز توزيع الكهرباء.. أرادوا فرض سيطرتهم على مدينة دمشق، وقطع أى اتصال بينها وبين العالم الخارجى.

ويقول جميل مردم بك فى أوراقه:

«اتصلت من بيت خالد العظم بالرئيس القوتلى فى التليفون حيث أبلغته بأننى وأعضاء الحكومة سالمون، وقلت له إننى سأقوم بمحاولة زيارته فى الصباح.. ولا أعرف. كيف التقط الفرنسيون هذه المكالمة؟ فقد بدأوا فى تلك الليلة بقصف حى «سوق روجة» حيث كنا نقيم فى بيت خالد العظم وزير المالية بالقنابل.

«وفى صباح يوم ٣٠ مايو «أيار» جاء النائب فخرى البارودى لدار خالد العظم وأخبرنى بأن الفرنسيين هدموا أثناء الليل عدة منشآت، وأنهم يشيعون بأن الحكومة بادرت بالفرار من العاصمة إلى جهة مجهولة، وأن ثورة ضد الحكومة قد اشتعلت فى حى الأكراد فى دمشق»

ومضى جميل مردم بك يقول:

«كان علي أن أذهب لمقابلة الرئيس القوتلى، ولم انتظر وبادرت بركوب سيارتى ولم اصطحب معى سوى سائقى وحارس واحد، ثم اتجهت إلى حى الأكراد فى مجازفة خطيرة من أجل أن أتأكد بنفسى مما يجرى فيه، ولم تكن مفاجأة عندما أثار ظهورى بين أهالى الحى حماسهم، فالأكراد الذين يمجدون الشجاعة التفوا حول الحكومة، وعرضوا تقديم خدماتهم للمشاركة فى القتال ضد الفرنسيين.

وأثارنى روح الأكراد وما عبروا به فى لقائى السريع معهم عن مشاعر تفيض بالحماس والوطنية.. وانتهزت الفرصة لألقى فى جموعهم التى احتشدت حولى خطابا سياسيا وصفتهم فيه بأنهم أبناء صلاح الدين الذى ألحق الهزيمة بالمحتلين الأوروبيين للأراضى العربية، وطلبت إليهم

sharif mahmoud

أن يسيروا على خطاه.

وانقلب ما وصفه الفرنسيون بأنه ثورة الأكراد ضد الحكومة إلى مظاهرة تأييد وثورة ضد الفرنسيين.

وتوجهت بعد ذلك إلى بيت الرئيس القوتلى لأجد فى انتظارى مفاجأة أخرى.

كانت إحدى المصفحات البريطانية ترابط أمام البيت، وكان الجنرال الانجليزى كلارك قائد القوات الانجليزية فى سوريا يقودها بنفسه.

ولأول وهلة تبادر إلى خاطرى أن صحة الرئيس قد تدهورت أثناء الليل، وأنه طلب حماية بريطانية.

وهدأت أعصابى عندما أخبرنى الجنرال كلارك بأنه مكلف بمرافقة القائم بالأعمال الأمريكى أثناء زيارته لرئيس الجمهورية.

ويقول جميل مردم بك فى شهادة تاريخية مهمة عن تطورات الموقف فى دمشق:

«فوجىء القائم بالأعمال الأمريكى برؤيتى وبادرنى بقوله إن الفرنسيين أبلغوه أن الحكومة لم يكن أمامها إلا الفرار وأنه شخصيا لم يتمكن من التجول فى المدينة بدون حماية عسكرية بريطانية.

وقال إنه فهم من المستر شون الوزير المفوض البريطانى أن حكومته توافق على منح الحماية لأعضاء الحكومة إذا طلبوها.

ويقول جميل مردم بك، إنه ابتسم، وهو يرد على القائم بالأعمال الأمريكى قائلا:

« فى اليوم الذى أجد نفسى بحاجة لحماية، وأنا أتجول فى عاصمة بلادى، سأتخلى عن جميع مسئولياتى تجاه سوريا.. وبمعنى آخر.. لن يكون أمامى إلا أن اعتزل العمل السياسى بصفة نهائية.»

وأنقل عن جميل مردم بك أنه قال هو والرئيس القوتلى للقائم بالأعمال الأمريكى بالحرف الواحد:

«إننا مصممين على التصدى للعدوان الفرنسى حتى النهاية، ولو كان ذلك يعنى حمل السلاح كما فعل الشعب السورى فى عام ١٩٢٥، وإن كان الأمر يختلف فى هذه المرة لأن سوريا تتمتع بتأييد جميع الدول العربية، ولأنها عضو فى الأمم المتحدة، ولأن المظاهرات قامت بالفعل لتأييدها

sharif mahmoud

فى مصر والعراق وفى فلسطين وشرق الأردن، وأن لديها الضمانات بأن لبنان يدعم سوريا بصلابة.

وأكد الرئيس القوتلى على الأثر البالغ الذى يمكن أن يحدثه ممارسة ضغط أمريكى على البريطانيين والفرنسيين من أجل أن يضعوا موضع التنفيذ تلك الوعود التى أعطوها للعرب الذين ساندوهم أثناء الحرب.

وقال للقائم بالأعمال الأمريكى: إن فى تصوره أن حلا سريعا للأزمة هو المحك لمصداقية الحلفاء الذين قاتلوا ليريحوا العالم من طغيان النازية!

كان يتكلم وهو يتأوه من الألم!

ويقول جميل مردم بك إنه ظل ملازما للرئيس القوتلى طوال ذلك اليوم.

«وجاء مستر شون الوزير المفوض البريطانى لزيارة الرئيس بعد الظهر، وكانت تحرسه إحدى المصفحات البريطانية وبصحبته أحد مساعديه، وهو من أصل صينى اسمه فو يونج.

وقال تقرير بعث به مستر شون إلى وزارة الخارجية فى لندن.. إنه كان قد كلف مستر فو يونج بمقابلة الجنرال بينيه فى بيروت ان يطلب إليه تفسيرا عن عمليات القصف التى تقوم بها القوات الفرنسية فى دمشق.

وقال مستر فو يونج فى تقريره إنه قابل الجنرال بينيه وكان هادئا وحسن المزاج وكان تبريره للعدوان الفرنسى الذى تقوم به القوات الفرنسية فى دمشق إن عدة مراكز فرنسية تعرضت لاعتداءات السوريين وأن الجنرال الفرنسى أوليفا روجيه قائد القوات الفرنسية فى سوريا أصدر أوامره بالرد على الاعتداءات السورية. ونقلت وكالات الأنباء على لسان الجنرال الفرنسى بينيه أنه قال للمستر فو يونج بالحرف الواحد:

إن الوضع خطير ولابد من العمل على «فقع» الخراج الدمشقى.

وإنه قال له أيضا: إن المعركة تلائمنى، وفى رأيى أن علينا وقد ثقب البرميل أن نشرب الخمر!

وأثناء اللقاء بين المستر شون والرئيس القوتلى حاول الوزير المفوض البريطانى أن يهدأ من روع الرئيس السورى. وكان ان وقال له: إنه أبرق إلى لندن بطلب إعطاء القائد العام للجيش التاسع البريطانى التعليمات باستخدام جميع سلطاته لمعالجة الحالة المؤسفة التى تسبب فيها الفرنسيون.

sharif mahmoud

وتتكلم الوثائق البريطانية القديمة لتقول إن الحكومة البريطانية عقدت اجتماعات برئاسة المستر تشرشل لمناقشة الأوضاع التى كانت متدهورة فى سوريا، وأنها قررت إرسال رسالة إلى الرئيس الأمريكى ترومان تطلب إليه تأييدا أمريكيا لتدخل بريطانى فى سوريا.

وفى هذه الرسالة كتب تشرشل إلى ترومان يقول له بالحرف الواحد:

«إن الوضع فى دمشق يتدهور وأن استمرار الوضع الراهن ستكون له نتائج خطيرة فى جميع أنحاء الشرق الأوسط وعلى طريق المواصلات مع الشرق الأقصى عن طريق مصر وقناة السويس.، ولذلك يجب إذن أن نكون جاهزين لإعطاء الأوامر للقائد العام فى الشرق الأوسط للتدخل لوقف المعارك، وقبل تنفيذ ذلك أرى واجبا على أن أعلم ما إذا كنتم تؤيدون عملنا.

وفى القاهرة خاضت الجامعة العربية معركة دبلوماسية متشعبة لإقناع كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية بممارسة الضغط على فرنسا لوضع حد لعدوانها على الشعب السورى.

وفى رأيى أن مصالح عربية كثيرة قد تلاقت مع الاتصالات الدبلوماسية التى كان عبد الرحمن عزام بك يقوم بها لإيجاد حل للأزمة.

كانت مصر تتأهب لعرض قضيتها على مجلس الأمن وكان فى رأى محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية أن من حق سوريا ولبنان المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن بلادهما تماما كما كانت مصر تطالب بجلاء القوات البريطانية عن أراضيها.

وكانت السعودية تمارس أقصى أنواع الضغوط الدبلوماسية على كل من لندن وواشنطن للتدخل فى الأزمة لوضع حد لعمليات العربدة العسكرية التى كانت فرنسا تمارسها ضد شعب سوريا.

وكان العراق فى ناحية أخرى يريد أن تتدخل بريطانيا لحل الأزمة حتى يثبت الانجليز حسن نياتهم تجاه شعوب دول الجامعة العربية.

وكانت مصلحة لبنان أن تتم تسوية الأزمة بين سوريا والفرنسيين لأن حل هذه الأزمة كان يعنى حل الأزمة الفرنسية اللبنانية أيضا.

وفى القاهرة عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعه الطارىء فى قصر الزعفران فى يوم الاثنين ٤ يونيو «حزيران» سنة ١٩٤٥.

وكان الاجتماع برئاسة المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية فى تلك

sharif mahmoud

الأيام ووزير خارجيتها بالنيابة.

ومثل سوريا فى الاجتماع وفد برئاسة سعد الله الجابرى رئيس مجلس النواب السورى.

أما وفد لبنان فكان برئاسة عبد الحميد كرامى بك رئيس الوزراء، وضم الوفد اللبنانى حبيب أبو شيلا وحميد فرنجية وأميل لحود.

واشترك فى الاجتماع ممثلون من كل من العراق وشرق الأردن ومصر والسعودية.. أما اليمن فإنها لم تكن قد أعلنت بعد موافقتها على ميثاق الجامعة العربية.

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن مجلس الجامعة العربية عقد فى جلسته الطارئة ست جلسات كانت آخرها فى يوم الاثنين ١١ يونيو «حزيران» سنة ١٩٤٥.

وناقش المجلس تفاصيل الاعتداءات الفرنسية على الشعب السورى كما نقلها الوفدان السورى واللبنانى.

وكانت أول مرة تعرف فيها هذه التفاصيل التى كشفت عن وحشية العدوان الفرنسى.

وعرف لأول مرة أن تفكيرا راود عبد الرحمن عزام بك الأمين العام للجامعة للدعوة إلى إرسال متطوعين عرب للمشاركة فى الحرب ضد الفرنسيين فى حالة عدم توقف العدوان الفرنسى.

وأنقل على لسان سعد الله الجابرى أثناء اجتماعات مجلس الجامعة العربية أنه قال: «إن الرئيس القوتلى يقود معركة الدفاع عن الشعب السورى من فراش مرضه.. وأن سوريا ليست فى حاجة إلى أسلحة لاستخدامها فى الدفاع عن نفسها لأن الشعب السورى يميل بفطرته لأن يحتفظ بسلاحه الذى يدافع به عن نفسه»

وأذكر كما قالت تقارير الأمانة العامة للجامعة العربية إن عبد الرحمن عزام بك قام ببلورة مناقشات الأعضاء فى مشروع قرارات أعدها بنفسه، وجرت حولها مناقشات مهمة خلال الجلستين الثالثة والرابعة للمجلس وكانت كما يلى:

«بعد سماع بيانات ممثلى سوريا ولبنان والإطلاع على المذكرة المقدمة من كل منهما، قرر مجلس الجامعة ما يلى:

أولا: اتخاذ التدابير اللازمة وفقا للمادة السادسة من ميثاق الجامعة العربية لدفع الاعتداء الفرنسى، وهى حين يتخذ هذه التدابير يشعر بتضامن دول الجامعة تضامنا تاما ولن يدخر تضحية فى سبيل القيام بواجبه كاملا، وهو يقوم بتنسيق الوسائل والجهود المطلوبة على ضوء

sharif mahmoud

التطورات الدولية المحتملة ليصل بمعونة دول الجامعة للقطرين العربيين إلى تحقيق غرضه وغرضهما فى الاستقلال والسيادة وجلاء القوات الأجنبية عنهما.

ثانيا: أ - إن بقاء القوات الفرنسية فى سوريا ولبنان يتنافى مع حقوق السيادة والاستقلال المعترف لهما بها.

ب - إن وجود القوات الفرنسية فى سوريا ولبنان يعرض البلاد والأهالى بصفة مستديمة إلى مثل هذه الحوادث الفاجعة التى وقعت فى الأيام الأخيرة.

جـ - إن وجود هذه القوات يحدث توترا مستمرا فى علاقات فرنسا مع الجمهوريتين العربيتين، يمتد إلى بقية الأقطار العربية ويعيق المجهود الحربى ضد اليابان، سواء أكان هذا المجهود لدول الجامعة أو لحلفائها.

ويرى المجلس كذلك أن يؤيد بكل قوة طلب سوريا ولبنان الجلاء العاجل لجميع القوات الفرنسية من أراضى الجمهوريتين.. وهو حين يقرر ذلك لا يفكر مطلقا فى احتمال بقاء قوات أجنبية أخرى فى بلاد الجمهوريتين العربيتين.

وقد أعلن البريطانيون من غيرتردد عزمهم على سحب قواتهم من هذه المنطقة.

ثالثا: يرى المجلس بعد فحص مسألة القوات المعروفة بالفرق الخاصة، بما فيها القناصة اللبنانية وغيرها.. أن هذه الفرق وما يتبعها من أسلحة وعتاد ومهمات ومنشآت هى سوريه ولبنانيه، ويجب تسليمها جميعا للقيادتين السورية واللبنانية لتكون تحت تصرف حكومتى الدولتين.

رابعا: يقرر المجلس أن سوريا ولبنان معتدى عليهما، وأن مسئولية ما وقع فيهما من تخريب وقتل وخسائر أخرى تقع على القوات الفرنسية التى بطشت بالمدن السورية ولجأت إلى أشد وسائل العنف لأضعف الأسباب.

كانت قرارات مجلس الجامعة واضحة وصريحة.

وتكشف مناقشات أعضاء المجلس عن مبادىء مهمة وضعها هؤلاء الأعضاء فى اعتبارهم.

ومن هذه المبادىء أنه فى حالة إجراء مفاوضات بين فرنسا وكل من سوريا ولبنان لحل مشاكلهما، يجب أن تشارك الجامعة العربية فى هذه المفاوضات.

وكان ترحيب عبد الرحمن عزام بك بهذا المبدأ بلا حدود بل إن موافقته عليه كانت قاطعة.

sharif mahmoud

وأنقل عن محضر الجلسة الثانية التى عقدها مجلس الجامعة العربية فى يوم الثلاثاء ٥ يونيو «حزيران» سنة ١٩٤٥ ما قاله عبد الرحمن عزام بك فى هذا الصدد:

«إن هذا ما نريد أن يتقرر الآن، لأن مجلس الجامعة مسئول عن الأمن الدولى، وله أن يتدخل فى هذا الأمن بقوته، حتى وإن كانت هذه القوة رمزية.. صحيح أننا لسنا مستعدين عسكريا للدخول فى حرب مع أية دولة لكن هذه القوة الرمزية إذا ما وجدت فى حالة التسويف بجانب القوة الانجليزية فى سوريا ولبنان، فإن ما تقدم عليه فرنسا يكون له خطورته لأنه يترتب على هذا تدريجيا أن يتمكن الشعب السورى من مواجهة العدوان الفرنسى، وسوف تتردد فرنسا كثيرا فى القيام بأى عمل عدائى مع سوريا، خصوصا إذا تحمست دول أخرى وأرسلت جيشا لمساعدة سوريا فى تحقيق مطالبها أو أن تخشى فرنسا مساومة سوريا لدول أخرى لمساعدتها على جلاء الجيوش الفرنسية»

وتطرق عبد الرحمن عزام بك إلى ناحية أخرى عندما قال بالحرف الواحد:

«سيأتى اليوم الذى يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الأمن فى هذه الساحة.. فإذا أصبحت سوريا ولبنان بسبب اعتداء وتدخل أجنبى فى حالة تستحق معها من مجلس الجامعة إمدادها بالمعونة والمساعدة فليس بعيدا عن التصور أن هذا الجيش الدولى للجامعة الذى فيه قوى عربية وأخرى سورية وأخرى لبنانية يكون سندا للبلاد العربية المعتدى عليها.. فكما تكون الدول المعتدى عليها الآن سوريا، قد تكون فى المستقبل غيرها من البلاد العربية.. فيكون هذا الجيش سندا لحفظ الأمن الدولى فيها، ومعنى هذا أن مجلس الجامعة عليه أن يحفظ الأمن فى منطقة من الأرض، مستندا إلى مجلس الأمن الدولى»

إنها نفس الأفكار التى راودت فكر الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام الخامس للجامعة العربية بعد ٥٠ سنة من قيام الجامعة.

●●●

وأعود بذاكرتى إلى تلك الأيام.....

كانت الجامعة العربية الوليدة تمر بامتحان كبير، وكانت مهددة بالسقوط فى هذا الامتحان.

وكانت الأنباء تتلاحق من دمشق تقول إن الفرنسيين ما يزالون مستمرين فى عمليات ضرب المدينة بقنابل مدفعيتهم بوحشية.

sharif mahmoud

وقالت أنباء أخرى إن الأمريكيين والبريطانيين عرضوا على الرئيس القوتلى أن ينقلوه إلى مكان أكثر امنا بالنظر إلى حالته الصحية، ولكنه رفض بحزم، وقال لهم: إنه يفضل أن يموت فى فراشه على أن يلجأ إلى الفرار بينما يذبح الجنود الفرنسيون أبناء وطنه!

وعرف أن الحكومة البريطانية قررت أن تتدخل بالقوة لوقف العدوان الفرنسى على الشعب السورى وأنها طلبت من الرئيس الأمريكى ترومان إعطاءها الضوء الأخضر لهذا التدخل.

وأتصل أحد المسئولين بالسفارة البريطانية فى القاهرة بالمرحوم عبد الرحمن عزام بك فى نفس يوم انعقاد مجلس الجامعة العربية وقال له إن أخبارا مهمة سوف تذاع من لندن حول تطورات الموقف فى دمشق.

وتأخرت موافقة الرئيس الأمريكى على السماح للبريطانيين بالتدخل لمدة ٤٨ ساعة.

وفقد الفرنسيون فى تلك الأثناء أى شعور بالمسئولية فأخذوا يطلقون نيران مدافعهم الرشاشة على كل ما كان يصادفهم فى شوارع مدينة دمشق، حتى على سيارات الإسعاف والمطافىء التى كانت تحاول إخماد ما شب فى المدينة من نيران.

وسقط آلاف الشهداء بينما كان فى تصور الفرنسيين أن فى وسعهم تحدى إرادة الشعوب.

وفى القدس، وفى كل العواصم العربية أخذت الكنائس تدق أجراسها بعنف بينما كان الخطباء فى المساجد يطالبون بإعلان الجهاد المقدس ضد الفرنسيين.

وفى القاهرة استدعى المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية ممثل حكومة فرنسا الحرة، وطلب إليه أن يرحل من القاهرة إذا لم يتوقف العدوان الفرنسى فورا على مدينة دمشق.

وارتفعت أصوات تطالب بإغلاق المدارس الفرنسية فى القاهرة.

وفجأة أعلن أن قيادة الجيش التاسع البريطانى وجهت إنذارا إلى الجنرال الفرنسى أوليفيا روجيه بإسم قوات الحلفاء بوقف عمليات إطلاق النار بواسطة القوات الفرنسية، وإلا اضطرت القوات البريطانية للتدخل.

وأنقل عن المحضر الرسمى لجلسة مجلس الجامعة العربية - التى اختتم بها المجلس اجتماعاته الطارئة لمناقشة قضية العدوان على سوريا ولبنان - كلمات جاءت على لسان المرحوم عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة. فقد قال له بالحرف الواحد:

sharif mahmoud

«منذ أسبوعين اشتدت الحالة فى سوريا لدرجة ظن بعض الناس أنها آخرة الاستقلال السورى واللبنانى، وأن آخرة الجامعة العربية تدنو على يد الجنود السنغاليين، وظنوا أن حركة إرهابية عنيفة تشترك فيها الدبابات والمدفعية والطيران فتلقى وابلا من قنابلها على قلب العاصمة الأولى للحضارة العربية كافية لأن تعود هذه الحضارة ومعها الحضارة العربية إلى سبات عميق، وتستفيق مبادىء الفتح والاستعمار والرجعية من صدمتها القوية.

وقيل وقتئذ إن جامعة الدول العربية تمر بامتحان كبير قد تسقط فيه، ففى الأسبوع الأول برهنت عاصمة الأمويين للعرب والعالم أن الشعلة التى تضىء بين جوانحها هى من نور الله.. وأنه لا سبيل إلى إطفائها بالقنابل.. ولم تذهب دماء شهدائنا هباء.. واضطرت دولة عظمى صديقة إلى مد ساعدها القوى لإيقاف البعض وقد خشيت أن يلحق حريق سوريا بجيرانها.

ولم يمض إلا أسبوع آخر حتى فازت الجامعة بجائزة فى امتحانها بشرف وتفوق، فبرهن المجلس على فطنته فى السياسة الدولية وبرهنت دول الجامعة على كامل تضامنها واستعدادها للتضحية.

نعم.. لقد نجحت الجامعة، وأثبتت أن العواصف لا تنال من بنيان يقوم على إرادة الشعوب وإخلاص الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء.

ونحن نريد امتحانات أخرى.. لأن ثقتنا قد تضاعفت بجامعتنا.. ولأننا نشعر بصدق مصر وحكمتها التى افتتحت بها أعمال اجتماعات المجلس وهى أن الدفاع عن الحق شرف ولذة.

وأقولها بأعلى صوتى.. نحن لا نريد قتالا ولا حربا، إنما نريد شرف النضال ولذته عن حق البشر فى المساواة، وحق الناس جميعا فى حياة سلم هانئة.

نحن خصوم الاستعمار والفتح واستخدام الحديد والنار كوسيلة لفض النزاع بين الدول والشعوب، ونحن فى هذا لا نناضل عن حقنا وحدنا، حق العرب، بل حق الناس جميعا.

وفى هذا السبيل نبسط يدنا للناس كافة للتصافح ونتعاون على الإخاء والسلم الدائم.. نبسطها لفرنسا نفسها التى كانت صديقة هذه الأمة منذ أجيال والتى لا نعتقد أنها تتخلى عن رسالة الحضارة والتعاون الإنسانى فى الشرق أو الغرب، وإن كانت وقعت معنا لسوء الحظ فريسة لأفكار رجعية لا تغنى فيها القوى المادية.

إن التعزية الوحيدة لنا ولفرنسا نفسها وللأمم جميعا ـ بعد هذه الحرب الدموية الطاحنة ـ

sharif mahmoud

هى أننا تعلمنا درسا هو أن القوى المادية لا تغنى عن الحق والعدل شيئا»

وصفق أعضاء مجلس الجامعة العربية طويلا للأمين العام للجامعة وهو يلقى كلماته التى كانت تخرج من فمه كالرصاص ليهتز معها قصر الزعفران الذى عقدت فيه اجتماعات مجلس الجامعة.

وهكذا، انتصرت الإرادة العربية بالتضامن الصادق على العدوان الفرنسى.. وسمعت عبد الحميد كرامى رئيس وفد لبنان فى اجتماعات مجلس الجامعة وهو يهنىء عبد الرحمن عزام بك على انتصار الجامعة فى معركتها ضد فرنسا، وهو يقول له:

«شو عزام بك.. ما هذه الكلمات المليحة.. إنك يا رجل خطيب الجيل..!» ■

sharif mahmoud

مغامرة دبلوماسى مصرى باسم الجامعه العربيه فى احراش اندونيسيا

● الدبلوماسى المصرى محمد عبد المنعم عندما عرض عليه المرحوم عزام القيام بالمغامرة فى أدغال أندونيسيا، لم يتردد لحظة، وقرر القيام بالمغامرة!

الفصل السابع

7

- ماذا قال عزام للورد أنفر تشابل وسيط الامم المتحدة فى قضيه اندونيسيا
- عمليه تهريب الاسلحه لثوار اندونيسيا فى حقيبه دبلوماسيه
- لماذا تقرر ان تثير الهند قضيه اندونيسيا فى الامم المتحده بدلا من باكستان ؟

sharif mahmoud

● خرج زعماء القبائل يرحبون بالدبلوماسى المصرى الذى وصل إلى ادغال أندونيسيا مبعوثاً من الجامعة العربية
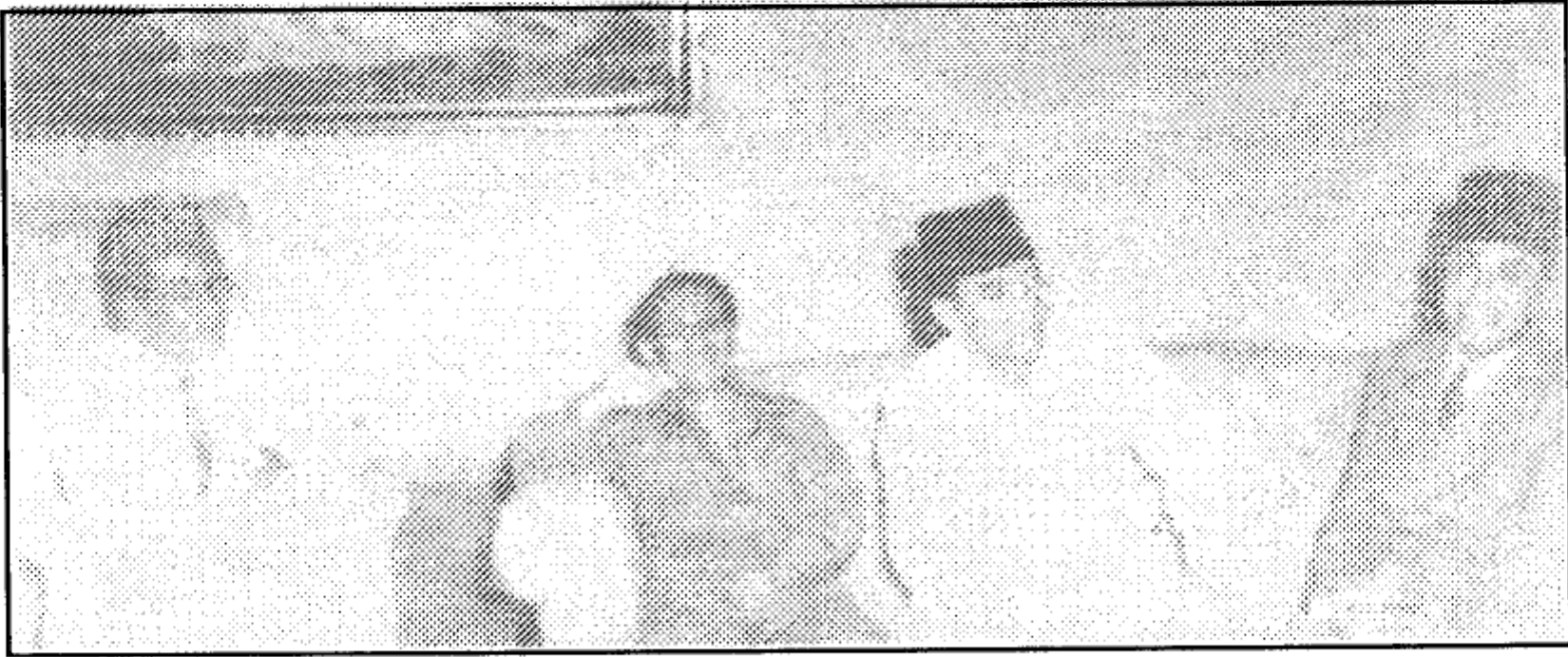
● قدم الدبلوماسى المصرى نفسه إلى الرئيس أحمد سوكارنو وزعماء الثورة الأندونيسية باعتباره مبعوث العرب
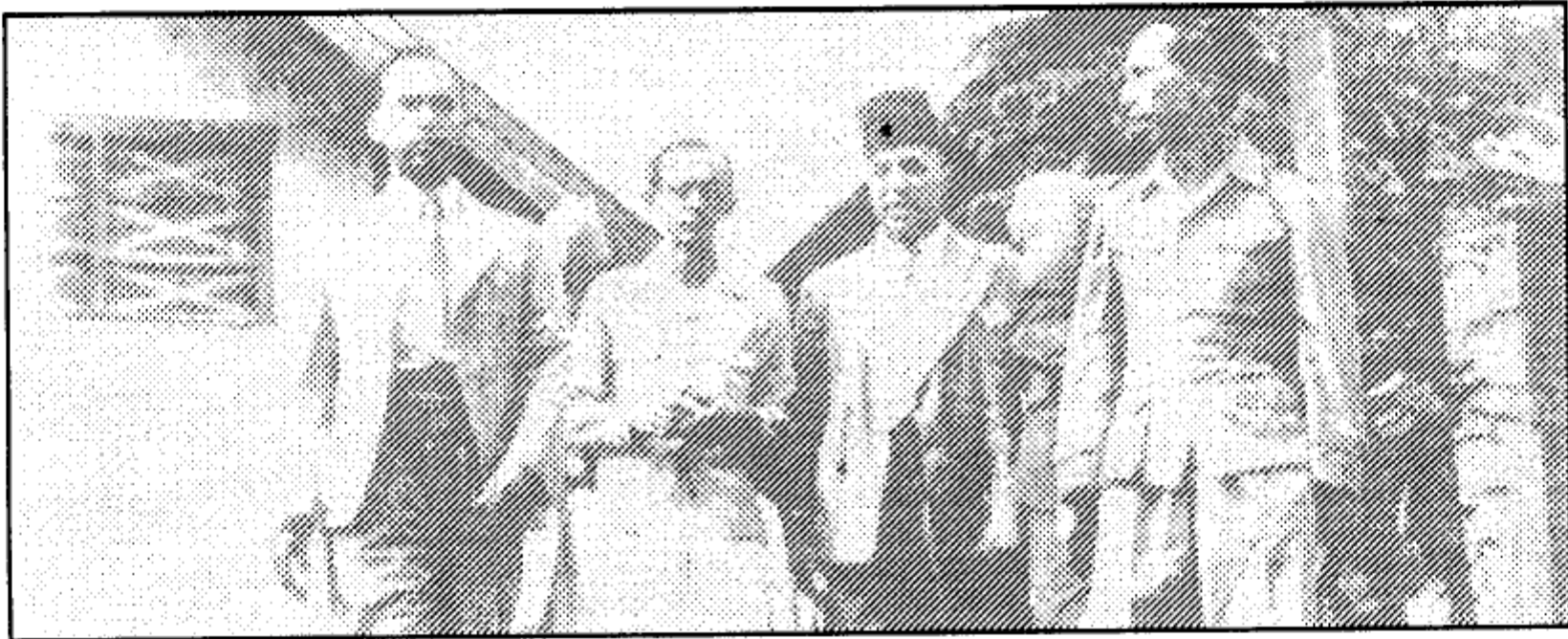
● الدبلوماسى المصرى مع مجموعة من أعضاء مجلس الثورة الأندونيسية فى جولة فى شوارع باتافيا

sharif mahmoud

كانت البداية برقية تلقاها المرحوم عبد الرحمن عزام على أثر اختياره أمينا عاما للجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ من زعماء ثورة اندونسيا التى اندلعت فى أحراش الجزر الأندونسية ضد قوى الاستعمار الهولندى. يطلبون إليه أن تعمل الدول العربية الأعضاء فى جامعة الدول العربية على مساعدة شعب أندونسيا..

وتتكلم الوثائق القديمة فى أرشيف الجامعة العربية لتقول إن مطالب الثورة الأندونسية كانت تنحصر فى ثلاث أمور هى:

أولاً: الاعتراف بالجمهورية الأندونسية المستقلة..

ثانياً: التدخل لدى بريطانيا لتكف عن مساندة الهولنديين والتدخل فى شئون أندونسيا..

ثالثا: تأييد أندونسيا تأييداً عمليا فى نضالها الاستقلالى .

وأمسك المرحوم عبد الرحمن عزام بخريطة لمنطقة الشرق الأقصى ثم أخذ يجرى بعينيه فيها، وهو يتفحص المنطقة التى تقع عندها جزر اندونسيا..

إن أحدا لم يكن يعرفها باسم أندونسيا.. وكان اسمها فى الخريطة جزر الهند الهولندية الشرقية..

وأنقل من أوراق قديمة من مذكرات المرحوم عبد الرحمن عزام، قوله بالحرف الواحد:

أعترف بأننى عندما وقع علىّ الاختيار أمينا عاما للجامعة ـ أى فى عام ١٩٤٥ـ لم أكن أعرف كثيرا عن أندونسيا فقد كانت معلوماتى عنها محدودة، وكان كل ما أعرفه عنها لا يخرج عما كنت أقرأه فى الكتب أو الصحف العالمية، ولكن لم تكد تمر عدة أشهر بعد مباشرة عملى أمينا عاما للجامعة العربية حتى أخذت التقارير والمعلومات تتلاحق على مكتبى عن حرب التحرير التى كان الأندونيسيون يخوضونها فى الادغال ضد قوات الهولنديين تحت قيادة الزعيم الأندونيسى أحمد حتا والمرحوم الرئيس أحمد سوكارنو.

وفى تلك الأيام لم يكن تعداد الشعب الأندونيسى يتجاوز السبعين مليون نسمة.. واذكر اننى

sharif mahmoud

تحدثت مع أكثر من واحد من المسئولين فى الحكومة المصرية حول ما يمكن أن نفعله لمساندة هذا الشعب المسلم فى حربة ضد الهولنديين..

وأثناء لقاء بينى وبين المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا عندما كان رئيسا لوزراء مصر أخذنا نتكلم عن تطورات قضية مصر فى مجلس الأمن، وفجأة قاطعت النقراشى باشا وأنا أقول له:

– ماذا يا دولة الباشا لو وقفنا إلى جانب حرب التحرير التى يخوضها شعب أندونسيا؟

وأثار سؤالى دهشة النقراشى باشا فالتفت ناحيتى وهو يقول لى:

– إننا نتكلم عن قضية مصر فى مجلس الأمن، وأنت تحدثنى عن الحرب فى أندونسيا..

قلت له: إن شعب أندونسيا شعب مسلم، وفى رأيى أن مثل هذا الشعب لو وجد المساندة والعون من شعوب الدول العربية والإسلامية لمساندته فى الحرب التى يخوضها بشرف ضد الاستعمار الهولندى لتحقق له النصر، ولأصبح بعد الإستقلال قوة تحل فى التوازن الدولى مكان اليابان التى تحطمت قوتها تحت وطأة ضربات الغزاة من الحلفاء المنتصرين.!

وابتسم المرحوم النقراشى وهو يقول لى:

– ولكن أندونسيا بعيدة، إنها هناك فى الشرق الأقصى بالقرب من أستراليا.

قلت له: إن المسافة بيننا وبين أندونسيا ليست مشكلة، وفى رأيى أن الدول العربية تستطيع أن تنشىء اتصالات قوية مع الشعب الأندونيسى الذى تدين غالبيته بالدين الإسلامى الحنيف..

ثم استطردت أقول لرئيس وزراء مصر:

– لا أظن أن الشعب الأندونيسى إذا ما ساندناه فى حربه ضد الاستعمار الهولندى سينسى لنا وقوفنا إلى جانبه بعد أن يتحقق له النصر، وبالتالى سيحفظ لنا الجميل، وسيبقى دائما يساندنا فى معركتنا من أجل إجلاء القوات الإنجليزية عن مصر، وتحرير بقية الأراضى العربية المحتلة..

وسكت النقراشى باشا ولم يقل شيئا..

وسمعت بعد ذلك أنه تحدث مع المرحوم أحمد خشبة باشا وزير الخارجية المصرى حول فكرتى، وأنه قال للمرحوم خشبة باشا بالحرف الواحد:

– إن عزام يطلق على آية حرب يخوضها أى شعب مسلم اسم الحرب المقدسة، وقد جذبته

sharif mahmoud

بعض التقارير التى تلقاها عن الثورة فى أندونسيا، وهو لن يتردد عن المطالبة بإرسال متطوعين من البلاد العربية للقتال مع الثوار فى أندونسيا..

واستطرد المرحوم عبد الرحمن عزام يقول:

ـ عرفت بما قاله المرحوم النقراشى باشا للمرحوم أحمد خشبه باشا، وابتسمت وأنا أقول لوزير الخارجية المصرى:

- إن فكرة مساندة الثوار فى أندونسيا على بعد المسافة بين بلادنا وبلادهم أصبحت تسيطر على تفكيرى، إن هناك شعبا مسلما يواجه حرب الإبادة التى يشنها الاستعمار الهولندى ضده، والمعلومات التى عندى أن الثورة التى إندلعت فى أدغال أندونسيا وصلت إلى مرحلة حاسمة وهى تتطلع الآن فى لهفة إلى الدول العربية تلتمس منها النجدة والعون.. كنت متحمسا للغاية لثورة أندونسيا، وكان يهمنى أن يقتنع المسئولون فى الحكومة المصرية بوجهة نظرى..

وأمسك المرحوم أحمد خشبة يدى ثم شد عليها بقوة وهو يقول لى:

- أنا معك فى أن قيام الدولة الإسلامية فى الشرق الأقصى يمكن أن يساعد على خلق عنصر التوازن المطلوب فى الأمم المتحدة، ولكن المشكلة أن أندونسيا بعيدة ولا أعرف كيف يمكن أن تقوم مصر ـ وهى فى حاجة إلى العون ـ بمساندة الثورة التى اندلعت فى أندونسيا..

قلت له: المهم أن توافق مصر على أن أفعل شيئا، بعدها لن تقف عقبة فى سبيلى..

وابتسم أحمد خشبة باشا، وهو يقول لى:

- إذا كان رئيس الوزراء لم يقتنع فلماذا لاتعمل على إقناع الملك..

وأدركت ماكان وزير الخارجية المصرى يعنيه..

●●●

واستطرد عبد الرحمن عزام يقول فى أوراقه القديمة:

- كان الملك فاروق تراوده فى تلك الأيام أحلام كثيرة فى أن تبايعه الدول الإسلامية خليفة للمسلمين..!

وكان فى تصور أحمد خشبة باشا أنه بمجرد أن يعرف فاروق بهذه الثورة التى نشبت فى أدغال أندونسيا المسلمة، أن يجد فيها فرصة لإظهار غيرته على الإسلام والمسلمين، وبالتالى فإنه لن يتردد فى مساندتها وتقديم كل العون ومساعدتها..

sharif mahmoud

ولكننى كنت أعرف فى نفس الوقت أن أحلام فاروق تثير قلقا فى بقية الدول العربية وخاصة فى المملكة العربية السعودية، ولذلك كان علىّ أن اتحرك بحذر شديد..

وأذكر أننى قمت باتصالات مع المسئولين فى ديوان الملك..

قلت لهم: إن الذى يهمنى هو أن يوافق الملك على أن تقوم مصر بتقديم المساعدات المطلوبة إلى أندونسيا، وبعدها سأقوم بالاتصال ببقية الدول العربية محاولا الحصول على تأييدها للعمل الذى قررت أن أقوم به.

ومرت عدة أيام ثم فوجئت بالملك وهو يتصل بى بنفسه بالتليفون ليسألنى عما أعنيه بالمساعدات المطلوبة..

قلت له: بعض الأسلحة، ولا مانع من إرسال متطوعين من مختلف البلاد العربية..

قال الملك: فى رأيى.. أن ترسل الأسلحة كلها من مصر وأن يكون المتطوعون من مختلف الدول العربية.

قلت للملك: ولكن رئيس الوزراء لا يوافق..

قال فاروق: سأقوم أنا بإقناعه حتى يوافق..

أدركت أن اقتراحى لقى ترحيبا وأذنا صاغية عند فاروق..

والشىء المؤكد هو أنه تصور أن فى وسعه استغلال مثل هذه المساعدات التى تقرر أن تبعث بها مصر إلى أندونسيا فى الدعاية للحلم الكبير الذى كان يراوده فى أن يصبح خليفة للمسلمين.!

ولم يكن يهم فاروق أن يكون هؤلاء المسلمون هنا فى بلادنا العربية التى كانت تدين بالولاء للخليفة العثمانى فى إستانبول، أو فى الشرق الأقصى الذى لم يسبق فيه أن سمعوا عن مثل هذه الأحلام التى كانت تراود فاروق فى أن يصبح خليفة للمسلمين..!

المهم.. وافقت مصر على مساندة شعب أندونسيا من أجل تحرير بلاده، ولا أعرف كيف استطاع فاروق إقناع المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا، فقد فوجئت به بعد أيام متحمسا لآرائى..

ولم أنتظر وبادرت بإرسال مذكرة إلى بقية الدول العربية أشرح فيها ماكان قد تجمع عندى من تفاصيل عن قضية أندونسيا!..

sharif mahmoud

واقترحت أن تقوم الوفود العربية فى الأمم المتحدة بعرض هذه القضية على مجلس الأمن..

●●●

وتتكلم وثائق الأمانة العامة القديمة للجامعة العربية لتقول:

-انتهز الأمين العام للجامعة فرصة انعقاد مجلس الجامعة العربية يوم ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٤٥، وقام بإحاطة المجلس علما بما تلقاه من رسائل بعثت بهاإليه بعض الهيئات والجمعيات الإسلامية فى أندونسيا، وكانت كلها تناشد دول الجامعة العربية مساندة شعب أندونسيا فى ثورته ضد قوات الاستعمار الهولندى..

وأحاط الأمين العام للجامعة أعضاء المجلس علما بما يطلبه شعب أندونسيا من المجموعة العربية...

والشىء المؤكد أنها كانت أول مرة تسمع فيها الدو ل الأعضاء فى مجلس الجامعة العربية عن قضية أندونسيا..

وأنقل عن بعض أوراقى القديمة ان المرحوم عبد الرحمن عزام تكلم فى هذا الاجتماع ليقول:

- إن فى أندونسيا ٧٠ مليون مسلم يطلبون مساندة الدول العربية وعلينا أن ننصرهم.. وإن مجلس الجامعة العربية قرر تأييد المرحوم عزام فيما ذهب إليه وكلفه باتخاذ الإجراءات التى يراها مناسبة لنصرة القضية الأندونسية..

ولم ينتظر عبد الرحمن عزام وبادر بالتحرك بسرعة لتنفيذ قرارات مجلس الجامعة العربية.. ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أنه قام ـ باسم الجامعة العربية ـ بإتصالات مع الحكومة البريطانية عن طريق السفارة البريطانية فى القاهرة لأقناعها بالكف عن مساندة الهولنديين..

وكانت نصيحته للحكومة البريطانية الا تتمادى فى مساندة الهولنديين حتى لا تتهمها الشعوب الإسلامية والعربية بالتعصب ضد المسلمين والإسلام..

وعرف أنه قال لأحد الدبلوماسيين الإنجليز فى القاهرة إنه لن يتردد فى مطالبة الدول العربية بإرسال متطوعين للقتال إلى جانب الثوار الأندونسيين، وبمعنى آخر إعلان الجهاد المقدس ضد الهولنديين ومن يساندونهم..

وأرادت الظروف أن تكلف الأمم المتحدة سفير بريطانيا فى واشنطن للعمل كوسيط دولى للتحقيق فى مطالب الثوار الأندونسيين..

sharif mahmoud

كان اسمه اللورد إنفرتشابل، وكان الرجل يعمل سفيرا لبريطانيا فى العراق عندما كان المرحوم عبد الرحمن عزام يعمل وزيرا مفوضا لمصر فى بغداد، وثلاث عواصم أخرى فى نفس الوقت وهى كابول وطهران وجدة.

وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين الوزير المفوض البريطانى الذى كان معروفاً باسم السير أرشيلد كلارك كير قبل أن يمنح لقب اللوردية ويصبح اسمه اللورد إنفرتشابل.

وانتهز المرحوم عبد الرحمن عزام الفرصة ليبعث إلى وسيط الأمم المتحدة برقية فى يوم ٦ من فبراير سنة ١٩٤٦ قال له فيها بالحرف الواحد:

- فى إندونسيا شعب ناهض يريد حريته واستقلاله، وأتوسل إليك أن تقف بجواره مساندا حركته التحررية، وأن تنتصر للحرية كعهدى بك، ولاشك أنه سيكون لك فى تاريخه مثل مقام بيرون فى تاريخ إستقلال اليونان..

وجاء الرد من الوسيط الدولى ليعبر فى برقية بعث بها إلى الأمين العام عن شكره للثقة التى وضعتها فيه الجامعة العربية وليتعهد بأنه سيعمل دائما على انتصار الحق والعدل وإنصاف الشعب الأندونيسى..

●●●

وفى ١٦ من يناير سنة ١٩٤٦ جاء المغفور له الملك عبد العزيز ال سعود إلى القاهرة فى زيارة رسمية، وكان الملك فاروق قد وجه إليه الدعوة لهذه الزياة فى أثناء اللقاء الذى تم بينهما فى رضوى.. وانتهز المرحوم عبد الرحمن عزام الفرصة لعرض قضية أندونسيا على جلالته.. قال له كما قال لى بنفسه أثناء أحد لقاءاتى معه:

- ياطويل العمر.. هناك فى الشرف الأقصى شعب مسلم يزيد تعداده على السبعين مليون نسمة أعلن الجهاد المقدس ضد المستعمرين الهولنديين.. وهو يقاتل بضراوه من أجل استخلاص حقوقه وحصوله على الاستقلال..

وأخذ المغفور له الملك عبد العزيز يسأل عن المزيد من التفصيلات عن حرب التحرير التى يخوضها شعب أندونسيا، ولم تكن مفاجأة عندما التفت جلالته ناحية المرحوم عبد الرحمن عزام، ثم قال له:

- تأكد يا عبد الرحمن أننى على استعداد لأن أضع نفسى وإمكانات بلادى كلها فى خدمة

sharif mahmoud

هذا الشعب المسلم..

ورد المرحوم عبد الرحمن عزام على المغفور له الملك عبد العزيز قائلا:

-إن كل ما يطلبونه يا طويل العمر هو عدة شحنات من الأسلحة وإثارة قضية بلادهم فى الأمم المتحدة..

قال جلالته: أى شىء يطلبونه يا عبد الرحمن أنا حاضر لإرساله إليهم..

وتقرر من هذا اللقاء أن تكون شحنات الأسلحة من مصر وتمويل عمليات شحن هذه الأسلحة من المملكة العربية السعودية..!

●●●

وتتكلم وثائق الأمانة العامة للجامعة العربية القديمة لتشير إلى أن الحكومة الأندونسية ـ التى شكلتها الثورة الندونسية مع إعلان استقلال جزر الهند الصينية الغربية تحت اسم: جمهورية اندونسيا ـ وافقت على الدخول فى مفاوضات مع الحكومة الهولندية..

وارادت الصدفة أن يمر وفد المفاوضات الأندونسى بالقاهرة فى طريقه إلى أمستردام فى هولندا للاشتراك فى هذه المفاوضات..

وحمل أعضاء الوفد رسالة من محمد رشيد وزير الشئون الخارجية فى الحكومة الوطنية الأندونسية إلى المرحوم عبد الرحمن عزام تقول بالحرف الواحد:

- يسرنى أن أنتهز فرصة مرور وزيرى الدولة والداخلية بالقاهرة وهما عضوا الوفد الأندونيسى الذى يمثل الحكومة الوطنية للمفاوضات مع الحكومة الهولندية: فأبعث إليكم بهذه الرسالة التى تعبر عن العواطف الأخوية التى تربط الأمة العربية بالأمة الأندونيسية: لقد جاهدت الأمة الأندونسية التى يبلغ تعداداها نحو ٧٠ مليون جهادا كبيرا لنيل استقلالها وكانت الحرب العالمية الثانية محنة عظيمة لها حيث لاقت فيها من الأهوال كثيرا مما قوض النفوس والعزائم فلما استسلمت القوات اليابانية قامت الجمهورية الأندونسية معلنة الاستقلال القومى وانتهاء عهد الاستعمار، وإن العاطفة الكريمة التى أظهرتها الجامعة العربية نحو الشعب الأندونيسى لما يزيد القلب ثباتا ويضاعف العزيمة، ولا عجب فإن صلة الشعب الأندونيسى بالأمة العربية ترجع إلى القرن الرابع عشر أثناء رحلة ابن بطوطة الشهيرة ، بينما تزيد الرابطة الدينية الصلة قوة على قوة.

sharif mahmoud

إن العالم الإسلامى فى الشرق الاقصى مقبل الآن على عهد يرجى أن يكون زاهرا، ويأمل أن تكون الصلة التى تربط العالم العربى بالبلاد الأندونسية فى المستقبل أقوى وأوثق مما كانت قبل الحرب..

●●●

وفى يوم ٨ من أبريل سنة ١٩٤٦ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعه لتقوم الأمانة العامة بطبع رسالة وزير الشئون الخارجية فى الحكومة الأندونيسة وتوزيعها على أعضاء المجلس.. وتكلم المرحوم عبد الرحمن عزام ليطالب الدو ل الأعضاد فى الجامعة العربية بالإعتراف بالجمهورية الأندونسية..

قال: إن الحكم الوطنى قد مضى عليه أكثر من عام وأصبح واجبا على الدول العربية أن تبادر بالدخول مع الحكومة الوطنية فى أندونسيا فى علاقات منظمة تخضع للوائح وقواعد القانون الدولى العام..

ويمعنى آخر.. تبادل التمثيل الدبلوماسى مع الجمهورية الاندونيسيه ..!

وقرر المجلس التمهل فى اتخاذ قرار فى هذا الشأن حتى تتوافر لديه معلومات كافية عن الموقف فى أندونسيا..

وطلب إلى الأمين العام عمل اللازم من أجل التعرف على حقيقة أوضاع الثورة الأندونسية.. ولم ينتظر المرحوم عبد الرحمن عزام، وقرر إيفاد مبعوث خاص باسم الجامعة العربية إلى أندونسيا قبل أن يقوم بدور المحامى عن قضية شعب أندونسيا فى المحافل الدولية، وأن يتعرف بدقة على حقيقة أوضاع الثورة التى اندلعت فى مختلف الجزر الأندونسية وكان عليه أن يفتش عن المبعوث الذى يمكن أن يكلفه بهذه المهمة، وأخيرا وقع إختياره ـ بالاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية ـ على دبلوماسى مصرى هو المرحوم محمد عبد المنعم الذى كان يعمل قنصلا لمصر فى بومباى بالهند..

وكان المرحوم عبد الرحمن عزام يعرفه منذ كان يعمل معه فى المفوضية المصرية فى بغداد.. كما سبق أن عمل معه فى المملكة العربية السعودية، وكان الرجل قد تدرج فى السلك الدبلوماسى المصرى وقد توفى منذ عدة سنوات عندما كان يعمل سفيرا لمصر فى جمهورية المجر.

وبسرعة استدعى الدبلوماسى المصرى عن طريق وزارة الخارجية إلى القاهرة بحجة

sharif mahmoud

التشاور..

وفى القاهرة استقبله المرحوم عبد الرحمن عزام ليقول له:

– أريدك أن تذهب إلى أندونسيا برسالة منى الى سوكارنو واحمد حتا، ولا أريد أن يعرف أحد بذهابك فى هذه المهمة، ولتحط رحلتك بالسرية التامة..

وحاول الدبلوماسى المصرى أن يقول شيئا، ولكن المرحوم عزام بادره قائلا:

– إن رسالتى باختصار هى السؤال عن إمكانية تنسيق وسائل التعاون بين الثوار المقاتلين فى الجزر النائية فى بحار الشرق الأقصى وبين الدول العربية التى قررت إثارة مشكلة أندونسيا المتفجرة فى الشرق الأقصى فى الأمم المتحدة.

ثم كانت المفاجأة عندما قال له المرحوم عبد الرحمن عزام:

– إن عليك أن تستأجر طائرة خاصة لتحملك إلى أندونسيا ولتحمل معك على الطائرة عدة صناديق مملوءة بالأسلحة..

ولم يتردد الدبلوماسى المصرى لحظة واحدة، وبادر يقول إنه موافق على القيام بالمهمة، ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن عدة صناديق مملوءة بالأسلحة أرسلت باسم القنصلية المصرية فى بومباى باعتبارها مفروشات كحقيبة دبلوماسية..

وكانت أول مرة فى تاريخ الدبلوماسية المصرية تستخدم فيها الحقائب الدبلوماسيه فى تهريب الأسلحة..!

●●●

كنت واحدا من القلائل الذين عرفوا بتفاصيل دور الجامعة العربية فى مساندة ثورة أندونسيا، وقد ظللت أتابع ما كان يجرى للإعداد لرحلة المبعوث الخاص للجامعة العربية الى أندونسيا فى صمت..

ولم يكن فى وسعى أن أنشر شيئا عن رحلة الدبلوماسى المصرى حفاظا على سرية مهمته....

وفى بيت الرجل فى ناحية سيدى جابر بالإسكندرية روت لى السيدة الفاضلة زوجته ـ بعد وفاته بعدة سنوات ـ بعض التفاصيل عما حدث عندما جاء زوجها، وكانت تقيم فى حلوان ليقول لها: إننى مكلف بمهمة قد تستغرق عدة أسابيع .

sharif mahmoud

إنه لم يقل لها شيئا عن طبيعة مهمته، ولكنه قام بالتأمين على حياته بمبلغ خمسة آلاف جنيه، ثم وضع بوليصة التأمين فى مظروف ناوله إلى زوجته، وهو يقول لها:

- إذا عدت سالما من المهمة نفتح المظروف سويا، أما إذا لم أعد فيمكنك فتح المظروف وتسلم قيمة بوليصة التأمين..

وعاد الدبلوماسى المصرى إلى بومباى وهو يعرف أن مهمته محفوفة بالمخاطر، فقد كان القتال يدور بضراوة فى مختلف أنحاء الجزر الأندونيسية ولم يكن الهولنديون ليسمحوا لأى رسول بالوصول الى هذه الجزر إلا عن طريقهم وبالوسائل العادية.

وكان عليه أن يعد كل شىء بحذر ودقة، وفى تلك الأيام كانت القنصلية المصرية فى بومباى تشغل شقة تقع فى عمارة اشتهرت باسم عمارة أبيروس، وكانت توجد فى أسفل هذه العمارة دار للسينما تحمل نفس الاسم.

وانهمك الدبلوماسى المصرى فى اتصالات سرية مع الثوار الاندونسيين حتى إذا ما تلقى الصناديق المملوءة بالأسلحة قام باستئجار طائرة من طراز الداكوتا، ثم انطلق بها ومعه شحنة الأسلحة فى مهمته الخطرة.

وأرسل الرجل قبل أن يقوم برحلته تقريرا سريا إلى المرحوم عبد الرحمن عزام عن طريق وزارة الخارجية المصرية يقول له فيه.. إنه قام بالاتفاق مع طيار هندى مغامر على استئجار طائرته، وهى طائرة صغيرة بمحركين لتحمله الى جزيرة جاوة حيث اتخذت الحكومة الوطنية الأندونسية التى شكلت مع إعلان الثورة.. من مدينة باتافيا - وهو الاسم القديم لمدينة جاكرتا - مركزاً لها، وقال.. إنه يخشى أن تعرف السلطات الإنجليزية فى الهند بطبيعة مهمته، ولذلك وجد من الضرورى أن يوحى إلى أصدقائه من الدبلوماسيين الأجانب فى بومباى أنه سيخرج فى رحلة للصيد فى بلاد الملايو، وللتمويه - أيضا حصل على تأشيرات زيارة على جواز سفره الدبلوماسى لسنغافورة وبلاد الملايو..

كما أنه أضاف اسم الهند الصينية الهولندية الغربية بين الدول المرخص له بزيارتها فى جواز سفره لمواجهة كل الظروف التى يمكن ان يتعرض لها، بما فى ذلك وقوعه فى أيدى الهولنديين.

وقال إن خطته التى اتفق مع الطيار الهندى على تنفيذها تعتمد على أن ينحرف الطيار بطائرته بعد خروجه من المجال الجوى لسنغافورة فى اتجاه جزر اندونسيا مدعيا ان عطبا

sharif mahmoud

أصاب أجهزة اللاسلكى والملاحة فى طائرته، مما أجبره على الهبوط الاضطرارى فى المكان الذى اتفق على الهبوط فى قلب الأحراش مع الثوار الأندونسيين.

كان تقريرا مثيرا للغاية. وكما فهمت فى تلك الأيام، انتاب المرحوم عزام شعور الاشفاق على الدبلوماسى المصرى، وأخذ القلق يراوده خوفا على حياة الرجل، وقد تبادر إلى خاطره أكثر من مرة أن يبعث إليه برقية يطلب منه أن يلغى التعليمات التى صدرت إليه بالقيام بهذه المهمة.

ولكن مرت عدة أيام، ثم تلقت وزارة الخارجية برقية بالشفرة من الدبلوماسى المصرى..

كانت برقية غريبة، وأظن أن أصلها موجود فى ملفات الأمانة العامة القديمة، وقد أثارت هذه البرقية دهشة المسئولين فى وزارة الخارجية بعد أن تم فك رموزها، فقد كانت تقول بالحرف الواحد:

- أخطروا سعادة الأمين العام لجامعة الدول العربية أننى أستأذنه فى القيام بإجازة لمدة ثلاثة أسابيع للسفر غدا السبت إلى بلاد الملايو، وسوف أقض اجازتى فى صيد الوحوش، أرجو أن تطلبوا إليه أن يدعو لى بالتوفيق..

وكان توقيع البرقية، باسم محمد عبد المنعم قنصل مصر العام فى بومباى.

وتلقى المرحوم عبد الرحمن عزام هذه البرقية فى اليوم التالى لوصولها إلى القاهرة ليدرك أنه لم يعد فى وسعه أن يفعل شيئا حتى يمنعه من القيام بمغامرته الخطرة.

وكانت أول مرة فى تاريخ الدبلوماسية المصرية يقوم فيها أحد الدبلوماسيين بمثل هذه المغامرة المثيرة..

وأذكر أننى كنت فى رحلة إلى أندونسيا فى عام ١٩٨٦ عندما حاولت أن أتابع بعض جوانب هذه المغامرة.. إن بعض الذين عاصروها من الثوار الأندونسيين مايزالون على قيد الحياة..

وقال لى أحدهم إن السفير على خشبة عندما كان سفيرا لمصر فى اندونسيا قام بتجميع شهادة بعض هؤلاء الأحياء فى كتيب صغير أصدرته السفارة المصرية فى جاكرتا باللغة الأندونسية.

وحصلت على نسخة من هذا الكتيب لاحتفظ بها فى أوراقى كوثيقة تدعم جانبا من تفاصيل مغامرة الدبلوماسى المصرى محمد عبد المنعم مع الثوار الأندونسيين فى أحراش جزيرة جاوة..

واقف هنا قليلا لأشير إلى حقيقة ههمة..

sharif mahmoud

● الدبلوماسى المصرى مع بعض زعماء الثورة الأندونيسية أثناء إحدى جولاته فى مدينة باتافيا

● قوات الثوار الأندونيسيين حاربوا الاستعمار اليابانى ثم الاستعمار الهولندى
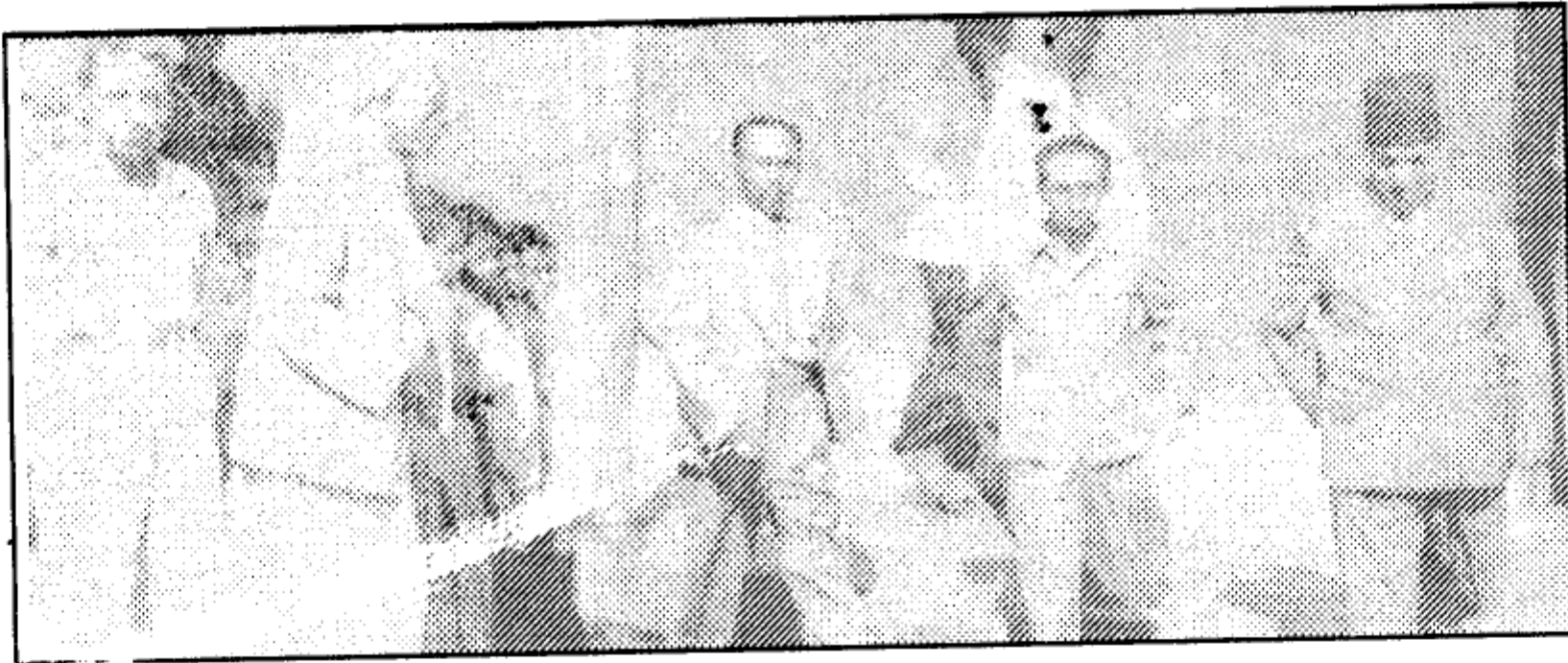
● الدبلوماسى المصرى أثناء زيارته لإحدى المدارس فى باتافيا

sharif mahmoud

كانت تعليمات المرحوم عبد الرحمن عزام إلى الدبلوماسى المصرى أن يقدم نفسه إلى ثوار أندونسيا على أنه مبعوث خاص من جامعة الدول العربية، وليس مبعوثا من مصر وحدها، وكان هدف عزام من وراء ذلك أن يعرف هؤلاء الثوار فى حربهم لتحرير بلادهم أن الدول العربية كلها وراء حركتهم التحريرية..

وعمل الرجل على تنفيذ تعليمات المرحوم عبد الرحمن عزام بدقة، وكان أن نزل من طائرته فى قلب الأحراش ليقول لمن استقبله من الثوار:

– أنا مندوب العرب، وأريد مقابلة أحمد سوكارنو لأبلغه رسالة هممة من الأمين العام لجامعة الدول العربية..

المهم هبطت الطائرة التى كانت تحمل الدبلوماسى المصرى، ومعه شحنة الأسلحة فى مطار مهجور كان اليبابانيون يستخدمونه أثناء احتلالهم للجزر الأندونسية..

إنه مطار قديم يقع على مسافة ٦٠ كيلو مترا من مدينة باتافيا مقر الحكومة الوطنية الأندونسية، وأسرع مدير المطار وكان واحدا من الثوار لاستقبال الطائرة، وهو لا يعرف شيئا عن مهمتها..

إن أحداً لم يصدق انها تحمل مبعوثا من الجامعة العربية.. ولم ينتظر مدير المطار وبادر بارسال رسالة عبر الأحراش الى زعماء الثورة الأندونسية فى باتافيا، وكان أحمد سوكارنو والدكتور محمد حتا فى اجتماع للمجلس الوطنى – أى برلمان الثورة – عندما وصل إليهما خبر وصول مبعوث الجامعة العربية..

وخرج الإثنان من الاجتماع ينتظران امام مقر المجلس وصول الدبوماسى المصرى إلى باتافيا، وكان واضحا انهما كانا فى لهفة إلى لقائه.

واعتذر مدير المطار بعدم وجود سيارة لتحمل الرجل إلى عاصمة الثورة، وقال.. إن مشكلته أنه لا يوجد عنده بنزين لتشغيل أي سيارة من السيارات التى كانت معطلة بسبب نفاد ما تحتاجه من البنزين.

وجاء الرد بسرعة من زعماء الثورة: تصرف، المهم أن يصل مبعوث الجامعة العربية إلينا.

وانتشر الخبر بسرعة فى أرجاء جزيرة جاوة، وخرج الوطنيون لمقابلة الرجل القادم من القاهرة، وهم يهتفون: جارودا.. جارودا.. أى الحرية .. الحرية..

sharif mahmoud

وكانت فرحة بعد أن عرف شعب أندونسيا أنه ليس وحده فى معركته ضد المستعمرين الهولنديين.

وفى هذه الأثناء قام مدير المطار بتجميع مخلفات البنزين من عدد من السيارات التى كانت معطلة، واستطاع تزويد إحدى السيارات القديمة بمخلفات هذا البنزين.

وتحركت السيارة تحمل الدبلوماسى المصرى بينما كان الوطنيون يتزاحمون حولها معبرين عن فرحتهم بوصول مبعوث العرب إلى بلادهم.

أما صناديق الأسلحة فقد تم نقلها بواسطة الدواب إلى باتافيا..

ووصل الرجل إلى باتافيا ليخرج أحمد سوكارنو والدكتور محمد حتا وزعماء الحكومة الأندونسية لاستقباله عند مدخل مبنى المجلس الوطنى..

وكانت مباحثات انتهت بسرعة، ثم عاد الدبلوماسى المصرى بعد أن أمضى مع زعماء الثورة الاندونسية عدة أيام إلى سنغافورة، ومنها واصل رحلته إلى بومباى.

كان يخشى ان تعرف أجهزة المخابرات الغربية برحلته فتتربص بطائرته أثناء رحلة العودة، وعرف المرحوم عبد الرحمن عزام فى القاهرة بعودة الدبلوماسى المصرى، فأبرق إليه عن طريق وزارة الخارجية يطلب إليه أن يطير على أول طائرة إلى القاهرة.

وجاء الرجل يحمل تقريرامهما ضمنه تفاصيل كل ما سمعه من أراء الزعماء الاندوسيين وتوقف الأمين العام للجامعة العربية طويلا أمام فقرة جاءت فى هذا التقرير تقول:

– أن زعماء أندونيسيا لهم طلب هام قبل كل شيء وهو أن يجدوا دولة واحدة من بين الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة الست والأربعين (فى ذلك الوقت) تعترف باستقلال بلادهم، لأن مثل هذا الاعتراف يمكن أن يضفى على حركتهم صفته الشرعية الدولية، كما أنه يخرج بالثورة الاندونيسيه من نطاق الثورة المحلية إلى مستوى حركات التحرير العالمية.

وقال المرحوم عبد الرحمن عزام إنه يتفق مع الزعماء الأندونسيين فى الرأى ، وقد بادر بمناقشة الموضوع مع المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية ومع أحمد خشبة باشا وزير الخارجية المصرى.

قال لهما: إن فى تقديرى ـ بعد الذى عرفته عن موقف الثورة الاندونسية ـ أن شعب اندونسيا سيحقق انتصارا كبيراً فى معركته ضد الهولنديين، وفى رايى أن مبادرة مصر

sharif mahmoud

بالاعتراف بحركة تحرير اندونسيا سيكون له أوقع الأثر فى نفوس الأندونسيين، وان مثل هذا الموقف يمكن أن تستفيد منه مصر والدول العربية فى معركتها عندما تصبح أندونسيا دولة مستقلة، وبالتالى سيكون عليها رد الجميل أن تقف إلى جانب مصر والدول العربية وأن تساندها فى قضاياها العربية.

وللحقيقة والتاريخ استجاب النقراشى باشا لرأى عبد الرحمن عزام، وخاصة بعد أن عرف بتفاصيل رحلة الدبلوماسى المصرى..

وكان النقراشى باشا هو الذى اقترح باسم مصر ان تقوم الأمانة العامة للجامعة العربية بمناقشة موضوع الاعتراف بحركة تحرير اندونسيا مع بقية الدول العربية.

وكان رأيه أن يكون هذا الاعتراف بإجماع الحكومات العربية حتى يكون له أثره الفعال فى دعم الثورة الأندونسية.

وفى نفس الوقت كلف عزام الدوبلوماسى المصرى بالعودة إلى بومباى وطلب إليه أن يبعث إلى الرئيس أحمد سوكارنو رسالة باسم الأمين العام للجامعة العربية يقول له فيها: دبر بأية وسيلة أن يصل إلى القاهرة وفد من رجالك.

وتلقى زحمد سوكارنو هذه الرسالة التى وصلت إليه سرا مع أحد البحارة الأندونيسيين كان يعمل على إحدى السفن التى تخرج لصيد السمك فى الخلجان التى تمتلىء بها المنطقة بين سنغافورة وجزيرة جاوه..

ولم ينتظر الرئيس سوكارنو وبادر بعد تلقيه رسالة عزام بإيفاد وفد يمثل حركة تحرير اندونسيا إلى القاهرة.

وكانت اجتماعات هممة تحدث فيها أعضاء الوفد الأندونيسى كثيرا عن أوضاع الثورة الأندونيسية..

وفى يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعه العادى، وتكلم عزام فى مستهل هذا الاجتماع ليلقى بيانا هما قال فيه بالحرف الواحد:

– إن للعرب فى أندونسيا شأنا كبيرا ولاسيما اليمنى الأصل منهم، بل إن إسلام هذا البلد كان تقريبا على يد العرب، ولذلك تعلق الاندونسيون بالأمة العربية تعلقا لانظير له وهم يشعرون بعزة كبيرة لصلتهم بالشرق العربى، ولذلك فإنهم أولى الناس بالعطف من غيرهم، وقد تلقيت

sharif mahmoud

رسائل عديدة من الجاليات العربية الموجودة فى أندونسيا والموجودة فى الملايو والهند وهم يناشدون إخوانهم العرب أن يقفوا إلى جانب حرية أندونسيا لأن هذه الحرية تعنى أيضا حرية مئات الألوف من العرب المهاجرين إلى تلك البلاد، فالحكومات العربية أجدر بأن تعترف بكيان الحكومة الأندونيسية اما المجهود الضئيل الذى قدر لى أن أقوم به عندماارسلت الحكومة البريطانية السير أرشليد كلارك كوسيط بين الحكومة الهولندية واندونسيا إذ بعثت برقية إليه لبذل وساطته فى سبيل استقلال الأندونيسين لا فى سبيل استعبادهم، فأرسل إلىّ ردا رقيقا، ولما جاء مصر فى طريقه إلى انجلترا ومعه وزيران من حكومة اندويسيا الوطنية قابلنى وتناقشنا طويلا وأراد ان يفهمنى أنه لم يقصر فى وقوفه موقفا مؤيداً للحرية، وطلب إلى ألا أعتقدأن انجلترا تستحق الاتهام لأنها كانت سندا للهولنديين وأنها أعطتهم فرصة الرجوع إلى هذه البلاد، وقد قال لى هذا الوسيط إنه سيبذل جهده فى سبيل الحرية، وإنه يرجو أن تصبح حرية حقيقية، ولم أتمكن من الاتصال بالوزراء الاندونيسيين، ولكننى اغتنمت فرصة عودتهم من إنجلترا حيث كان الاجتماع بينهم وبين الانجليز والهولنديين، وقمنا ببعض الواجب نحوهم، وحصلنا منهم على المعلومات عن حالتهم، وعلمت لحسن الحظ أن القوة الهولندية فى بلادهم ليست بالكبيرة وأن الاندونسيين يعتقدون أنه لو كفت انجلترا يدها عن التدخل المسلح لمصلحة هولندا لأمكنهم أن يضطروا الهولنديين إلى مواجهة الأمر الواقع والشعب يؤيدهم تأييدا كافيا، وفى يده من الأسلحة ما يكفل تحقيق النصر، وهم يقولون إن الدول العربية التى تناضل للحرية مثلنا والتى هى فى وضع يجعلها تنتصر لكل شعب مستعبد، إذا لم تعلن اعترافها بهم، فمن ذا الذى يمد لهم يد المساعدة ؟!

ثم استطرد المرحوم عبد الرحمن عزام يقول:

آن الآوان لكى تشعر الدول العربية بوجودها فى الشرق الأقصى لأن هذا فى الحقيقة يرفع شان تلك الدول بين ملايين البشر فى أندونيسيا وغيرها، وبهذا الصنيع الذى تقدمه الدول العربية نغرز بذور الصداقة مع شُعب المستقبل فى الشرق الأقصى..

وكان هذا البيان كافيا لأن يقرر مجلس الجامعة العربية على ضوء المعلومات التى أدلى بها المرحوم عبد الرحمن عزام، توصية الدول العربية بالاعتراف بأندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة..

sharif mahmoud

وكانت القاهرة أول دولة اعترفت باستقلال جمهورية أندونسيا، وفى نفس اليوم الذى غادر فيه الوفد الاندونيسى القاهرة عائدا إلى بلاده استمع العالم الى إعلان رسمى من إذاعة القاهرة يتكون من عدة كلمات تقول: تعلن الحكومة المصرية اعترافها بجمهورية أندونسيا دولة مستقلة ذات سيادة..

وجاد اعتراف المملكة العربية بعد ساعات فى نفس اليوم.

وبعدها سمع العالم أصوات الدول العربية الواحدة بعد الأخرى وهى تعلن اعترافهاباستقلال أندونسيا باعتبارها دولة ذات سيادة..

وكان هذا الاعتراف بالإجماع من جانب الدول العربية باستقلال أندونسيا حجر الزواية الذى قامت على اساسه بعد ذلك الكتلة العربية الاسيوية فى الأمم المتحدة. وكان بداية التعاون بين الدول العربية والآسيوية..

وفى سنة ١٩٤٧ سافر المرحوم عبد الرحمن عزام إلى الولايات المتحدة للمشاركة فى الجهود أثناء مناقشة قضية فلسطين فى الأمم المتحدة.

ونقلت وكالات الأنباء عدة برقيات تقول إن الهولنديين يحشدون قوات كبيرة وانهم بدأوا فى هجوم ساحق للقضاء على حركة التحرير الأندونيسية..

وارتفعت أصوات مندوبى بعض الدول العربية والإسلامية تطالب بالشكوى إلى مجلس الأمن انقاذا للثورة الأندونيسية التى كانت تجتاز مرحلة حاسمة، وكانت المشكلة أن مثل هذه الشكوى لايمكن أن تتم مناقشتها فى مجلس الأمن إلا إذا تقدمت بها إحدى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة.

وفى نفس الوقت كانت الدول العربية منهمكة تماما ـ وعلى راسها مصر ـ فى معارضة مشروع تقسيم فلسطين الذى كانت تجرى مناقشته فى الأمم المتحدة..

ولم ينتظر المرحوم عبد الرحمن عزام واتجه إلى حكومة أفغانستان التى كانت تجمعه بالمسئولين فيها علاقات قوية منذ أن كان يعمل وزيرا مفوضا لمصر فى كابول فى سنة ١٩٣٦، واتجه أيضا إلى أستراليا عن طريق مندوبها فى مجلس الأمن وكانت تربطه به معرفة قديمة.

وعندما جاءت بعض الأنباء تقول إن قوات الهولنديين أخذت تتقدم فى الأراضى الأندونيسية لم يكن أمام المرحوم عبد الرحمن عزام إلا أن يطلب إلى الهند المبادرة بإثارة القضية أمام مجلس

sharif mahmoud

الأمن..

وعرف أنه بعث برسالة الى البانديت نهرو رئيس وزراء الهند عن طريق واصف أغاخان - مندوب الهند فى الأمم المتحدة فى تلك الأيام - يطلب إليه فيها تبنى الهند قضية كفاح شعب أندونيسيا أمام الأمم المتحدة..

وقام فى نفس الوقت بتوجيه نداء الى البانديت نهرو فى إذاعة الأمم المتحدة قال له فيه:

- إن هناك شعبا آسيويا يتعرض لأخطر عمليات الإبادة ،وعلى شعوب العالم أن تهب لنصرة حق شعب أندونسيا فى الحرية والاستقلال..

واستجاب البانديت نهرو بسرعة للرسالة ولنداء المرحوم عبد الرحمن عزام، وكان أن أبرق إلى السيد واصف اغاخان مندوبه فى الأمم المتحدة يطلب إليه أن يقوم بعرض قضية شعب أندونسيا على مجلس الأمن..

وكان تحولا تاريخيا عندما اكتشفت الدول الآسيوية المستقلة مع إثارة هذه القضية مجلس الامن أنها فى وضع لايمكن أن يسمح لها بالعزلة عن حركات التحرير فى آسيا.

وعرف العرب فى نفس الوقت ان لهم حلفاء طبيعيين فى أسيا يمكن أن يقفوا إلى جانبهم وان يساندوا قضاياهم، وكان مولد الكتلة العربية الآسيوية التى تعتبر فى رأيى اللبنة الأولى فى حركة عدم الانحياز التى تزعمتها مصر والهند وأندونسيا ويوغسلافيا القديمة أيام الرئيس تيتو..

ونقول: لماذا وقع اختيار المرحوم عبد الرحمن عزام على الهند وليس باكستان - وكانت دولة مستقلة وعضو فى الأمم المتحدة - لتبنى إثارة قضية اندونسيا أمام مجلس الأمن..

والحواب كما قال لى هو بنفسه مرة:

- إن باكستان دولة إسلامية وقد طلبنا إلى الهند إثارة القضية حتى لاتتهم الدول الإسلامية بالتعصب، ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها ان الوفد الأندونيسى الذى سافر إلى نيويورك لعرض قضية بلاده تعرض لمركز مالى حرج، وعندما عرف المرحوم عبد الرحمن عزام بذلك بادر باقتراض مبلغ ٢٠ ألف دولار من المرحوم محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى قبل ثورة ٢٣ يوليو، وقام بزيارة الوفد الأندونسى فى فندقه وسلمه المبلغ على أنه قرض من الجامعة العربية حتى يتسنى له حل مشكلته المالية..

وفى نفس الوقت كتب المرحوم عبد الرحمن عزام إيصالا على نفسه بقيمة المبلغ وقام بتسليمه

sharif mahmoud

إلى المرحوم محمود ابو الفتح، وهو يقول له:

– هذا الدين تضمنه الأمانة العامة للجامعة العربية...

والذى أعرفه إن الحكومة الأندونيسية قامت بتسديد قيمة هذا القرض إلى الأمانة العامة بعد خمسة أشهر، وقد تم تحويل قيمة القرض إلى المرحوم محمود ابو الفتح..

وأذكر أن المرحوم عبد الرحمن عزام قام بعد عودته إلى القاهرة بتوجيه الدعوة إلى ليافت خان رئيس وزراء باكستسان لزيارة القاهرة ضيفا على الجامعة العربية.. وجاء الرجل ليقوم الأمين العام للجامعة العربية بإحاطته بكل الكرم والحفاوة..

أراد أن يزيل عن نفس الزعيم الباكستانى أى أثر لأن الجامعة العربية لم تطلب من حكومة باكستان أن يكون لها شرف إثارة قضية أندونسيا أمام مجلس الأمن..

وأذكر أن حكومة أندونسيا أطلقت بعد الاستقلال اسم عبد الرحمن عزام على أحد الشوارع الرئيسية فى مدينة جاكرتا تقديرا لدوره فى الدفاع عن قضية الشعب الاندونيسى فى الجامعة العربية، وأمام المحافل الدولية.

وحدث بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، واستقالة عبد الرحمن عزام من منصبه كأمين عام للجامعة العربية أن أوفدت الحكومة الأندونيسية بعثة رسمية الى القاهرة حيث قامت بزيارته فى الشقة التى يعيش فيها وتطل على النيل فى العجوزة، وقدمت البعثة إليه هديتين واحدة باسم شعب أندونسيا، وكانت عبارة عن تمثال صغير من الذهب الخالص لأحد رموز الحركة الوطنية فى أندونسيا.. وكانت الهدية الثانية باسم الحكومة الوطنية الاندونيسية، وكانت عبارة عن «كوب» من الذهب الخالص أيضا لعطائه بلا حدود فى دعم حركة تحرير أندونسيا، وأقام المرحوم عبد الرحمن عزام حفل شاى محدود فى بيته لأعضاء البعثة الاندونيسية.

وكنت حاضرا هذا الحفل، ورأيت أحد أعضاء البعثة الاندونيسية، يبكى لأن المرحوم عبد الرحمن عزام ترك منصبه فى الأمانة العامة للجامعة العربية.

ولما سألته لماذا تبكى؟.. قال الرجل:

– إن عزام باشا زعيم كبير ونحن نعتبره فى أندونسيا واحدا من زعماء حركة الاستقلال فى بلادنا..

●●●

sharif mahmoud

وفى العام الماضى قررت الحكومة الاندونيسية إهداء ثلاثة أوسمة لأسماء ثلاثة من المصريين لعبوا دورا فى معركة تحرير أندونسيا، وهى اسم المرحوم عبد الرحمن عزام، واسم المرحوم السفير محمد عبد المنعم الذى قام بمغامرة الاتصال بزعماء حركة التحرير الاندونيسى فى أحراش جزيرة جاوة باسم الجامعة العربية ، واسم السفير محمد فهمى العمروسى الذى عمل سفيرا لجمهورية مصر العربية فى أندونسيا لمدة ١٢ سنة، ويطلقون عليه اسم مهندس مؤتمر باندونج.

وكانت وزارة الخارجية قد حاولت مرة نقل السفير العمروسى إلى القاهرة بعد انتهاء مدة عمله فى اندونيسيا، ورفضت الحكومة الاندونيسية أن تسمح بنقله وأرسل الرئيس الراحل سوكارنو رسالة إلى الرئيس عبد الناصر يقول له فيها:

- أغلق سفارتك فى جاكرتا واقطع علاقتك الدبلوماسية معنا ولاتنقل صديقى السفير العمروسى، إنه مستشارى.

وفى القاهرة اقام سفير أندونسيا حفلاً كبيراً لتسليم الأوسمة الثلاثة إلى ثلاثة من أولاد المكرمين وللأسف الشديد وقع السفير الاندونسى فى خطأ كبير عندما التبس عليه اسم المرحوم السفير محمد عبد المنعم وإسمه بالكامل محمد عبد المنعم صالح، مع اسم السفير محمد عبد المنعم مصطفى الذى عمل فى عام ١٩٤٩ أمينا مساعدا للشئون السياسية بالأمانة العامة للجامعة العربية لعدة سنوات.

وكان أن قام بتسليم الوسام الخاص باسم السفير محمد عبد المنعم صالح إلى ابنة السفير محمد عبد المنعم مصطفى.

وعرفت الحكومة الاندونيسية بالخطأ الذى وقع فيه سفيرها فى القاهرة، فاستدعته إلى جاكرتا ولم يعد بعدها إلى القاهرة إلا لوداع زملائه فى السلك الدبلوماسى..■

sharif mahmoud

الفصل الثامن

8

أزمه النياشين فى اول يوم لزياره الملك عبد العزيز لقاهره
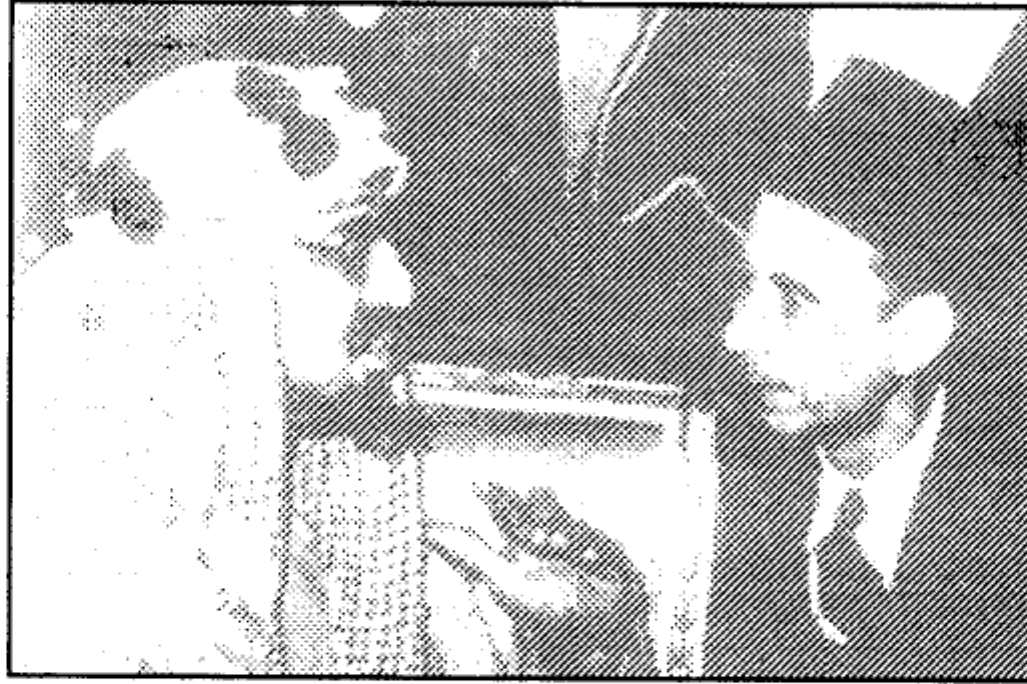
● الملك عبد العزيز يتحدث مع عبد الرحمن عزام والأمير محمد عبد المنعم أثناء احد المأدب التى اقيمت لتكريمه أثناء زيارته الرسمية للقاهرة

- الملك فاروق وهب الامانه العامه للجامعه العربيه قصرا لايملكه !
- عندما اذن الملك عبد العزيز لصلاه الظهر فى احتفال عزام بتكريمه!
- علاقه الملك عبد العزيز بالعقاد بدأت بالشك وانتهت بالصداقه !

sharif mahmoud

● استقبل الملك فاروق الملك عبد العزيز بملابس التشريفة

● وارتدى الملك عبد العزيز العباءة السوداء

● الملك عبد العزيز يحيى مستقبليه من القطار الملكى الذى استقله من السويس إلى القاهرة

sharif mahmoud

عندما إلتقى الملك فاروق مع الملك عبد العزيز آل سعود فى رضوى فى يوم ٢٢ من يناير سنة ١٩٤٥ وجه الدعوة إلى العاهل السعودى للقيام بزيارة رسمية لمصر..

وكانت اتصالات بين القاهرة والرياض انتهت بالاتفاق على أن يقوم الملك عبد العزيز بهذه الزيارة ابتداء من يوم ١٠ من يناير سنة ١٩٤٦ ... أى بعد سنة كاملة من لقاء الملكين المصرى والسعودى فى رضوى.

وتشكلت بعثة رسمية لمرافقة الملك عبد العزيز فى رحلته إلى مصر.. وكانت هذه البعثة برئاسة مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية فى تلك الأيام ، وتضم الكاتب والأديب عباس محمود العقاد بصفته عضوا فى مجلس الشيوخ المصرى وإسماعيل تيمور باشا الأمين الأول بالقصر الملكي والقائم مقام ـ أى العقيد ـ محمد حلمي حسين مدير الركائب الملكية وعوض البحراوى بك وزير مصر المفوض في جدة وكريم ثابت ممثلا للصحافة المصرية..

وفى يوم ٧ من يناير سنة ١٩٤٦ وصلت بعثة الشرف المصرية على اليخت المحروسة. الذى أصبح اسمه بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ـ اليخت الحرية ـ إلى جدة لمرافقة العاهل السعودى فى رحلته بهذا اليخت من جدة إلى السويس..

وتوجه أعضاء بعثة الشرف من جدة الى مكة حيث استقبل الملك عبد العزيز أعضاءها للترحيب بهم قبل أن يبدأ رحلته الرسمية لزيارة مصر..

ولعلها المرة الأولى التى يعرف فيها أن العاهل السودى لم يكن مرتاحا فى بادىء الأمر لوجود الكاتب والأديب عباس محمود العقاد بين أعضاء بعثة الشرف..

وكما سمعت من أحد السعوديين المقربين الى العاهل السعودى أن جلالته وصف العقاد فى أحد مجالسه بأنه رجل لايعرف الله..

وكان حكما قاسيا من الملك عبد العزيز على عباس محمود العقاد ..

وأثار ذلك الشيخ يوسف ياسين، وكان سكرتيرا خاصا للملك قبل أن يصبح وزير دولة للشئون

sharif mahmoud

الخارجية، وكان أن قال للملك:

ـ ياطويل العمر .. العقاد هو مؤلف كتاب: عبقرية محمد .. ولا أظنه إلا رجلا صالحا..

وسأل الملك عبد العزيز عن كتاب العقاد عن «عبقرية محمد»

قال : صحيح .. لايمكن الحكم على الرجل قبل أن نعرف أفكاره..

وسمعت فى تلك الأيام أن الشيخ يوسف ياسين ظل يفتش طوال الليل عند معارفه وأصدقائه من السعوديين فى مكة عن نسخة من الكتاب حتى عثر عليها..

وحمل الشيخ يوسف ياسين الكتاب إلى الملك عبد العزيز الذى طلب إليه أن يقرأه له..

وقرأ الشيخ يوسف ياسين عدة فصول من الكتاب للملك..

وأعجب الملك بالكتاب وكان تعليقه:

ـ هذا كلام مليح ، وأظنهم ظلموا العقاد عندما قالوا لى إنه رجل لايعرف الله..

وفى اليوم التالى استقبل الملك بعثة الشرف المصرية ولاحظ أعضاء البعثة ـ دون أن يعرفوا السبب ـ الحرارة التى رحب بها العاهل السعودى بالكاتب والأديب عباس محمود العقاد..

وكما سمعت .. أمسك الملك بيد العقاد طويلا عندما تقدم لمصافحته ثم أشار إليه ليجلس إلى يمينه، بينما أجلس مراد محسن باشا رئيس البعثة إلى يساره..وعبر الملك عن إعجابه بالعقاد عندما أخذ يناقشه حول آرائه التى جاءت فى كتاب : «عبقرية محمد»..

وكان حديث الملك فى أثناء استقباله لأعضاء بعثة الشرف المصرية يكاد يكون مع العقاد وحده

وروي لى أحدهم .. أن الملك عبد العزيز قال للعقاد مداعبا:

ـ سمعنا أنك لم تتزوج حتى الآن ، فماذا لو زوجناك من عندنا؟..

وكان موقفا حرجا للعقاد الذى عاش حياته عازبا، إلا أنه تدارك الموقف بسرعة ورد على الملك عبد العزيز قائلا:

ـ أظننى ياطويل العمر بلغت سن اليأس ، فلم أعد صالحا للزواج..!

●●●

وأذكر أن الأستاذ العقاد وصف رحلته مع أعضاء بعثة الشرف الرسمية على ظهر اليخت المحروسة فى مقال نشرته مجلة الرسالة التى كانت تصدر في القاهرة وكان بعنوان : فى الحرم...

sharif mahmoud

وفى هذا المقال قال بالحرف الواحد:

ـ ركبنا البحر، ونحن لانعلم على وجه التحقيق، أين نلتقى مع صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، لأن برنامج الرحلة لم يكن يشير إلى المكان، فقد كان من الجائز أن يكون فى جدة ، لأنها الميناء الذى ينتقل منه جلالته إلى اليخت المحروسة ، ولجلالته قصر منيف فى نواحيها ، وهو القصر المعروف باسم «قصر خزام» .. ومن الجائز أن يكون لقاؤنا بجلالته فى مكة المكرمة ، لأن اليخت يصل إلى جدة قبل سفر جلالته بيومين ، فإذا كان استقبال البعثة الملكية فى جدة ، فلا عمرة ولا إحرام، وإذا كان الاستقبال فى مكة المكرمة ، فقد وجبت العمرة ووجب الإحرام..

ولكن كيف السبيل إلى الاحرام ، وكيف السبيل إلى خلع المخيط فى الشتاء وإن كان الجو فى مكة أدفأ من جو القاهرة بدرجات؟!

إننى ألبس الصوف شتاء وصيفا من خمس وعشرين سنة ، وإذا صح أن الصوفى منسوب ، فليس على ظهر الأرض رجل أحق منى بهذه الصفة، فكيف السبيل إلى التحلل من هذه الصفة التى لصقت بالموصوف ، فلا فكاك منها ولا فرار .

واستطرد العقاد يقول فى مقاله :

ـ جاءنا فى عرض البحر أن صاحب الجلالة عاهل الجزيرة العربية يستقبلنا فى قصره العامر بمكة المكرمة ، فنوينا الفدية ونوى أصحابنا الإحرام ولم يبق معى بملابسه غير الاستاذ عوض البحراوى وزير مصر المفوض في المملكة العربية ال سعودية ، لأن الإحرام لايلزمه، وإنما يلزمه أن يطوف بالكعبة عند مغادرته مكة طواف الوداع..

كان مقالا ممتعا للأستاذ العقاد ، وقد ضمنه الكثير من مشاعره أثناء رحلته إلى المملكة العربية السعودية كعضو فى بعثة الشرف الرسمية التى كلفت بمرافقة الملك عبد العزيز ال سعود فى أثناء رحلته من جدة الى القاهرة.

●●●

وأذكر بعض التفاصيل التى سمعناها كصحفيين فى تلك الأيام عن رحلة العاهل السعودى الكبير من جدة الى السويس على ظهر اليخت المحروسة..

كان الملك قد اصطحب معه فى رحلته إلى القاهرة شقيقه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن واثنى عشر أميرا من أنجاله هم الأمير محمد أكبر الأبناء والأمير خالد الذى أصبح الملك خالد ،

sharif mahmoud

والأمير فهد «الملك فهد خادم الحرمين وعاهل المملكة العربية السعودية حاليا» والأمراء عبد الله وبندر ومساعد وعبد المحسن ومشعل وسلطان «وزير الدفاع السعودى حاليا» ، ومتعب وطلال ونواف..

وقام الملك فى صباح يوم إبحار جلالته على ظهر اليخت المحروسة من جدة بالطواف حول الكعبة الشريفة مودعا..

وعرف أن جلالته شعر بألم شديد فى إحدى ركبتيه أثناء طوافه لكنه تحامل على نفسه ، وقد ظل يعانى من الألم حتى استقل اليخت المحروسة..

ولكن سرعان ماتحسنت صحة الملك بعد ساعات من إبحار اليخت المحروسة فى طريقه الى ميناء السويس وزال عن جلالته الألم تماما..

وعلى ظهر اليخت المحروسة استمع جلالة الملك عبد العزيز من أحد أجهزة الإذاعة عن وصف للاستعدادات التى كانت قائمة فى مصر لاستقبال جلالته ..

وابتسم جلالته ، وهو يقول لمن حوله:

- إن القلوب عند بعضها ..

ولما قيل لجلالته إن استقبالا رسميا قد أعد فى ميناء السويس للترحيب به قال:

- ليس عندنا ردنجوت ، ولكننا سنلبس الردنجوت الأسود الخاص بنا فى السعودية ..

وكان جلالته يعنى .. العباءة السوداء..!

وعرف أن جلالته طلب إلى أنجاله من الأمراء الذين اصطحبهم معه في رحلته علي ظهر اليخت المحروسة ، وإلى رجال حاشيته ومرافقيه أن يرتدوا جميعا عند مغادرتهم اليخت فى ميناء السويس العباءات السوداء..

وكانت عادة جلالة الملك عبد العزيز أن يرتدى وحده العقال المذهب أما أنجاله فقد جرت العادة على أن يلبسوا العقال الأسود ، وهو نفس العقال الذى يرتديه رجال الحاشية أيضا..

وحدث أثناء رحلة اليخت المحروسة أن التمس بعض الأمراء السعوديين من أنجال الملك إلى جلالته أن يسمح لهم بارتداء العقال المذهب أثناء الاحتفال الرسمي باستقبال جلالته فى ميناء السوس ليميزوا به عن رجال الحاشية ووافق الملك عبد العزيز..

ولكن أنجال الملك عدلوا عن ارتداء العقال المذهب إحتراما واجلالا لجلالة والدهم العاهل

sharif mahmoud

السعودى الكبير..

وحدث أيضا أثناء رحلة اليخت المحروسة أن أثار أحد رجال الحاشية السعودية مشكلة بروتوكولية..

قال: إن العادلة جرت عندما يهدى أحد الملوك إلى ملك أخر قلادة أو وساماً رفيعاً أن يقوم الملك الذى أهديت إليه هذه القلادة أو الوسام الرفيع بارتداء نفس القلادة أو الوسام عندما يشترك فى حفل استقبال رسمى يقيمه الملك على شرفه ، أى لتكريمه..

ولما كان فاروق قد أهدى إلى الملك عبد العزيز قلادة محمد على الكبير عند لقائهما فى رضوى فقد تساءل رجل الحاشية السعودى عما إذا كان جلالة الملك عبد العزيز سيرتدى تلك القلادة أثناء حفل الاستقبال الرسمى الذى أعد لجلالته فى ميناء السوس.

ودارت مناقشات بين رجال الحاشية السعودية حول هذا الموضوع وانتهى رأيهم إلى ان جلالة الملك عبد العزيز قد أهديت إليه قلادات وأوسمة رفيعة كثيرة من بعض ملوك ورؤساء الدول الأجنبية ولم يحدث أن ارتدى جلالته فى حياته أى واحدة من تلك القلادات أو الاوسمة..

وكان هذا يعنى أن التساؤل الذى أثاره رجل الحاشية السعودى لايجب أن يكون موضوعا للمناقشة..

وعرف جلالة الملك عبد العزيز بتفاصيل المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فسكت ولم يقل شيئا..

ثم كانت المفاجأة عندما وصل اليخت المحروسة إلى ميناء السويس عندما ظهر جلالة الملك عبد العزيز وهو يستعد للنزول من اليخت وكان يضع قلادة محمد على الكبير فوق صدر عباءته السوداء ..!

والتفت الملك عبد العزيز إلى رئيس بعثة الشرف المصرية وقال له :

- إنى والله لم أفعل ذلك ، إلا لمصر وحدها ..

فكانت أول مرة وآخر مرة فى حياة الملك عبد العزيز الذى يضع فيها قلادة أو وساما على صدره!!

●●●

وروى لى أحدهم أن الملك عبد العزيز كان يسأل كثيرا أثناء رحلته من جدة إلى السويس عن

sharif mahmoud

ويروى حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى فى تلك الأيام في مذكراته السياسية التى نشرها فى كتاب بعنوان : «القصر ودوره فى السياسة المصرية.. ١٩٢٢ -١٩٥٢» تفاصيل أزمة وقعت فى أول يوم بعد وصول جلالة الملك عبد العزيز الى القاهرة.

إنه يقول عن هذه الأزمة إلتى لم نعرف عنها نحن الصحفيين فى تلك الأيام شيئا ، بالحرف الواحد :

- كان الملك فاروق قد أهدى الى الملك عبد العزيز عندما قام بزيارة الحجاز فى يناير سنة ١٩٤٥ قلادة محمد على الكبير، أرفع نياشين الدولة ..

وتقضى المراسم بإهداء الضيوف يوم وصولهم الأوسمة والنياشين لكى يتشحوا بها فى حفل العشاء التى أقيمت في مساء أول يوم بعد وصول الملك الى القاهرة فى قصر عابدين تكريما لهم ولما كان عدد الأمراء كبيرا ، ونظرا لانه لايمكن إهداء الأمير نيشانا أقل من درجة الوشاح الأكبر ، فقد اقترحت إهداء الأمير شقيق الملك الوشاح الأكبر من نيشان إسماعيل ، وكل من الأمراء الثلاثة الأول الوشاح الأكبر من نيشان النيل ، وإهداء التسعة إمراء الباقين ساعات ذهبية تذكارية أسوة بما كان متبعا فى المملكة العربية السعودية ..

ووافق أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى على اقتراحى وأعتمده الملك فاروق ، أى وافق وصدق عليه لتنفيذه .

وأرسلت النياشين والأوسمة والساعات الى قصر الزعفران حيث كان يقيم الضيف الكبير وحاشيته ..

ولما رأى الأمراء التسعة وهم يستعدون لحفل العشاء بريق النياشين على صدور إخوتهم الثلاثة غضبوا وأمتنعوا عن استلام الساعات الذهبية وقرروا عدم حضور الحفل.

واستطرد حسن يوسف باشا قائلا فى مذكراته :

- أبلغنى التشريفاتى المنتدب فى قصر الزعفران بهذا الاعتصام ولما رفعت الأمر الى مسامع الملك أمر بعرض المشكلة على الضيف الكبير ولما عرض الأمر على الملك عبد العزيز قال :

- أنا لا أفرق بين أحد من أولادى ..

وكان هذا يعنى .. إما أن يمُنح جميع الأمراء نياشين أو أن يمُنحوا جميعا ساعات ذهبية .

ويقول حسن يوسف باشا:

sharif mahmoud

ـ حاولت الاتصال فورا بمولانا الملك لأتلقى تعليماته على ضوء ماحكم به الضيف الكبير ، ولما لم أتمكن من الاتصال به شخصيا أخبرت الأمين الخاص بأن الموقف أصبح يدعو الى الحرج وأن الامراء التسعة قرروا الإحجام عن حضور الحفل إذا لم يسو بينهم وبين إخوتهم: فقال الأمين الخاص : إن مولانا مشغول..

وحاولت مرة ثانية وثالثة دون جدوى ، ولم يكن قد تبقى على موعد الحفل سوى بضعة دقائق، وجاءني رسول من قصر الزعفران ومعه الساعات الذهبية المرتدة ، ويطلب تسعة نياشين لتسليمها إلى الأمراء..

وتصورت أن تقام المأدبة ، وبها تسعة مقاعد رئيسية خالية ، وليس أمامنا فسحة من الوقت لإعادة ترتيب مقاعد المائدة ..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أحسم الموقف على مسئوليتى وبعثت تسعة نياشين إلى قصر الزعفران..

ولشدة ما كانت دهشة الملك فاروق عندما شاهد الأمراء وهم يتشحون جميعا بالوشاح الأكبر، وهم يتهادون داخلين الى حفل العشاء..

وبعد أن انتهت المأدبة عدت إلى مكتبى فإذا الملك فاروق يتصل بى تليفونيا ويقول بصوت غاضب:

ـ من الذى يمنح النياشين فى هذا البلد؟

قلت : إن لمولانا الرأى الأعلى وقد أشار بتحكيم الملك عبد العزيز الذى حكم بالمساواة بين أنجاله..

ثم أضفت : إننى خشيت أن تقام المأدبة وبها تسعة مقاعد خالية.

وهنا قاطعنى الملك قائلا :

ـ لى معك حساب فى الغد ..

ومضى حسن يوسف باشا يقول :

ـ أبلغت هذا التهديد إلى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى فى منزله فهدأ من روعى وكان كريما عندما قال.. إن تصرفى كان سليما وإنه يشترك معى فى تحمل المسئولية ..

ويبدو أن الملك أعاد تقدير الموقف فلم يتخذ معى أى إجراء ولكنه تعمد مقاطعتى ، ولم يتصل

sharif mahmoud

بى كعادته لفتره في أى شأن من شئون العمل بالديوان ..

وتشاء الظروف أن يعتذر مراد محسن باشا عن عدم مرافقة الضيف الكبير فى رحلة عودته إلى السعودية يوم ٢١ يناير ، وكان المنصب الذى يلى منصب ناظر الخاصة الملكية فى الأسبقية هو منصب وكيل الديوان ، فلم ير الملك بدا من انتدابى لرئاسة بعثة الشرف التى رافقت الملك عبد العزيز في رحلة عودته إلى جدة ..

●●●

واعود بذاكرتى إلى تلك الأيام ، فقد كان عبد الرحمن عزام بك الأمين العام للجامعة العربية هو النجم البارز أثناء زيارة العاهل السعودى بحكم الصداقة المتينة التى كانت تربط بينهما .

وواجه الأمين العام للجامعة العربية مشكلة ، وهى أن عليه أن يقيم حفل تكريم للعاهل السعودى باسم الأمانة العامة للجامعة ، وهو لايجد مكانا صالحا لإقامة حفل التكريم فيه ..

وكانت الأمانة العامة للجامعة ماتزال تحتل الحجرتين اليتيمتين بمبني وزارة الخارجية المصرية القديم ، واقترح أحد مساعدى عزام بك عليه أن يقيم الحفل فى أحد الفنادق الكبيرة بالقاهرة.

واعترض عبد الرحمن عزام على هذا الاقتراح ، وقال:

ـ عيب أن يقام حفل تكريم العاهل السعودى الكبير فى فندق ..

وكانت هناك اقتراحات أخرى ، وانتهز الأمين العام للجامعة العربية فرصة لقائه مع أحد المسئولين بالديونان الملكى ، وأستطلع رأيه حول الموضوع ..

قال.. أنه لايجد مكانا مناسبا لإقامة حفل تكريم العاهل السعودى باسم الأمانة العامة للجامعة العربية ..

وعرف أن الملك فاروق كان صاحب فكرة إقامة الحفل فى سراى المانسترلى..

وأقيم هذا الحفل فى يوم ١٦من يناير سنة ١٩٤٦ ، وكان حفلا كبيرا شهده عدد كبير من كبار رجال الدولة من المصريين والعرب.

وكنت ـ مع زملائى الصحفيين من المندوبين فى الأمانة العامة للجامعة العربية ـ من المدعوين إلى الحفل ، فقد أصر المرحوم عبدالرحمن عزام الأمين العام للجامعة على دعوتنا..

وكان المشكلة أن الحفل يشهده ملكان.. الملك فاروق والملك عبدالعزيز، ولم يكن غالبيتنا يعرف

sharif mahmoud

وكان عبد الرحمن عزام يعرف أن جلالة العاهل السعودى لايستطيع الصلاة وهو ساجد على الأرض بسبب أوجاع ركبتيه ، وهى أوجاع ترجع ـ كما قال جلالته مرة ـ الى إصابة ركبتيه ورجله اليسرى بعدة أعيرة نارية أثناء الحروب التى خاضها فى شبابه ، ولذلك أمر عزام بنقل أحد المقاعد الى شرفة القصر المطلة على النيل ، ثم قام بنفسه بوضع المقعد فى اتجاه القبلة ، وهو يقول للملك :

ـ يمكن أن تصلى الظهر هنا ياطويل العمر ..

وكانت مفاجأة عندما أخذ جلالته يؤذن للصلاة والتفت الأمير محمد بن عبد العزيز ناحية عزام، وهو يقول له :

ـ إنها أول مرة يؤذن فيها الملك لصلاة منذ أكثر من ٢٠ سنة، وأدرك عبد الرحمن عزام أن الملك عبد العزيز أراد أن يكرم الجامعه العربية عندما أذن للصلاة فى يوم الاحتفال الذى أقامته لتكريمه ..

أدي جلاله الملك عبد العزيز صلاة الظهر ، وبعدها جلس يستريح فى مكانه وهو يشخص بنظره إلى النيل .

وجاء فاروق ليحمل إليه أحد رجال حاشيته مقعدا آخرا ثم وضعه إلى جوار مقعد الملك عبدالعزيز ليجلس عليه..

وشاهد الملكان رقص الخيول العربية فى الساحة أمام القصر

وسأل فاروق الضيف الكبير :

ـ هل يعجبك منظر الطبيعة هنا ياصاحب الجلالة؟

وكان رد الملك عبدالعزيز علي فاروق:

ـ إن منظر النيل هنا يشرح الصدر ، ويطيل العمر ..

وانتهز فاروق الفرصة ليقول للملك:

ـ إذا كان هذا المكان قد أعجب جلالتكم فأنا أهب هذا القصر ليكون مقرا للجامعة العربية ..

ولم يتمالك عبد الرحمن عزام نفسه من الفرحة فأمسك بقلم بسرعة ثم قام بنفسه بكتابة الصيغة الرسمية لهبة الملك لقصر المانسترلى ليكون مقرا للأمانة العامة للجامعة العربية ..

وأمسك فاروق القلم وبعد ان قام بتوقيع هذه الوثيقة طلب إلى الملك عبد العزيز أن يوقع عليها

sharif mahmoud

معه ..

وقال عبد الرحمن عزام ، وهو فى أشد حالات الابتهاج:

- إنه يوم مبارك فى تاريخ جامعة الدول العربية أن يصبح للأمانة العامة للجامعة مقر دائم وأن يشرفنا فى هذا الحفل ملكان: الملك عبد العزيز والملك فاروق ..

وأذكر أن الملك فاروق أشار إلى أحد رجال حاشيته ثم طلب إليه إستدعاء مدير هندسة القصور الملكية وكان حاضرا الحفل..

كان اسمه سحاب ألماظ وقد طلب إليه الملك فاروق أمام الملك عبد العزيز ان يقوم بترميم قصر المانسترلي.

قال له : عاوزك تصلح القصر بحيث يصبح كما كان أيام إنشائه..

وكنت أعرف سحاب ألماظ ، وهو فنان مصرى قديم ، وكان يعمل مديرا للأكايمية المصرية فى روما عندما نشبت الحرب العالمية الثانية.. وقيل إن الرجل كان يعمل همزة وصل بين موسولينى والقصر الملكى فى القاهرة..

وكان من عادته أن ينقل أفكار الايطاليين إلى مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض فى روما فى تلك الأيام ..

وكان الوزير المفوض المصرى يقوم - بتعليمات من القصر الملكى - بإرسال مايتلقاه من سحاب ألماظ ببرقيات الشفرة إلى القصر الملكى فى القاهرة..

ولعل أخطر برقية بعث بها هذا الرجل الى القاهرة ، كانت واحدة يقترح فيها على فاروق ان تعلن مصر حياد قناة السويس فى أثناء الحرب العالمية الثانية ...

وعاد سحاب ألماظ الى القاهرة قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ليعينه فاروق مديرا لهندسة القصور الملكية وكلفه بترميم قصر الجوهرة ، وهو القصر الذى كان يعيش فيه محمد على الكبير فى قلعة القاهرة..

وثارت الحكومة البريطانية على فاروق لتعيينه الرجل فى هذا المنصب وطلبت إلى المرحوم مصطفى النحاس باشا - عندما كان رئيسا للحكومة المصرية - اعتقال الرجل ..

وكانت أزمة انتهت بأن وافق فاروق على تحديد اقامة الرجل فى مزرعة يمتلكها قريب له هو الأستاذ سامح موسى، وهو من السياسيين القدامى فى محافظة المنيا ..

sharif mahmoud

وبقى الرجل فى هذه المزرعة لمدة سنة كاملة ، ثم عاد إلى القاهرة ليعمل مرة أخرى مديرا لهندسة القصور الملكية ، وكان أول عمل يكلف به هو ترميم قصر المانسترلى ليصبح مقرا للأمانة العامة لجامعة الدول العربية ..

●●●

حمل عبد الرحمن عزام وثيقة هبة قصر المانسترلى إلى مكتبه بوزارة الخارجية ، وطلب الاحتفاظ بها فى سجلات الأمانة العامة للجامعة العربية .

وقد بقيت هذه الوثيقة ـ التى كتبها عزام بخط يده ، ووقع عليها ملكان: فاروق وعبد العزيز ـ في مكانها، وفى اعتقادى أنها ماتزال موجودة بين الأوراق القديمة للأمانة العامة للجامعة العربية..

وتقرر بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز إطلاق اسم جلالته على شارع كورنيش النيل الذى يقع قصر المانسترلى فى نهايته بجزيرة الروضة

أنه نفس الشارع الذى مايزال يحمل هذا الاسم حتى الآن..

وكان سحاب الماظ قد إصطحب عددا من المهندسين والعمال وتوجهوا الى قصر المانسترلى لترميمه تنفيذا لتعليمات الملك، إلا أن مفاجأة مثيرة منعتهم من العمل وهى أن القصر الذى تنازل عنه فاروق للجامعة العربية.. لم يكن من القصور الملكية ولم يكن ملكا له ولكنه كان ملكا لوقف عائلة مصرية قديمة ، وهى عائلة المانسترلى، التي لايزال القصر يحمل اسمها .

وكان هذا يعنى أن فاروق قد وهب أمام الملك عبد العزيز شيئا لايمتلكه .

وكاد الموقف أن يتحول إلى فضيحة بعد انتهاء زيارة العاهل السعودى وعودته إلى بلاده لولا تدارك عبد الرحمن عزام للموقف بسرعة...

وكانت وزارة الأوقاف المصرية عندما كان المرحوم عبد الحميد عبد الحق باشا وزيرا لها فى حكومة الوفد ، قد أخذت فى تقسيم أرض منطقة وقف أغاخان التى كانت تمتد إلى جوار النيل فى ناحية العجوزة بالجيزة لتحويلها إلى مناطق سكنية .

إنها نفس المنطقة التى اشتهرت بعد ذلك باسم مدينة الأوقاف بالجيزة ..

ولم ينتظر عبد الرحمن عزام وبادر ـ بالرغم مما كان معروفا عنه من اعتراضه على تحويل الأراضى الزراعية إلى مناطق سكنية بطلب اقتطاع قطعة أرض مساحتها خمسة أفدنة لإقامة
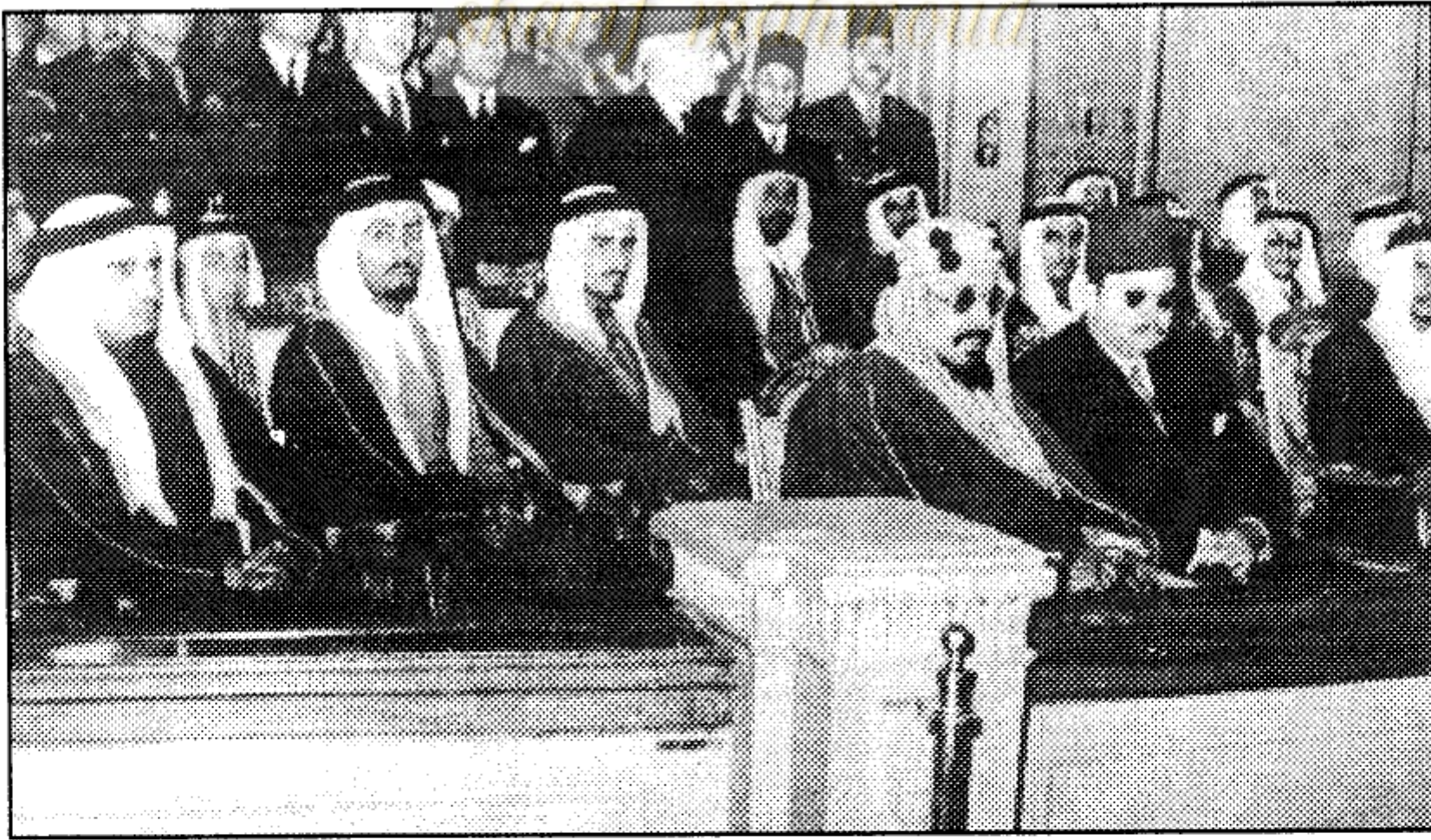
● الملك عبد العزيز آل سعود والأمراء السعوديين أثناء مشاهدة أحد برامج دار الأوبرا بدعوة من الملك فاروق..

● العاهل السعودى يشاهد أثناء زيارته للقاهرة أحد النماذج التى كانت قد أعدت لمبنى الأمانة العامة الجديد..

sharif mahmoud

مبنى للأمانة العامة للجامعة العربية عليها..

ووافق وزير الأوقاف على بيع المساحة المطلوبة للجامعة العربية بسعر رمزى..

وتم فعلا تحديد مساحة الأرض المطلوبة فى خرائط تقسيم المنطقة، وأكثر من ذلك تقرر إطلاق اسم جامعة الدول العربية على الشارع الكبير الذى كانت تطل عليه الأرض التى خصصت لبناء مبنى الأمانة العامة للجامعة ..

انه نفس الشارع الذى لايزال يحمل اسم جامعة الدول العربية حتى الآن فى هذه المنطقة..

وكلف عزام المهندس محمود رياض بك وكان يشغل منصب مدير بلدية القاهرة بإعداد تصميمات المبنى الجديد وطلب إليه أن تكون هذه التصميمات جاهزة لعرضها على مجلس الجامعة فى أول اجتماع له .

والمهندس محمود رياض بك هو نفسه الذى قام بإعداد تصميمات مبنى الأمانة العامة الحالى فى ميدان التحرير، وكان رحمه الله واحدا من اشهر المهندسين المعماريين الذين تخصصوا فى تصميم المبانى العملاقة فى مصر..

وأذكر أن عزام اقترح فى نفس الوقت فى مذكرة رسمية بعث بها إلى حكومات الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية المساهمة فى تكاليف إنشاء هذا المبنى..

ولم يكن المبلغ المطلوب يزيد على ٧٥٠ ألف جنيه ..!

●●●

عرف فاروق بما اتجهت إليه نية عبد الرحمن عزام ، فغضب بشدة وقام بالاتصال به فى التليفون ليقول له:

- أنا وهبت قصر المانسترلى ليكون مقرا للجامعة العربية وكانت الهبة بحضور الملك عبد العزيز ولذلك لايجب الرجوع فى قرار الهبة..

ولم يرد عزام على الملك قائلا.. إنك يامولاى وهبت شيئا لاتملكه واكتفى بأن قال له:

- إن جميع محاولات سحاب الماظ لترميم القصر باءت بالفشل لأن الجدران تتساقط بمجرد أن تجرى فيها عملية الترميم.

قال الملك : يعنى قصر المانسترلى .. مش نافع..

قال عزام : يمكن يامولاى تسأل سحاب ألماظ وهو يؤكد لجلالتكم أن القصر لايصلح لأن

sharif mahmoud

وكما قال لى مرة .. إنه يريد هذا المبنى على نمط مبنى الأمم المتحدة فى ليك سكسس أو مبناها الحالى فى جزيرة مانهاتن فى نيويورك..

وكان هو صاحب فكرة بناء مبناها الجديد فى ميدان التحرير .

وصحيح أن ميزانية الأمانة العامة فى أيامه كانت محدودة إلا أنه كان يعمل دائما على زيادة احتياطى الميزانية ، وكان تفكيره دائما فى أن يسمح له هذا الاحتياطى بتوفير ميزانية خاصة لتمويل بناء مبنى للجامعة ..

ولا أريد أن أقول إن المكان الذى أقيم فيه مبنى الجامعة العربية فى ميدان التحرير كان من اختياره ايضا..

وكان أمله ـ كما كان يقول دائما ـ ان يصبح هذا المبنى ناطحة سحاب تطل على النيل من ناحية، وعلى ميدان التحرير فى قلب القاهرة من ناحية أخرى..

كان يريدها ـ أى ناطحة السحاب ـ عنوانا ورمزا لوحدة البلاد العربية فى قلب القاهرة النابض.

واستغرق بناء مبنى الأمانة العامة الجديد فى ميدان التحرير ست سنوات ، ولم تنتقل اليه الأمانة العامة للجامعة العربية إلا في عام ١٩٦٠..

والذى لاتعرفه أجيال شبابنا أن هذا المبنى الحالي قد بنى فوق أرض تحمل ذكريات مجيدة فى تاريخ كفاح شعب مصر ، فقد كانت قوات الاحتلال البريطانى تشغل هذه الارض، وكانت معروفة باسم «قشلاق قصر النيل» وقد بنى مبنى الأمانة العامة على جانب من الارض التى كانت تشغلها قوات الاحتلال البريطانى أما بقية الارض فقد بنى عليها فندق النيل هيلتون .

وقبل الاحتلال البريطاني لمصر في عام ١٨٨٢ أى منذ أكثر من ١١٠ سنة.. كانت وزارة الحربية المصرية أيام الزعيم احمد عرابى تشغل هذه الأرض وفيها تم اعتقاله قبل محاكمته وصدور قرار المحكمة العسكرية بنفيه مع زملائه كبار الضباط إلى جزيرة سرنديب التى أصبح اسمها سيلان وتعرف الآن باسم جمهورية سيريلانكا..

●●●

والذى أعرفه بمناسبة ما أثير أخيرا حول انتهاء عقد ايجار هذه الارض التى أقيم عليها مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية فى ميدان التحرير أن الاتفاق لتأجير هذه الارض كان لمدة ٥٠ سنة

sharif mahmoud

وأنه تم فعلا أيام المرحوم عبد الخالق حسونة الأمين العام الثانى للجامعة العربية فى عام ١٩٥٤، وكان موضوع التصرف فى أرض قشلاق قصرالنيل قد أثير فى إحدى جلسات مجلس قيادة الثورة وتحمس الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ـ وكان قد سمع بوجهة نظر عبد الرحمن عزام حول إقامة مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية فوق أطلال قشلاق قصر النيل ـ لهذا الرأى ودافع عنه بشدة.

ووافق مجلس قيادة الثورة علي تخصيص جانب من أرض قشلاق قصر النيل الذى ظل يرمز الى الاحتلال البريطانى أكثر من ٧٠ سنة لبناء مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية ..

وتنقسم الأرض التي سلمت إلى الإمانة العامة بموجب محضر تسلم رسمي نهائى فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٤ إلي قطعتين .. القطعة الأولى وتبلغ مساحتها ٦٤٠٥ أمتار مربعة وهى الأرض التى بنى عليها مبني الأمانة العامة، وكانت بإيجار رمزى قيمته جنيه واحد للمتر المربع الواحد سنويا لمدة ٥٠ سنة وهذه القطعة مسجلة فعلا باعتبارها ملكا للحكومة المصرية تحت رقم ١٢١٦ جدول أملاك عابدين ..

أما القطعة الثانية فهى الأرض المحصورة بين مبنى الأمانة العامة وفندق النيل هيلتون ، وتعرف باسم حديقة الزهور ومساحتها ٤٧١٠ أمتار مربعة وهى من أملاك الحكومة المصرية أيضا ومسجلة برقم ١٢٢٣ جدول أملاك عابدين أيضا ..

وبمعني أخر تشغل الأمانة العامة مساحة ١١١١٥ مترا مربعا من أرض قشلاق قصر النيل القديمة وكانت إحدى لجان محافظة القاهرة قد قدرت سعر المتر المربع من هذه الارض بأسعار هذه الايام بخمسة الاف جنيه واقترحت بمناسبة انتهاء عقد ايجار الارض أن تقوم محافظة القاهرة بعرض بيع هذه الأرض على الجامعة العربية بصفة نهائية.

وفي رأيى أن تخصيص الأرض لبناء مبنى الأمانة العامةصح بقرار من مجلس قيادة الثورة في عام ١٩٥٤ كان قرارا سياسيا، وأن مايمكن أن يتقرر مستقبلا بالنسبة لهذه الارض يمكن أن يتم بقرار سياسى أيضا ..! ■

sharif mahmoud

عندما غنت أم كلثوم تحية للملوك والرؤساء العرب فى انشاص

● وجة الدعوة لمؤتمر القمه فى انشاص بدون إخطار سابق لحكومته

الفصل التاسع

9

■ النص الكامل لبيان الملوك والرؤساء العرب فى انشاص

■ لقب فاروق الرسمى ملك مصر وصاحب بلاد النوبه والسودان ودارفور وكردفان

■ اقتراح بان يتقدم الامين العام رؤساء الحكومات العربيه فى البروتوكول

sharif mahmoud

انتصرت الإرادة العربية فى أول امتحان واجهته الجامعة العربية بعد عدة أسابيع من إعلان مولدها ..

وكان أن تراجعت فرنسا عن موقفها عندما ضربت فى شهر مايو سنة ١٩٤٥ دمشق بقنابل المدفعية وبصواريخ الطائرات ..

وكانت فلسطين هى المشكلة الرئيسية التى كانت تواجه الجامعة العربية منذ إنشائها ..

وفى يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ فجر الرئيس الأمريكى ترومان قنبلة سياسية اهتزت لها الأوساط العربية بعنف عندما أوصى بهجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين .

واعترضت الحكومة البريطانية رسميا على تصريحات الرئيس الامريكى ، وكانت اتصالات انتهت بالاتفاق على تشكيل لجنة لتقصى الحقائق.

وانتهت هذه اللجنة إلى التوصية بالسماح بهجرة ١٥٠٠ يهودى شهريا إلى فلسطين ..

وكانت هذه التوصية أفضل بالنسبة للعرب ..

وأنقل عن المذكرات السياسية لحسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة أن الملك فاروق راودته فكرة عقد اجتماع قمة للملوك والرؤساء العرب قبل زيارة الملك عبد العزيز آل سعود الرسمية لمصر ، عندما أبحر فى أوائل شهر أكتوبر سنة ١٩٤٥ على إليخت الملكى «فخر البحار» تحت حراسة الطوافة المصرية «فوزية » فى البحر الاحمر..

وفى عرض البحر قام بتوجيه الدعوة لزعماء الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية لعقد اجتماع لهم على ظهر يخته الملكى ، ولكن الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق اعترض ، وطلب تأجيل الاجتماع إلى موعد آخر ، واضطر الملك فاروق لأن يكتفى بزيارة جدة ، ثم قام بزيارة جزيرة كمران وعدة جزر صغيرة فى البحر الأحمر ، وعاد بعدها إلى العريش فى يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥.

وقام الملك فاروق بمحاولة ثانية لدعوة الزعماء العرب بعد زيارة الملك عبد العزيز آل سعود

sharif mahmoud

الرسمية لمصر.

وكانت جامعة الدول العربية قد أتمت عامها الأول. وقد استطاعت منذ إعلان قيامهاوخلال هذا العام أن تتولى سلطات واسعة المدى فى معالجة القضايا العربية خاصة والعلاقات العربية الدولية عامة ، كما نجحت فى السهر على دعم التضامن العربى بالرغم مما كان بين بعض زعماء الدول العربية الأعضاء فى جامعة الدول العربية من تناقضات ، كما استطاعت تنمية علاقات الدول العربية بالدول الاجنبية.

ويمعنى آخر.. أصبح للجامعة العربة كيان دولى معترف به .

وكان الخطر الصهيونى فى فلسطين يتفاقم بسرعة كما كانت أعمال العدوان الصهيونية ضد العرب ومن يقف فى طريق أطماعهم كالأنجليز تزداد وحشية وضراوة.

وكانت الدعوة لانقاذ فلسطين تنطلق مدوية من كل العواصم العربية

●●●

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول: اغتيل أمين عثمان يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٦، أى قبل وصول جلالة الملك عبد العزيز إلى القاهرة فى زيارته الرسمية بأقل من أسبوع.

وقبض على حسين توفيق ، وعلى مجموعة زملائه الذين شاركوا معه فى تنفيذ عملية الاغتيال.

وكان من بين المتهمين الرئيس الراحل أنور السادات الذى تردد اسمه بأنه المخطط الرئيسى لعملية اغتيال الوزير المصرى الذى كان صديقا للإنجليز واشترك اللورد كيلرن السفير البريطانى فى القاهرة فى تشييع جنازته .

وعرف أن السفير البريطانى طلب إلى أحمد حسين باشا رئيس الديوان الملكى موعدا لمقابلة الملك ..

قال: إن الأمن فى مصر قد اختل فى عهد حكومة النقراشى ، وأنه يخشى على حاله الاستقرار فى البلاد إذا لم يتم تغيير الوزاره

واقترح رئيس الديوان الملكى تأجيل إثارة هذا الموضوع مع الملك حتى تنتهى زيارة المرحوم الملك عبد العزيز لمصر ، وهو يقول للسفير البريطانى :

- إن هذه الزيارة قد تحدد موعدها ، ولا أظن أن إثارة الموضوع يمكن أن تفيد..

sharif mahmoud

ووصل المرحوم الملك عبد العزيز إلى القاهرة ليسمع أحاديث كثيرة عن حادث اغتيال أمين عثمان..

ولم يكن العاهل السعودى قد سمع كثيرا عن الرجل . وكان كل مايعرفه عنه أنه كان وزيرا فى حكومة الوفد ، وأنه كانت تربطه صلات قوية بالانجليز.

وكثرت أسئلة المرحوم الملك عبد العزيز حول الحادث الذى كان حديث مصر كلها .

وعلى أثر انتهاء زيارة العاهل السعودى إلى مصر وعودته إلى بلاده تحدد يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٤٦ موعدا للسفير البريطانى لمقابلة الملك فاروق..

وتمت المقابلة ليقول السفير للملك صراحة إنه يقترح تغيير الحكومة..

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها أن الملك دبر للسفير البريطانى مقلبا كان السبب فى نقله نهائيا من مصر عندما طلب إليه أن يبعث إليه برأيه كتابة.

ولم ينتظر السفير البريطانى ، وبادر فى اليوم التالى بإرسال خطاب سرى وشخصى إلى رئيس الديوان الملكى ، أى لأحمد حسنين باشا يقول له فيه : إن التعاون مع حكومة النقراشى باشا أصبح مستحيلا ، ويطلب تغيير الوزارة.

وعرف الملك بهذا الخطاب فأمر بإرسال صورة منه إلى عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن فى تلك الأيام للتدليل على تدخل السفير البريطانى فى شئون مصر الداخلية ، وعدم مراعاته للأصول الدبلوماسية .

وكان هذا الخطاب السرى والشخصى أحد أسباب تعجيل الحكومة البريطانية باستدعاء اللورد كليرن إلى لندن ، ثم تعيينه مندوبا ساميا للحكومة البريطانية فى جنوب شرق آسيا ومغادرته القاهرة بصفة نهائية يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٤٦ .. أى بعد أقل من شهر واحد من زيارة العاهل السعودى الرسمية للقاهرة.

ونقل عن الملك فاروق الذى كان يكره اللورد كيلرن لدوره فى حادث ٤ فبراير عندما أصر على تشكيل وزارة وفدية برئاسة النحاس باشا قوله : إن إبعاد الرجل عن مصر ، بركة زيارة الملك عبد العزيز لمصر !

والثابت أن الملك فاروق أبقى على محمود فهمى النقراشى باشا رئيسا للحكومة إلى مابعد الاحتفالات بعيد ميلاده الملكى فى يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ حيث أغدق الملك على الوزراء وكبار

sharif mahmoud
رجال الدولة من الموظفين بالرتب والنياشين تكريما لرئيس الوزراء..

وفى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ .. أى بعد أربعة أيام.. طلب رئيس الديوان إلى النقراشى تقديم استقالته بحجة أن الانجليز يصرون عل تغيير الحكومة..

واستقال النقراشى بعد أن أمضى فى الحكم سنة كاملة.

●●●

وتتكلم الوقائع التاريخية أيضا لتقول :

- عرض الملك على خاله شريف صبرى باشا تشكيل وزارة قومية ، ولكن خاله اعتذر لأسباب خاصة، واضطر الملك للإتجاه إلى إسماعيل صدقى باشا..

وفى يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٤٦ أعلن عن تشكيل حكومة إسماعيل صدقى باشا من المستقلين والأحرار الدستوريين ، بينما إعتذر السعديون..

وفى يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٤٦ .. أى بعد تشكيل الوزارة الجديدة بثلاثة أيام صدمت سيارة لورى عسكرية انجليزية أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى والرجل الذى أطلق عليه المرحوم عبد الرحمن عزام اسم مهندس الوحدة العربية..

ونقل الرجل إلى أقرب مستشفى وكانت مستشفى الأنجلو امريكان بالجزيرة لإسعافه ولكن المحاولات لإنقاذ حياته باءت بالفشل ومات الرجل..

وعندما علم الملك بالحادث هرع إلى المستشفى ولحق به رئيس الوزراء وكبار المسئولين فى الدولة.

وكانت أول مهمة لحكومة إسماعيل صدقى باشا هى الاشتراك فى تشييع جنازة أحمد حسنين باشا..

وحاول بعضهم منع نشر أى خبر عن السيارة الانجليزية التى صدمت رئيس الديوان الملكى ، ولكن الخبر كان قد تسرب وقامت وكالات الأنباء العالمية بإذاعته فى أنحاء العالم..

وترددت فى تلك الأيام إشاعات كثيرة تقول إن حادث مصرع رئيس الديوان الملكى كان مدبرا وأن جريمة قتل سياسية كانت وراء الحادث..!

وأعود بذاكرتى إلى أيام زيارة الملك عبد العزيز للقاهرة..

كان جلالته قد استقبل أحمد حسنين باشا ودار بينهما حديث طويل حول رحلة رئيس

الديوان الملكى فى شبابه عبر صحراء مصر الغربية إلى واحتى الكفرة والعوينات فى أقصى جنوب الحدود الليبية مع الحدود المصرية الغربية وعرض الملك عبد العزيز على أحمد حسنين باشا أن يقوم برحلة شبيهة إلى منطقة الربع الخالى فى جنوب شرق الجزيرة العربية .

قال جلالته أن مكتشفين أجانب قاموا بمحاولات لاكتشاف تلك المنطقة التى تنعدم فيها الحياة ولكن أحدا من المكتشفين العرب لم يحاول القيام بمثل هذه المحاولة .

وأبتسم أحمد حسنين باشا وهو يقول للعاهل السعودى الكبير :

ـ فارق السن أيام زمان والآن ياطويل العمر..

وكان المرحوم عبد الرحمن عزام حاضرا المقابلة وسمعته بعد مصرع أحمد حسنين باشا يقول أن العاهل السعودى كان قد وجه إليه عندما استقبله دعوة للحج إلى بيت الله الحرام فى موسم الحج التالى..

ومات أحمد حسنين باشا دون أن يلبى دعوة العاهل السعودى للحج!!

●●●

وفى يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر القمة العربى الاول واشترك فيه كل من الملك عبد الله عن شرق الأردن والأمير سعود بن عبد العزيز ولى عهد المملكة العربية السعودية والأمير عبد الإله الوصى عن عرش العراق ، والأمير سيف الإسلام عبد الله ابن الإمام يحيى بن حميد الدين ملك إليمن وشكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا والشيخ بشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان..

وكانت فكرة عقد هذا الاجتماع للقمة العربية قد راودت المرحوم عبد الرحمن عزام بعد العدوان الفرنسى على دمشق وعندما عرضها على الملك فاروق تحمس لها ووافق على تنفيذها ..

ولقى الاقتراح المصرى بعقد هذه القمة العربية موافقة جميع الملوك والرؤساء العرب إلا أن الشيخ بشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان طلب التمهل فى عقد الاجتماع نظرا لبعض الظروف التى كانت تجتازها بلاده..

وتكررت الدعوة بعد ذلك فى شهر مايو سنة ١٩٤٦ ، وكانت اتصالات ومشاورات انتهت بتحديد موعد الاجتماع فى زهراء إنشاص..

وتوافد الملوك والرؤساء العرب على مكان الاجتماع حيث خصص لكل واحد منهم جناح

sharif mahmoud

خاص داخل القصر الملكى هناك..

وتولت قوات الحرس الملكى حراسة المنطقة ، وتوفير أمن الملوك والرؤساء العرب..

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الآر سنة ١٣٦٥ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٩٤٦ افتتح الملك فاروق الاجتماع بقوله:

- إن اجتماعنا هو قبل كل شىء للتعارف ولكى نظهر للعالم جليا أنه ليس بيننا او بين دولنا أى انقسام ، لا فى الأشخاص ولا فى الآراء . وعلينا بعد ذلك ان نبحث الشئون التى تهم بلداننا ونتشاور فيها فيعرف كل واحد منا رأى أخيه فيشير على حكومته بما هو أفضل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا إلى مافيه خير العرب ومجدهم .. أمين..

وكانت مداولات استمرت لمدة يومين ، وقام المرحوم عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية ـ الذى كان مدعواً للإشتراك فى الاجتماع بتسجيل المحضر الرسمى للمناقشات فى صورة البيان الذى صدر بعد انتهاء الاجتماع ..

وكان المرحوم عزام قد أعد مشروع بيان كتبه بخط يده للموافقة عليه إلا أن الملوك والرؤساء العرب أدخلوا بعض التعديلات عليه من بينها على سبيل المثال لقب ملك مصر..

وأذكر نقلا عن أحد مصادرى الصحفية التى شهدت الاجتماع أن الملك فاروق همس فى أذن الرئيس شكرى القوتلى طالبا إليه أن يقترح أن يتضمن البيان اللقب الرسمى للملك فاروق وهو ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور..

وتحمس الرئيس شكرى القوتلى للدفاع عن لقب الملك فاروق وأعد البيان الختامى لمؤتمر القمة العربى ، وكان يقول بالحرف الواحد:

●●●

تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية فى المؤتمر الخاص بإنشاص يومى ٢٨و ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور وقد حضره حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وحضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن وحضرة صاحب السمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية وحضرة صاحب المسمو الملكى الأمير سعود ولى عهد

sharif mahmoud

المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحيى ملك إليمن وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم وأن عليها بذل كل ماتستطيع فى سبيل تأمين السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك التفاوض الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها ..

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها ، فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هى قضية العرب جميعا وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها وأنه ليس فى إمكان هذه الدول ان توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ويعتبرون ذلك نقضا صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى ولهم عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بن الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين حرصا منهم على دوام هذه الصداقة وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى إضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام.

أما فيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين..

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى عادل، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحهم أن تهيىء الاسباب لهذا الاستقلال وأن تتعهد فى بادىء الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئولياتها داخليا وخارجيا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية ..

ثم أقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها وجلاء القوات البريطانية عنها

sharif mahmoud

أمر لابد منه ، وأن قضية مصر قضية هامة لهم ، وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويساندونها بكل ما في استطاعتهم ، وقد سرهم ماسارعت إليه الحكومة البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر اتلى رئيس وزارئها فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن عزم الحكومة البريطانية على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم والذى يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا فى علاقاتها مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين ، وهم يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام فى هذه الناحية من العالم..

ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى ، وقد عرض عليهم كثير من شكواها فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم فى عضوية جامعة الدول العربية ..

وأخيرا يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليبعثوا كإخوة متضامنين متحدين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد.

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكى التوجه بوافر الشكر إلى أخيهم صاحب الجلالة ملك مصر على أن هيأ لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون للعرب من ورائه خيرا لبلادهم وإعزازا لجامعتهم

زهراء إنشاص ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٥، الموافق ٢٩ مايو ١٩٤٦..

●●●

وكان واضحا مع صدور هذا البيان أن الملوك والرؤساء العرب اتفقوا على قرارات سرية كلف الأمين العام للجامعة العربية بإبلاغها إلى الحكومات العربية للعمل على تنفيذها .

وعرفت هذه القرارات السرية وكانت بالحرف الواحد:

١ ـ إعلان نشأة القومية العربية وقيامها رباطا للعرب يعلو الرباط الإقليمى ..

٢ ـ النظر فى عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة ..

٣ ـ تحذير الدولتين البريطانية والأمريكية من مغبة تأييد الصهيونية والتلويح بالمقاطعة

sharif mahmoud

الاقتصادية للدول التى تساند الصهيونية ..

٤ ـ تأكيد التصميم على الدفاع العسكرى إذا فشلت الجهود السلمية..

٥ ـ تدريب الفلسطينيين على المقاومة ومدهم بالمال والسلاح..

٦ـ مقاطعة البضائع الصهيونية فى فلسطين..

وحدثت مفارقات كثيرة أثناء لقاء القمة العربى الأول فى زهراء إنشاص... إن أحدا من رؤساء حكومات الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية أو وزراء خارجيتها لم يحضر الاجتماع الذى كان مقصورا على ملوك ورؤساء الدول العربية وحدهم وكان الملك فاروق قد أعد برامج ترفيهية للملوك والرؤساء العرب خلال فترة انعقاد المؤتمر..

وكما سمعنا قام الملوك والرؤساء العرب بزيارة متحف إنشاص وأقيم لهم عرض رائع لرقص الخيول العربية ..

وأراد فاروق أن يفاجىء ضيوفه بأغنية جديدة لأم كلثوم عن العرب والعروبة وكان أن كلف القائمقام (أى العقيد) محمد حلمى حسين مدير الركائب الملكية بأن يفتش له عن شاعر يؤلف أغنية فى هذه المناسبة حتى تغنيها أم كلثوم ، قال له إنه يريد ان يتم تأليف الأغنية وتلحينها وقيام أم كلثوم بغنائها فى الإذاعة فى أقل من ٤٨ ساعة ..

وذهب محمد حلمى حسين إلى صديق له هو الشاعر محمد الأسمر ، وكان يجلس فى مقهى بارض اللواء بالقاهرة وقال له:

ـ أريدك ان تؤلف اغنية عن العروبة بأمر الملك ..

وظل محمد حلمى حسين جالسا إلى جوار محمد الأسمر حتى إنتهى من تأليف كلمات الأغنية ..

وقيل إن الشاعر محمد الأسمر تقاضى ثمنا لتأليف كلمات الأغنية بأمر الملك مكافأة كانت عبارة عن عشاء يتكون من ٢ كليو من الكباب الفاخر .. وزجاجة..!

وحمل محمد حلمى حسين كلمات الأغنية إلى زكريا أحمد وطلب إليه ان يقوم بتلحينها بسرعة بأمر الملك أيضا..!

وأعجبت كلمات الأغنية أم كلثوم فقامت بغنائها فى الإذاعة .. واستمع الملوك والرؤساء العرب لأغنية أم كلثوم وهم يتناولون طعام العشاء فى أول يوم للقائهم فى زهراء إنشاص..

sharif mahmoud

وكان الملك فاروق جالسا مع ضيوفه على مائدة العشاء عندما أشار إلى أحد رجال حاشيته لفتح جهاز الراديو وكان فى أحد أركان القاعة.

وكانت مفاجأة عندما استمع الملوك والرؤساء العرب لأم كلثوم وهى تغنى :

بنى العروبة .. هذا القصر كعبتكم، وليس فيه من الحجاج مغترب . هذه يد بنى مصر تصافحكم .. فصافحوها تصافح نفسها العرب.

وصفق الملوك والرؤساء العرب لأم كلثوم..

●●●

وأسجل بعض المفارقات الأخرى التى حدثت أثناء اجتماع أول اجتماع قمة للرؤساء والملوك العرب..

لقد طلب الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق فجأة العودة إلى بغداد..

قال إنه تلقى مكالمة تليفونية تطلب إليه العودة فورا لمواجهة بعض الاضطرابات ..

وكان الوصى على عرش العراق بسبب سفره المفاجىء هو الوحيد الذى لم يوقع على البيان الذى صدر عن إجتماع الملوك والرؤساء العرب..

وكان معروفا عن الملك عبد الله أنه لاعب ماهر للعبة الشطرنج وكان يفخر دائما بأنه لم يهزم مرة واحدة فى حياته فى هذه اللعبة، وجاءه الملك فاروق بضابط من السلاح البحرى وهو البكباشى (أى المقدم) يوسف رشاد وكان قد إشتهر ببراعته فى لعبة الشطرنج ليلاعبه، وفى أحد أركان حديقة القصر فى إنشاص جرت مباراة بين الملك عبد الله وهذا الضابط البحرى..

وخرج الملك عبد الله لأول مرة فى حياته من الجولة الأولى ، ثم الثانية ثم الثالثة مغلوبا..

وشوهد الرئيس شكرى القوتلى ،وهو يتابع المباراة بين الملك والضابط البحرى المصرى ، وكان يبتسم مع كل مرة يهزم فيها الملك ..

واستدعى أحد خطاطى الديوان الملكى بسرعة وكلف بكتابة البيان الذى صدر عن الاجتماع بماء الذهب حتى يقوم الملوك والرؤساء العرب بالتوقيع عليه قبل إذاعته ..

وكان عزام هو صاحب فكرة كتابة البيان بماء الذهب باعتباره وثيقة تاريخية ، وقد ظل عزام يتردد على الخطاط ويتابعه حتى انتهى من كتابة البيان فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل..

وكان الملك عبد الله قد توجه إلى حجرة نومه بعد الهزيمة التى لحقته فى جولات الشطرنج

sharif mahmoud

مدعيا أنه أصيب بالإجهاد والتعب..

وتصور بعضهم أنه يريد التهرب من التوقيع على البيان، إلا أن الرؤساء والملوك العرب أخذوا ينصرفون بعده إلى مخادعهم .

ولم يبق فى الذهبية الملكية حيث كان الملوك والرؤساء العرب يتناولون طعام العشاء سوى الملك فاروق والشيخ بشارة الخورى والمرحوم عبد الرحمن عزام

وحمل عزام البيان بعد أن انتهى خطاط الديوان الملكى من كتابته إلى الملك فاروق الذى قدمه بدوره إلى الشيخ بشارة الخورى وطلب إليه أن يكون أول من يوقع على البيان ولم يوافق الشيخ بشارة وطلب إلى ملك مصر أن يقوم هو بالتوقيع على البيان قبله وبعد إلحاح شديد أمسك الملك فاروق قلما وقام بالتوقيع على البيان باسمه كملك مصر ثم باسم الملك عبد العزيز آل سعود.

وكان الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية قد أبلغ الملك فاروق رغبة والده العاهل السعودى فى أن يقوم الملك فاروق بالتوقيع على البيان نيابة عن المملكة العربية السعودية تأكيدا للتضامن بين مصر وبلاده..

وبمعنى آخر.. كان الأمير سعود مستمعا ولم يكن مخولا بالتوقيع على البيان..!

وقام الشيخ بشارة الخورى بالتوقيع على البيان بعد الملك فاروق ثم حمل الاثنان البيان وتوجها معا من الذهبية إلى قصر إنشاص حيث قام الملك فاروق بإيقاظ الذين كانوا فى حجرات نومهم من الملوك والرؤساء العرب..

وكان الملك عبد الله أول من أيقظه الملك فاروق من النوم وهو يقول له:

- تسمح ياصاحب الجلالة توقع معنا على هذه الوثيقة التاريخية ..

وأمسك الملك عبد الله بالقلم ثم قام بالتوقيع على البيان وكان النوم مايزال يداعب عينيه..!

●●●

واذيع البيان الرسمى عن المؤتمر ولفت انتباهنا كصحفيين ماجاء فيه من تسمية الملوك والرؤساء العرب باسم رؤساء دول الجامعة العربية ..

وهمس المرحوم عبد الرحمن عزام فى أذنى بعد انتهاء المؤتمر بكلمات لم تكن للنشر فى تلك الأيام قائلا:

- الشيء المؤكد أنه كانت هناك رغبة اجماعية على دعم جامعة الدول العربية .. وكان الاتجاه

sharif mahmoud

على أن يتقدم الأمين العام على رؤساء الحكوات العربية ووزراء الخارجية العرب فى البرتوكول

وأدركت ما كان يعنيه .. فقد كان تكليف الأمين العام للجامعة بأن يحمل القرارات السرية إلى رؤساء الحكومات العربية على أن يظل المرجع الأساسى لفهم هذه القرارات وتنفيذها يكشف عن هذا الاتجاه بوضوح!

وكان فى رأيى .. وفى رأى غالبية زملائى من المندوبين الصحفيين الدائمين فى الأمانة العامة أن ماجاء فى بيان الملوك والرؤساء العرب يعنى انطلاقة فى مسيرة الجامعة العربية ..

وكان تصورنا أن كثرة إحالة القضايا المصيرية إلى الأمانة العامة للجامعة العربية يهدف أساسا إلى دعم الدور القومى للجامعة العربية ..

كما أن تفويض الملوك والرؤساء العرب لمجلس الجامعة فى تنفيذ القرارات مباشرة دون الإحالة إلى الحكومات بعد أن تتم مناقشتها فى مجلس الجامعة ، يعنى أيضا دعما مباشرا للجامعة العربية وأمينها العام.

وصحيح أن هذا الاتجاه لم يكن يعجب الكتلة الهاشمية داخل الجامعة العربية وكانت ممثلة فى شرق الأردن والعراق ، إلا أن هذه الكتلة لم يكن أمامها إلا أن تساير الاجماع وأن توافق على مضض على ماتقرره بقية الدول الأعضاء .

●●●

وكان الملك فاروق قدد أمر باتخاذ إجراءات أمن مشددة لتأمين سلامة الملوك والرؤساء العرب أثناء اجتماعهم فى زهراء إنشاص..

وقام رجال الحرس الملكى بإعداد خريطة للمنطقة تبين خطوط ومراكز قوات الحراسة وكلف لنشان بحريان مسلحان بالسير فى ترعة الإسماعيلية ذهابا وإيابا لتعزيز الحراسة فى المنطقة.

واشتركت الفصيلة السودانية بالحرس الملكى فى حراسة قصر زهراء إنشاص أثناء اجتماعات الملوك والرؤساء العرب وأعجب الضيوف بحسن هندام جنود هذه الفصيلة وبنظامهم..

وقال الرئيس شكرى القوتلى :

-إنها تحية جميلة للسودان فى بيت الملك ..

وكان الملك فاروق قد اقترح على ضيوفه أن يكون كل واحد منهم على حريته وألايتقيدوا بالرسميات ، بإرتداء الملابس العادية تعزيزا للصورة التى أرادها للاجتماع وهى أن يكون

sharif mahmoud
اجتماعا خاصا وعائليا..

وأذكر أن الرؤساء والملوك عقدوا جلستين وقد حضرهما من الجانب المصرى حسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة وعبد العزيز بدر بك مدير الإدارة العربية بالديوان الملكى ، وأحمد يوسف بك السكرتير الخاص المساعد للملك فاروق..

وعرف أن الملك فاروق اجتمع مع الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق لمدة ساعة كاملة قبل مغادرته زهراء إنشاص عائدا إلى بغداد ..

وقال الأمير عبد الإله للملك أن توفيق السويدى رئيس الحكومة العراقية اتصل به فى التليفون واقترح عليه المبادرة بالعودة فورا إلى بغداد لمواجهة بعض الاضطرابات التى وقعت فى العراق.

وقيل إن الملك فاروق عرض على الوصى على عرش العراق ملخصا للمسائل التى اتفق على مناقشتها فى اجتماعات الرؤساء والملوك العرب وإنه قد وافق عليها وإن لم تسنح له الفرصة للتوقيع على البيان الذى صدر عن الاجتماع

وتردد أن الضيوف أعجبوا بشراب قدم إليهم ، ولما سألوا الملك فاروق عنه ، قال لهم

ـ ديه الكوكاكولا المصرية .!

وأمر فاروق بإهداء كل ضيف صندوق من ثمار الفاكهة التى يصنع منها هذا الشراب.!

●●●

وأثار اهتمامى ماسمعته فى تلك الأيام من أن إسماعيل صدقى باشا إنتحى جانبا بعد العشاء الذى إقامه الملك فاروق لضيوفه وكان رئيس الوزراء المصرى مدعوا للمشاركة فيه مع الملك عبد الله لمدة ساعتين فى إحدى حجرات قصر زهراء إنشاص..

وأذكر أننا حاولنا أن نعرف شيئا عما تم فى هذا اللقاء ولكن محاولاتنا باءت بالفشل..

وعندما سئل إسماعيل صدقى باشا عما دار فى لقائه الخاص مع الملك عبد الله قال :

ـــ لاتعليق..

وكان هذا يكفى لعدم تكرار السؤال..

وبقى هذا الاجتماع سرا غامضا حتى كشفت عنه بعض الوثائق السرية البريطانية التى اذيعت بمناسبة مرور ٣٠ سنة عليها ..

كانت المباحثات بين إسماعيل صدقى باشا والانجليز حول قضية الجلاء عن مصر قد تعثرت

sharif mahmoud

بسبب إصرار البريطانيين على حصول بريطانيا على قواعد عسكرية او انضمام مصر إلى أحد أحلاف الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط.

وخشى المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية أن تقوم مصر باستخدام اجتماعات الجامعة العربية فى الحصول على دعم وتأييد بقية الدول العربية لها فى موقفها.

إن واحدة من هذه الوثائق عبارة عن برقية بعث بها المستر بيفن إلى السير رونالد كامبل السفير البريطانى الجديد الذى عين فى القاهرة بعد استبعاد اللورد كيلرن منها .. إنها بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ أى نفس يوم انعقاد مؤتمر القمة العربى الأول فى زهراء إنشاص وفيها يطلب مستر بيفن من سفيره بالقاهرة التدخل لدى الزعماء والقادة العرب حتى لايؤيدوا مصر فى نزاعها مع بريطانيا بشأن المفاوضات المتعثرة وعدم رغبة مصر فى عقد اتفاقية للدفاع المشترك ويقول بيفن فى هذه البرقية بالحرف الواحد :

●●●

إننى مهتم للغاية بألا تشجع الاجتماعات المقبلة للحكام العرب والجامعة العربية ـ سواء بالاتجاه أم بأى شكل من أشكال القرار ـ الموقف المصرى الراهن المتعلق بعدم الرغبة فى التنازل بشأن التسهيلات الحربية فى أى معاهدة جديدة وهى التسهيلات التى نطلبها لتساعدنا على القيام بالتزاماتنا للمساعدة المتبادلة ولضمان الدفاع ضد ما قد يقع من اعتداء على منطقة الشرق الأوسط ـ فى المستقبل.

ومن ثم فإننى أمل أن يبذل كلايتون كل مافى وسعه خاصة فى الدوائر السعودية والعراقية لتأكيد أهمية وفاء الحكومة المصرية بمتطلباتنا..

وأن يقوم بنفس الشيء ممثلو جلالة الملك فى بغداد وجدة وقد أرسلت لهما صورتين من هذه البرقية.

وأن رفض الحكومة المصرية أن تتضمن اى معاهدة جديدة مع مصر تزويدنا بالوسائل التى تكفل تنفيذ أى ضمانات للمساعدة المتبادلة سيتركنا عاجزين عن الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط الحيوية فى حالة الطوارىء ومن ثم تعريض مستقبل كل الدول العربية للخطر .

وعلى ذلك فإننا نطلب ضمانا فعالا فى السلم بأن مصر ستقوم بتطوير وصيانة التسهيلات والمرافق..

sharif mahmoud

وتتكلم الوثائق البريطانية ايضا لتقول إن السير رونالد كامبل رد على المستر بيفن ببرقية فى إليوم التالى قال له فيها بالحرف الواحد

- قابل البريجادير بيركلبتون مستشار الشئون العربية نورى السعيد باشا وتحدث معه عن محتويات برقيتكم ، وأدرك نورى السعيد المساله على الفور، ولكنه بدأ مرتبكا قليلا بشأن موقف المصريين لانه تحدث باستخفاف عن ان الانسحاب إلى منطقة القناة بعيدا عن الانظار يكفى للتغلب على المصاعب التى يسببها وجود قواتنا فى البلاد. وتحدث باقتناع كبير عن ضرورة ان تكون فى وضع يمكننا من مساعدة البلدان العربية وتركيا..

وقال إنه يدرك ضرورة صيانة المرافق فى مصر وأنه بالتالى سيتحدث مع الوصى على العرش العراقى فى هذا الشأن..

وقال نورى انه لايظن أن مسألة مصر ستطرح بصروة جدية فى اجتماع الحكام العرب، وأن الوصى على العرش يتفق تماما معه فى أسلوب تفكيره ..

●●●

وكشفت برقية عاجلة بعث بها الجنرال السير جانجهام الحاكم البريطانى فى فلسطين إلى وزارة المستعمرات البريطانية وهى مؤرخة بتاريخ أول يونيو سنة ١٩٤٦ ، أى بعد انتهاء موتمر القمة العربية فى زهراء إنشاص وعودة الملك عبد الله إلى عمان بيوم واحد ، سر الاجتماع المغلق بينه وبين اسماعيل صدقى باشا.

وهى تقول بالحرف الواحد:

عاجل .. بعث الملك عبد الله بالجنرال جلوب إلينا إليوم، لينقل إلينا مايلى على وجه السرعة..

قال جلالته إنه خلال الاجتماعات التى تمت مؤخرا للملوك العرب اقترب منه صدقى باشا ورجاه التدخل لدى بريطانيا لما يكنه عبد الله من صداقة متفانية لبريطانيا ، حتى تنهى الجمود فى مباحثات المعاهدة.

وقال صدقى إنه يستحيل تماما إقناع الشعب المصرى بإدراك الحقائق الواقعية واتخاذ موقف أكثر موضوعية فى مثل هذا الوقت القصير..

وقال صدقى إن الحكومة المصرية مستعدة للسماح لبريطانيا بالإشراف على الجيش المصرى بالدفاع عن منطقة قناة السويس وانه يرغب فى ان يثق بالبريطانيون بالمصريين..

sharif mahmoud

وقال صدقى إنه لايستطيع اقناع المصريين بتقديم المزيد من التنازلات وقد دخل الملك فاروق الحجرة فى تلك اللحظة قائلا ان كل مانريده هو ألا يفرض البريطانيون جماعتهم الفاسدة علينا ، ثم انخرط الملك فى البكاء ..

وأجاب عبد الله بأنه ليس للشرق الاوسط صديق يعتمد عليه سوى بريطانيا ، وأنه لايستطيع أن يفهم السر فى أن المصريين بلغوا هذا القدر من العنف والعناد فى مواجهتهم..

ووافق صدقى ، ولكنه قال إن مصر أثارها سياسيون لايترددون وإنه لايملك القوة لإقناعهم بقبول الشروط التى يعرضها البريطانيون وإنه يجب على البريطانيين الثقة فى نواياه الطيبة.

وأشار الملك عبد الله إلى أنه من المحتمل ألا يظل صدقى باشا رئيسا للوزارة وأن نواياه الطيبة - فى مثل هه الحالة - ستكون عديمة الجدوى ..!

وسأل الملك عبد الله : كيف يمن لمصر الدفاع عن نفسها ضد روسيا، وأضاف أنه يتعين عليهم ألا يقرروا سياستهم فى المزيدات لأننا لسنا فى عصر صلاح الدين والصلبيين وإنما فى عصر القنابل الذرية والدبابات ..

وكانت هذه هى رسالة الملك عبد الله التى نقلها جلوب باشا إلى المندوب السامى البريطانى فى فلسطين..

وقد أضاف إليها جلوب باشا ان الملك عبد الله يطلب إلى المندوب السامى الإبراق إلى حكومته يعرض عليها استعداده للعمل كوسيط بينها وبين المصريين وقال إن فى ذهنه إذا قبلت حكومة جلالة الملك ذلك أن يدعو صدقى باشا ويحتمل النحاس باشا أيضا والعمل مع الدول العربية الأخرى لإيجاد حل للخلافات بين الحكومة البريطانية والمصريين.

وقال إن الملك عبد الله يتعهد بمساندة العراق له مساندة كاملة وإنه فى وسعه ان يكتب إلى الملك عبدالعزيز آل سعود راجيا معاونته وهو يأمل فى الحصول على دعمه وتأييده..■

sharif mahmoud

مؤامرة للانسحاب من الجامعة العربية ....ولكن !!

● قالت الوثائق البريطانيه ان الملك عبد الله قال لكليمنت اتلى رئيس الحكومه البريطانيه فى لقاء بينهما فى لندن انه قرر الانسحاب من الجامعه العربيه بمجرد عودته الى عمان وانه على يقين من انسحاب الوفد ايضا !!

الفصل العاشر

10

- نص القرارات السريه لمجلس الجامعه ببلودان فى سوريا
- برقيه من الملك عبد العزيز تثير ازمه بين وفدى العراق والسعوديه !
- عندما هاجم رئيس وفد العراق الجيش المصرى بلا سبب

sharif mahmoud

● رياض الصلح يستمع الى رفيق ابوالهدى رئيس وزراء الاردن

اتهام الاردن للجامعه بانها تخدم المصالح المصريه

● اتهمت الاردن الجامعه العربيه بانها تخدم المصالح المصريه ، كما اتهمت الشيخ يوسف ياسين بالتآمر مع المصريين لتكوين كتله مناهضه للهاشميين . وقال الملك عبد الله ان الجامعه ليست مواليه لبريطانيا ولذلك قرر الانسحاب منها وانشاء جامعه هاشميه !

● الملك عبد الله اراد الانسحاب من الجامعه لانها مواليه للانجليز

sharif mahmoud

كــان في تصـور الملك فـاروق عندمـا كلف إسمـاعيل صـدقى باشـا بتشكيل الحكومة المصرية إثر استقالة حكومة محمود فهمى النقراشى باشا أنه يستطيع أن يحكم الشعب المصرى بالحديد والنار كما فعل فى أوائل الثلاثينيات ، ولكن صدقى فى الخمسين من عمره كان غير صدقى بعد الخامسة والستين ..

أراد الرجل أن يختم حياته بحكم صالح ، ولم يعجب ذلك الملك فاروق وكان قد اتجه إلى حكم البلاد بطريقة مباشرة ، وبمعنى آخر حكما مطلقاً..

وابتدع الملك منصب المستشار الصحفى بالديوان الملكى ، وأمر بتعيين كريم ثابت الصحفى بجريدة المقطم التى كانت تصدر مسائية فى القاهرة فى هذا المنصب..

ويقول حسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة فى مذكراته السياسية .. إنه اعترض على هذ التعيين لعدم وجود درجة مالية خالية فى ميزانية الديوان الملكى لوظيفة ملحق صحفى واقترح تأجيل الأمر الملكى الى ميزانية العام التالى .. ولم يعجب ذلك الملك ، وغضب بشدة وقال:

- أليس لى الحق فى تعيين مستشارين لتكليفهم بمهام خاصة كما يفعل الرئيس الأمريكى.

وأصر الملك على تعيين كريم ثابت مستشارا صحفيا بدون مرتب حتى يتم إيجاد درجة لوظيفته فى ميزانية الديوان الملكى ..

وعلم صدقى باشا بالإرادة الملكية ، فلم يشأ أن يثير أزمة، واكتفى بأن سأل فى سخرية عن العلاقة المالية بين المستشار الصحفى بالديوان وبين جريدة المقطم التى كانت تحصل على إعانات شهرية من وزارة الداخلية وبمعنى آخر ، كان لها نصيب من المصاريف السرية !

وتم تعيين كريم ثابت فى هذا المنصب قبل انعقاد مؤتمر القمة العربى الذى دعا اليه الملك فاروق فى زهراء أنشاص..

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية الخاصة بفلسطين أذاعت فى يوم ٢٠ من ابريل سنة ١٩٤٦ - أى بعد تولى اسماعيل صدقى باشا رئاسة الحكومة المصرية بعدة

sharif mahmoud

أسابيع تقريرها ـ وقد جاء هذا التقرير صدمة عنيفة ومخيبا لآمال العرب فى إقامة دولة فلسطين حيث طالبت اللجنة بتهجير مائة ألف يهودى جديد. الى فلسطين التى اقترحت تقسيمها الى ـ أربع مناطق واحدة عربية والثانية يهودية والثالثة تضم منطقة النقب والرابعة منطقة القدس!

وطالبت بأن يكون لكل منطقة هيئة تشريعية وأخرى تنفيذية وأن تكون هناك حكومة مركزية تتولى شئون الدفاع والعلاقات الخارجية وشئون الجمارك والضرائب والشرطة والقضاء ..

وأثار هذا التقرير هياجا وثورة اجتاحت المنطقة العربية كلها ، وأعلن العرب فى فلسطين الإضراب لمعارضتهم المشروع وخرجت المظاهرات فى مصر والعراق وسوريا ولبنان وشرق الاردن تؤيد عرب فلسطين فى موقفهم.

وفى القاهرة أعلن الملك فاروق استعداد مصر للتضحية والفداء من أجل فلسطين..

وفى عمان عاهد الملك عبد الله ربه على الجهاد المقدس دفاعا عن عروبة فلسطين ..

وفى الرياض قال الملك عبد العزيز آل سعود إنه كان يستبعد مثل هذه الخيانة والغدر من بريطانيا وأمريكا اللتين لم تترددا فى التضحية بحقوق العرب وصداقاتهم ..

وفى القاهرة قال عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية بالحرف الواحد:

– إننا اليوم قد نرسل الاحتجاج ضد تقرير اللجنة وغدا قد نرسل الرصاص ضد منفذى توصيات اللجنة..

وخرجت أصوات إحتجاج أخرى من العالم الإسلامى، وكان أبرزها تصريح من محمد على جناح منشىء باكستان قال فيه :

- ان تقرير اللجنة يعتبر أما ليس له نظير فى شناعته ولذلك لن يسمح المسلمون بتنفيذه.!

وكان قد تقرر عقد اجتماع طارىء لمجلس الجامعة العربية فى القاهرة لمواجهة التطورات الجديدة فى الموقف إلا أن الحكومة السورية اقترحت عقد هذا الاجتماع فى فندق بلودان الكبير فى سوريا بمناسبة الاحتفال بالعيد الأول لجلاء الفرنسيين عن سوريا ..

ووافقت الحكومات العربية على الاقتراح السورى ..

وفى يوم السبت ٨ من يونيو سنة ١٩٤٦ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعه الطارىء فى فندق بلودان الكبير بسوريا .. أى بعد عشرة أيام من إذاعة بيان الملوك والرؤساء العرب بعد اجتماعاتهم فى زهراء أنشاص .

sharif mahmoud

واستهل عبد الرحمن عزام هذا الاجتماع بكلمة قال فيها :

- الواقع أن اجتماعنا فى هذه الدورة الطارئة وغير العادية كان مخصصا لفلسطين، ولكن بعد أن اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية وأصدروا بيانهم أصبح هذا البيان يستحق أن يكون موضع نظر المجلس باعتباره بيانا صدر عن رؤساء الدول التى يمثلها المجلس، وقد أشار البيان الى بعض الاتجاهات الخاصة بفلسطين، كما أشار إلى اتجاهات خاصة بغيرها من الدول العربية وهناك كذلك بعض اتجاهات لم ترد فى البيان ، وقد كلفت بأن أعرضها على المجلس ، وحيث أن رؤساء الدول لم يكن معهم رؤساء حكوماتهم ولا وزراء خارجيتهم لأن الاجتماع كان خاصا فتناول هذا البيان والنظر لما فيه وإقرار الاتجاهات التى أشار اليها يعطيه الشرعية الدستورية والحكومية والشعبية فيكون الجميع من رؤساء الدول بصفتهم الخاصة التى اجتمعوا بها والحكومات بصفتها ممثلة فى المجلس قد أقروا هذا المبادىء والاتجاهات وقد كلفنى رؤساء الدول العربية بأن أعرض الأمر على المجلس لذلك أضفت بيان رؤساء الدورل العربية إلى جدول الأعمال.

وكانت مناقشة سريعة انتهت بالموافقة على جدول الأعمال .. وبمعنى آخر الموافقة على إضافة بيان رؤساء الدول العربية الى هذا الجدول.

وتكلم عبد الرحمن عزام ليقول إن رؤساء الدول العربية اتخذوا عدة قرارات هى فى الواقع عبارة عن توجيهات وقد كلفت بصفتى أمينا عاما لمجلس الجامعة بعرضها عليكم وأقترح عدم إثبات هذه التوجيهات فى مضابط الجلسات حتى نضفى عليها جانبا من السرية ..

وواف مجلس الجامعة على ذلك ، وبعدها قرأ عبد الرحمن عزام نص هذه التوجيهات وكانت تقول بالحرف الواحد:

●●●

نحن ملوك وأمراء ورؤساء دول الجامعة العربية أخذنا العزم على التشاور والتعاون والعمل قلبا واحدا ويدا واحدة من أجل مافيه خير بلادنا وبلاد العرب جميعا ولاسيما المحافظة على حقوق الشعوب العربية كافة والدفاع عن حريتها واستقلالها بكل الوسائل الممكنة وذلك عملا بمنطوق ميثاق الأمم المتحدة ورغبة فى أن يسود السلم المؤسس على العدل بين الشعوب كافة ، استعرضنا الموقف الراهن للبلاد العربية عامة على ضوء التطورات العالمية الأخيرة وموقف

sharif mahmoud

فلسطين خاصة على ضوء التقرير الذى قدمته لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية ، قررنا مايأتى:

١ ـ لقد أجمعنا على ضرورة العمل بكل الوسائل الممكنة لمساعدة الشعوب العربية التى لاتزال تحت الحكم الأجنبى لكى تنال حريتها واستقلالها ولتبلغ أمانيها القومية بحيث تصبح أعضاء فعالة فى أسرة الجامعة العربية وفى منظمة الأمم المتحدة ..

٢ ـ لقد أجمعنا على أن فلسطين قطر عربى لا يمكن أن ينفصل عن الأقطار العربية الأخرى إذ هو القلب فى المجموعة العربية وأن مصيره مرتبط بمصير دول الجامعة العربية كافة وأن مايصيب عرب فلسين يصيب شعوب الجامعة العربية ذاتها ولذلك تعتبر قضية فلسطين جزءا لايتجزأ من قضايا القومية الأساسية .

٣ ـ لقد أجمعنا على أن الصهيونية خطر داهم ليس على فلسطين وحدها بل على البلاد العربية والشعوب الإسلامية جميعا ولذلك فقد أصبح الوقوف أمام هذا الخطر الجارف واجبا يترتب على الدول العربية والشعوب الإسلامية جميعها .

٤ـ لقد أجمعنا على أن أقل مانرتضيه فى سبيل حماية عروبة فلسطين هو:

أ ـ إيقاف الهجرة الصهيونية إيقافا تاما..

ب ـ منع تسرب الأراضى العربية إلى الأيادى الصهيونية بصورة تامة.

جـ ـ العمل على تحقيق استقلال فلسطين وتشكيل حكومة تضمن فيها حقوق جميع سكانها الشرعيين بدون تفريق بين عنصر ومذهب..

٥ ـ لقد أجمعنا على حرصنا الشديد على استمرار الصداقة والعلاقات الطيبة بيننا وبين حكومتى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية على أن تعتبر أى سياسة تأخذ بها هاتان الحكومتان أو أية حكومة أخرى تناقض ماجاء فى الفقرة (٤) سياسة عدوانية موجهة ضد فلسطين العربية، وبالتالى ضد دول الجامعة العربية كافة ولذلك فأى أخذ بتوصيات لجنة التحقيق بما فيه من إجحاف بحقوق عرب فلسطين تعتبره دول الجامعة العربية عملا عدائيا موجها ضدها..

٦ ـ لقد أجمعنا فى حالة الأخذ بسياسة عدوانية فى فلسطين لاتتفق وماجاء فى الفقرة الرابعة على أن نتخذ كل الوسائل الممكنة للدفاع عن كيان فلسطين الذى هو جزء لايتجزأ من كيان البلاد العربية الأخرى .

sharif mahmoud

٧ ـ لقد أجمعنا على ضرورة مساعدة عرب فلسطين بالمال لأغراض الدعاية وحفظ الأراضى بيد العرب وغير ذلك من الأغراض التى تعمل على تقوية الكيان العربى فى فلسطين على ألا يقل ماتتبرع به كل دولة سنويا عن المبلغ الذى أقرت دول الامم المتحدة دفعه لمؤسسة الإغاثة الدولية «الأونرا» أى بنسبة ١٪ من الدخل القومى .!

٨ ـ لقد أجمعنا فيما اذا استمر الغزو الصهيونى لفلسطين واضطر عرب فلسطين إلى الدفاع من أنفسهم أن ندعم عرب فلسطين ونساعدهم بكل الوسائل الممكنة.

٩ ـ لقد أجمعنا على ضرورة أن تتيقظ شعوبنا تيقظاً كاملاً إزاء الخطر الصهيونى الذى يهددها وإزاء أى خطر خارجى آخر وأن نعمل على إنهاض شعوبنا وترقية مستواها الثقافى والاقتصادى بحيث تصبح قادرة على مجابهة أى عدوان خارجى داهم ..

١٠ ـ لقد أجمعنا على أن طرابلس الغرب قطر عربى جدير بأن يتمتع بالحكم الذاتى ، وأن يتعين نوع الحكم فيه بناء على استفتاء عام يجرى فى تلك البلاد .

كانت هذه التوصيات أشبه بالوصايا العشر التى بعث بها رؤساء الدول العربية إلى مجلس الجامعة العربية .

وقرر المجلس على ضوء هذه التوجيهات تشكيل لجنتين، واحدة للشئون الداخلية لبحث المساعدات التى تقدمها الدول العبرية للعرب فى فلسطين. والثانية للشئون الخارجية، ومهمتها وضع الرد على المذكرتين البريطانية والأمريكية اللتين أرسلتا إلى حكومات الدول العربية بشأن قضية فلسطين.

وبمعنى آخر : الرد على تقرير لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية .. واقترح بعض المندوبين العرب فى مجلس الجامعة كتابة مذكرة الى الحكومة الأمريكية تقول إنه ليس من اختصاصها التدخل فى شئون فلسطين، ولكن عبد الرحمن عزام اعترض على هذا الاقتراح بشدة وقال إن الولايات المتحدة سبق لها ان تداولت مع الجامعة العربية ومع غالبية الدول العربية بشأن الموقف فى فلسطين ولذلك لايجوز إهمالها.

ووافق أعضاء مجلس الجامعة ـ وكان الاجتماع برئاسة فارس الخورى ـ على هذا الرأى وكلفوا عبد الرحمن عزام بكتابة المذكرة التى اتفق على إرسالها إلى الحكومة الأمريكية تتضمن رأى الحكومات العربية حول تطورات الموقف فى قضية فلسطين .

sharif mahmoud

وكانت هناك عدة توصيات سرية وقد اتفق على كتابة هذه التوصيات على الآلة الكاتبة، على ان يحتفظ كل رئيس وفد بنسخة منها، وكانت هذه التوصيات التى إشتهرت بإسم قرارات الجهاد المقدس كالآتى:ـ

١ ـ إن الحالة فى فلسطين تتطور إلى صدام عنيف بسبب التنظيم العسكرى الصهيونى والجمعيات الإرهابية وتعود الصهيونية على استخدام القوة لإملاء ارادتها وقد ينشأ عن ذلك أن يتخذ عرب فلسطين لأنفسهم الحيطة بترتيبات مماثلة، مما قد يؤدى الى وقوع الاحتكاك بين القوتين ويتحرج عندئذ موقف الحكومات العربية لأقصى حد، فهى لاتستطيع منع الشعوب العربية من التطوع بجميع الوسائل لنصرة عرب فلسطين بالمال والسلاح والمجاهدين ..

٢ ـ فى حالة فشل المساعى السلمية وإخفاق المفاوضات مع بريطانيا والجهود العربية فى الأمم المتحدة وقبول توصيات لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية والشروع فى تنفيذها أو تطبيق أى حل من شأنه أن يمس حق فلسطين فى أن تكون دولة عربية مستقلة فإن العلاقات بين الحكومتين البريطانية والأمريكية مع البلاد العربية تصبح فى حالة تسوء فيها هذه العلاقات لدرجة كبيرة بحيث يصبح على البلاد العربية أن تدافع عن نفسها باتخاذ بعض التدابير الضروريةومنها مايلى:

أولا : أن تعيد دول الجامعة العربية فى صورة جماعية النظر فى علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الحكومتين الإنجليزية والأمريكية والعمل على عدم السماح للدولتين أو إحداهما أو رعاياها باى امتياز جديد اقتصادى.

ثانيا : عدم تأييد مصالح الدولتين الخاصة فى أية هيئة دولية ..

ثالثا: المقاطعة الأدبية.

رابعا: النظر فى إلغاء مايكون للدولتين من امتيازات مع البلاد العربية.

خامسا: الشكوى الى مجلس الأمن والأمم المتحدة.

سادسا: أن تبادر دول الجامعة إلى أداء المساعدات المادية والمعنوية للعرب فى فلسطين لتقويتهم وتعضيدهم فى الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم وأن ترصد دول الجامعة فورا الأموال اللازمة لذلك على ان تتولى إنفاق هذه الأموال لجنة خاصة..

سابعا: أن تبادر دول الجامعة الى اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين وان تيسر

sharif mahmoud

الدول المتاخمة لفلسطين للدول غير المتاخمة سبيل الاشتراك والتعاون فى هذا الواجب بالاتفاق بينها ..

كانت قرارات خطيرة .. وكانت تعنى نقل القضية الفلسطينية من دائرة الصراع الثلاثى بين العرب والبريطانيين واليهود لتصبح قضية دولية تشارك الأمم المتحدة فى إيجاد حل لها..

ويعنى أيضا ضرب المصالح البريطانية والأمريكية فى البلاد العربية لأول مرة ..

وفى نهاية اجتماعات مجلس الجامعة العربية فى بلودان عقد عبد الرحمن عزام مؤتمرا صحفيا وكان طبيعيا أن تبقى قرارات المجلس سرية فلم يعلن عزام فى المؤتمر الصحفى إلا عن نص الردين اللذين تقرر إرسالها الى لندن وواشنطن بشأن توصيات لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية ، ويقول نص هذين الردين بالحرف الواحد:

- إن الحكومات العربية تعتبر الحكومة البريطانية بوصفها واقعيا الدوْلة المنتدبة على فلسطين ، هى المسئولة فعلا عما يقع من إهدار لحقوق عرب فلسطين السياسية والمدنية وأنه ليس ثمة مسوغ قانونى يبيح لحكومة الولايات المتحدة الامريكية أن تتدخل للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين مالم تطرح قضية فلسطين على هيئة الأمم المتحدة التى هى عضو فيها، والحكومات العربية تعتبر الأخذ بتوصيات هذه اللجنة تحديا صريحا لحقوق العرب السياسية والمدنية فى بلادهم..

إن الحكومة البريطانية المسئولة عن تصريح بلفور، وعن تفسير معنى الوطن القومى قد فسرت فى مناسبات مختلفة آخرها الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ معنى الوطن القومى وتحديد مداه ، وهى بذاتها قد توصلت إلى أن الوطن القومى اليهودى قد أنجز إنشاؤه فعلا على الرغم من سبق احتجاج العرب عليه ومقاومتهم وأن الحكومات العربية تعتبر كل تراجع من بريطانيا عن عهودها فى الكتاب الابيض أو غيره مما ارتبط شرفها به تحديا جديدا لحقوق العرب الطبيعية المشروعة فى بلادهم ..

ان الحكومات العربية تعتبر الأخذ بتوصيات لجنة التقحقيق عملا غير ودى موجها إليها يقصد به القضاء على كيان الشعب العربى الفلسطينى ويعرض البلاد لمشاكل لاحد لنتائجها.

إن ماينشب من قلاقل فى فلسطين وفى الشرق العربى ومـاينجم عن ذلك من إخلال بالسلم والأمن تقع مسئوليته على من يؤيد تقرير اللجنة ويعمل على تنفيذه.

وكانت هناك قرارات علنية أخرى ظلت هى الأخرى فى طى الكتمان، فلم يعلنها عزام فى

sharif mahmoud

مؤتمره الصحفى، وتتخلص فى إنشاء صندوق لمساعدة عرب فلسطين تساهم فيه الدول العربية وان يكون تحت تصرف لجنة فلسطين التى تمد به الهيئة الفلسطينية العربية العليا بما تحتاج اليه حاجتها شهريا، على ان يدخل فى نطاق أعمالها الدعاية والمقاطعة ومساعدة وتنشيط عرب فلسطين وإنشاء مكاتب للمقاطعة الدائمة بالقاهرة وبسائر لجان المقاطعة، وتخصيص ٥٠٪ من قيمة البضائع المصادرة للمرشدين والموظفين وذلك تشجيعاً للإرشاد السرى لعمليات تهريب البضائع والمنتجات الصهيونية وكذلك منع تصدير المواد الاولية او المساعدة للإنتاج الصهيونى، والا تكون المقاطعة سلبية فحسب بل يجب ان يقوم العرب بإنشاء صناعات ذات اسس اقتصادية سليمة لتحل محل الصناعات الصهيونية وبذلك يستطيع عرب فلسطين ان يعتمدوا على إنتاج العرب دون أن ينالهم أى ضرر من اجراء مقاطعتهم للبضائع الصهيونية .

●●●

كانت اجتماعات دورة مجلس الجامعة العربية فى فندق بلودان الكبير فى سوريا ساخنة للغاية..

وعرف أن الملك عبد العزيز ارسل برقية الى مجلس الجامعة تقول بالحرف الواحد:

- يجب علينا أن نفكر فى الأمر بدقة ، وألا نقدم على عمل لانعرف عواقبه، وان الحكومة السعودية لن تتقاعس فى العمل الذى يقرره مجلس الجامعة ولكن يهمها ان يكون قرار المجلس مبنيا على الحكمة والواقع، بحيث نعرف ماالذى يمكننا ان نعمله ومالانستطيع ان نعمله، ولايجوز إعطاء اهل فلسطين وعودا خلابة يقعون بعدها فى المهالك ثم نتخلى عنهم، والأفضل هو جمع اهل فلسطين على رأى واحد وكلمة واحدة وارسال وفد من الجامعة ومعه فلسطينيون الى لندن وواشنطن للمفاوضة مع الدولتين للوصول الى أقصى مايمكن الوصول اليه واستنفاد جميع الوسائل السلمية.

ووصف بعضهم البرقية بانها أشبه بالنذير

واحتدت المناقشة بين حمدى الباجهجى رئيس وفد العراق والشيخ يوسف ياسين رئيس الوفد السعودى فى اجتماعات مجلس الجامعة ..

أراد حمدى الباجهجى ان يعلق على برقية الملك عبد العزيز فقال:

- أرى أن يقرر المجلس التدابير العملية التى يجب أن يتخذها اذا مافشلت المفاوضات مع

sharif mahmoud

بريطانيا وليست الحرب هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى الحق فقد وصل غاندى الى تحقيق اهدافه باتباع سياسته الحكيمة.

ثم استطرد يقول : لقد سمعت من ممثل المملكة العربية السعودية مالم أكن أحب أن أسمعه.. أن العرب أيها السادة ليسوا ضعافا بل هم أقوياء فى بلادهم والذى يجعلهم يخلدون الى السكينة إنما هو الشلل الذى يعتور البلاد العربية .

وكشفت المناقشة عن وجود تيار عربى يواجه كل خطوة بحساب وتقنيه وأن هناك جبهة من دولتين اثنتين تربطهما فكر واحد ورأى واحد.

وكان هذا يعنى احدى صور مظاهر الانقسام داخل مجلس الجامعة .

وعرفنا كصحفيين فى تك الايام ان تعليق حمدى الباجهجى أثار تساؤل ودهشة بعض رؤساء الوفود وان بعضهم لم يفهم ماكان رئيس وفد العراق يهدف اليه.

وكما قال لى أحد رؤساء الوفود العربية انه لم يفهم عما اذا كان حمدى الباجهجى يعنى ان يتبع العرب سياسة المقاومة السلبية كما كان غاندى يفعل.. واذا صح هذا فما العجب فى دعوة السعودية الى العمل بلا صخب او ضجيج.

وقال آخر مؤيداً وجهة النظر السعودية: إن الذين يتكلمون كثيرا يستنفدون طاقتهم فى القول ولايستبقون للعمل شيئاً على حين يدفعون العدو الى المزيد من الاستعداد والعمل، ومن العجب ان اجدادنا قالوا الحرب أولها كلام .. ولكننا جعلنا الحرب كلها كلام فى كلام..

وتكلم الشيخ يوسف ياسين فى مجلس الجامعة ليرد على رئيس وفد العراق قائلا:

- أريد ان أصحح ماتبادر إلى ذهن رئيس وفد العراق، لقد قلت إننا يجب ان نفكر جيدا فيما نستطيع أن نعمله وفيما لانستطيع ان نعمله حتى يكون قرارنا نافذا، وحتى لانعمل فى الخيال، وكما قلت فإن ماسيقرره المجلس وماتجمع الدول العربية على عمله لن تتقاعس المملكة العربية السعودية فى القيام به ..

وتكلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا وحافظ رمضان باشا من وفد مصر ليدعما وجهة نظر السعودية مؤكدين أنهما اول الداعين ايضا الى العمل الحاسم ولكن بحكمة وإعداد .

وحاول حمدى الباجهجى التعريض بمصر، وقال إنها حريصة على نجاح مفاوضاتها مع الإنجليز.

sharif mahmoud

وباقى البلاد العربية، وكانت حجتهم فى ذلك العمل الآثم ان استقلال مصر واحتكاكها بالبلاد العربية يخلق وعيا فى هذه البلاد من شأنه ان يعرض طريق الهند الى مشاكل وأخطار وبقيت لمدة طويلة أسطورة سلامة خطوط المواصلات مع الهند سببا لامتداد نطاق السيطرة الاستعمارية على الساحل العربى فى منطقة الخليج، وكان من دواعى ذلك إخفاق المفاوضات لتحقيق استقلال مصر وبعض البلاد العربية كالعراق، ومن ثم أراد الاستعمار تقوية السبب المذكور عندما تداعت أركانه بالتطورات العالمية فأضاف اليه خطر النازية والفاشستية وصار يخلق منها أداة لتخويف العرب، والآن ابتدع نظرية الخطر الشيوعى لتحقيق نفس الأهداف..

●●●

عرضت بريطانيا قضية فلسطين على الأمم المتحدة، وشكلت لجنة دولية لدراسة القضية وتقديم التوصيات اللازمة بشأنها واقترح أغلبية أعضاء اللجنة تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين عربية ويهودية وإبقاء القدس وضواحيها تحت الإدارة الدولية وقد وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قرار التقسيم فى التاسع والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ فرفضه العرب وقبله اليهود وبدأت القوات البريطانية فى فلسطين استعداداتها للانسحاب من البلاد، ثم نشب القتال بين العرب واليهود فى فلسطين، وكان الصهيونيون يستعدون لتحقيق هدفهم الاساسى وهو منع انشاء الدولة العربية التى نص عليها قرار التقسيم فأغاروا على المناطق التى أعطيت للعرب بموجب هذا القرار، واستطاعوا احتلال يافا وعكا والجليل الغربى والمناطق المحيطة بالقدس ولم تتمكن القوات الفلسطينية والمتطوعون العرب من ردهم، فقررت الدول العربية التدخل عسكريا لإنقاذ البلاد من الاحتلال الصهيونى، فدخلت مصر وسوريا والأردن والعراق الى فلسطين فى الخامس عشر من أيار «مايو» سنة ١٩٤٨ بعد الانسحاب البريطانى ودار قتال شديد على جميع الجبهات واستطاعت الجيوش العربية التقدم فى مناطق متعددة فأصدر مجلس الأمن قرار بوقف القتال فوراً، ووافقت الدول العربية على قرار وقف القتال فى السابع من شهر حزيران «يونيو» سنة ١٩٤٨، وبذلك ارتكبت خطأ فادحاً أدى فى آخر الأمر إلى ضياع فلسطين وترسيخ الكيان الصهيونى فيها..

وكشف الدكتور عدنان الباجهجى فى كتابه المثير عن حقيقة تاريخية وهى أن الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق كان يكره نورى السعيد ، ويدرك أن الانجليز يعتمدون عليه فى تنفيذ

sharif mahmoud

سياستهم فى منطقة الشرق الاوسط وكانوا يعتبرونه رجلهم المفضل.

وكان الأمير عبد الإله مغلوباً على أمره ، وكان يخشى أن يكون مصيره كمصير ابن عمه الملك غازى الذى غدر به نورى السعيد دبر مؤامرة اغتياله بمساعدة الإنجليز.

وتتكلم الوثائق البريطانية التى أذيعت فى لندن فى مناسبة مرور ٣٠ سنة عليها عن حقيقة هامة، وهى أن الأردن كان يعمل فى الخفاء على إقناع العراق بالانسحاب من جامعة الدول العربية وإنشاء منظمة إقليمية أخرى تسعى لتحقيق مشروع سوريا الكبرى ، وان بريطانيا هى التى عارضت فى انسحاب الاردن والعراق فى الجامعة العربية ..

وواحدة من هذه الوثائق تقرير لمثل الحكومة البريطانية فى عمان الى وزارة الخارجية البريطانية ..

والتقرير مؤرخ بتاريخ ١٤ / مارس سنة ١٩٤٦ وجاء به بالحرف الواحد :

ـ أخطر الأمير عبد الله أمير شرق الأردن رئيس الوزراء كليمنت إتلى عندما زاره أمس الأول بأنه حين يعود الى شرق الأردن فإنه يرى الانسحاب بالاتفاق مع العراق من الجامعة العربية وبرر ذلك بأن الجامعة فى رأيه ليست مؤيدة لبريطانيا بالقدر الكافى ..

وقال إنه سيبدأ فى إنشاء منظمة جديدة هاشمية مائة فى المائة ستكون فى رأيه موالية لبريطانيا اكثر من الجامعة العربية.

وفى رأيى أنه اذا صح هذا التقرير ان الامير عبد الله كان يقوم بمحاولة واضحة لاحياء مشروع سوريا الكبرى تحت اسم آخر..

ومن عمان يكتب السفير البريطانى يوم ٩ من أبريل سنة ١٩٤٩ الى باكستر بالإدارة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية يقول:

عزيزى باكستر : بخصوص خطابك المؤرخ ٢١ مارس الى ترافورد سميث فى وزارة المستعمرات ..

إن الاعتراضات الرئيسية للهاشميين على الجامعة العربية كانت من ثلاث نقاط :

١ـ أن الجامعة استخدمت من أجل مصالح مصرية أبعد من المصالح العربية وعلى سبيل المثال التصريحات التى تقول إن الدول العربية جميعها تتعاطف مع التطلعات المصرية، وأن الدول العربية جميعها ترغب فى أن ترى نهاية القوات المسلحة الأجنبية .

sharif mahmoud

٢ ـ ان الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة السورى كان يتآمر مع مصر وسوريا لتكوين كتلة مناهضة للهاشميين.

وربما جرت المبالغة فى إمكانيات تشكيل مثل هذه الكتلة فى تصور الهاشميين، الا اننا نعلم من مصادر عديدة ان يوسف ياسين لايفشل أبدا فى إساءة فهم مايقوله ويفعله نورى باشا السعيد .. أما إذا مثل توفيق السويدى -كما هو الحال الآن- وليس نورى العراق فى اجتماعات الجامعة العربية فمن المحتمل ان تقل حدة الاختلاف ..

وعلى أية حال فقد أخبرت مؤخرا بأن الحب بين توفيق السويدى وعب الرحمن عزام أقل الآن مما كان معهودا بينهما منذ أن عرض عزام بشكل أبوى على توفيق السويدى وظيفة الأمين العام المساعد للجامعة، وقد احتقر توفيق السويدى العرض بوصفه رئيس وزراء سابق ، ورجل دولة قديم وكما قال إنه ارفع منزلة من منصب الأمين المساعد بكثير..

٣ـ إن عبد الرحمن عزام يتصرف كا لو كان رئيسا لدولة كبرى بدلا من القيام بدوره الملائم الذى يعتبره العراقيون سكرتير هيئة استشارية.

وقد وجد هذا النقد مايبرره دائما لكننى اعتقد ان عزام من الممكن ان يستجيب للنصح فى هذا الشأن من توفيق السويدى أكثر مما يستجيب للنصح من نورى السعيد ..

٤ـ لكننى على العموم .. أعتقد أن الحماس الآن حول انسحاب العراق وشرق الأردن من الجامعة العربية أقل كثيرا مما كان وقت اجتماع عبد الاله وعبد الله فى عمان فى شهر فبراير الماضى..

وفى رأيى انه طالما ظل توفيق السويدى رئيسا للوزراء فى العراق فلن تنسحب العراق من الجامعة ..وإننى لأحس بدرجة معقولة من التأكد بأن معظم الكراهية للجامعة من جانب عمان وبغداد مصدرها الاستياء الهاشمى تجاه القيادة المصرية.

٥ـ ولايمكننى حتى الآن أن أومن جديا بأى شكل من أشكال الاتحاد الوثيق بالفعل بين العراق وبين الاردن ..واعتقد ان الفكرة هى الخطوة الاولى فى مخطط نورى من اجل اتحاد اعظم بين سوريا والعراق لكننى لااستطيع ان ارى كيف سيجرى هذا

●●●

sharif mahmoud

والشيء المؤكد ان الحكومة المصرية فى تلك الايام كانت تعرف الكثير عما يجرى فى تفكير الملك عبد الله حول الانسحاب من الجامعة العربية.

وتذكر الوثائق البريطانية أن السير رونالد كامبل السفير البريطانى الجديد فى القاهرة كتب الى وزارة الخارجية حول موضوع تفكير الأردن والعراق فى الانسحاب من الجامعة العربية يقول: تحدثت مع الملك فاروق حول الموضوع وقد قال لى إنه شخصيا يظن أن هناك خطرا كبيرا من انسحاب شرق الاردن والعراق من الجامعة العربية لكنه يرقب هذا كله بعين واعية ..

وقال إنه على اتصال شخصى وثيق بالملك عبد العزيز آل سعود فيما يتعلق بموضوع الجامعة العربية وهو يتوقع أن يتحرك الملك آل سعود بأتخاذ خطوات جذرية فى هذا الشأن ..

وأبلغت جلالته بأن هناك اقتراحا بأن يلمح الى الملك آل سعود الذى يمكنه بدوره أن يومىء بشكل ما الى الأمير عبد الله ولم يستبعد فاروق ذلك ولن لم يقل إنه سيفعله .

وهكذا عملت الحكومة البريطانة على منع انسحاب العراق والأردن من الجامعة العربية .

●●●

واذكر مع انتقال الأمانة العامة من الحجرتين اللتين كان عبد الرحمن عزام يشغلهما فى مبنى وزارة الخارجية المصرية القديم فى ميدان التحرير إلى قصر البستان أنه طلب الى الحكومات العربية الأعضاء فى الجامعة العربية ترشيح عدد من مواطنيها للعمل فى العراق..

وكان أول من رشحته العراق محامياً اسمه السيد موسى الأعرجى للعمل فى الجهاز الإدارى بالأمانة العامة.

ولعلها اول مرة نعرف فيها أن تقارير الامن المصرى كانت قد سجلت نشاطا غريبا للمحامى العراقى بعد أن أصبح موظفا فى الأمانة العامة للجامعة.

واتهمه احد هذه التقارير بأنه يعمل جاسوسا لحساب نورى السعيد، وأنه مكلف بكتابة تقارير عما يمكن أن يقع داخل الامانة العامة من اخطاء.

وعرف عبد الرحمن عزام ما تقوله تقارير الامن المصرى عن المحامى العراقى فابتسم وهو يقول :

- جاسوس على إيه إننى لا اعتقد ان عندنا فى الامانة العامة مايمكن أن نخفيه .

sharif mahmoud

ورفض عبد الرحمن عزام أن يبدى أى اهتمام بموضع المحامى العراقى، ولكن فجأة انقطع الرجل عن العمل دون أن يبدى أى عذر لذلك، وعرف أنه قد عاد إلى العراق بصفة نهائية .

ومرت عدة أسابيع ثم أخذ المحامى العراقى ينشر فى جريدة اسمها «الحصون » ما أطلقت الجريدة عليه اسم «مذكرات موسى الأعرجى».

ونشر المحامى الجاسوس خمسين مقالا كلها افتراءات وحكايات من نسج خياله، محاولا تشويه سمعة عبد الرحمن عزام ، وجهاز الأمانة العامة للجامعة.

وجاءنى أحدهم بقصاصات لما نشرته الجريدة العراقية كانت كلها سخافات ومن عناوينها الضخمة على سبيل المثال:

● عزام باشا يتآمر على عرش مصر مع الاخوان المسلمين ويرسل أسعد داغر إلى العراق فيطرد من بغداد .

● عزام يكتب إلى الإمام ولنجله محرضا أحدهما على الآخر

● طمع عزام بإمارة طرابلس.. والثمن إعادتها إلى أحضان إيطاليا

● سكرتير عزام باشا فراش فى خارجية مصر .

● هل عزام جاسوس إنجليزى فى الجامعة ؟

● أمانة الجامعة تعين صهاينة وكلاء فى تل أبيب ؟

كانت حملة مأجورة وكان واضحا أن تحركا سياسيا جديد ـ وراءها واقترح أحدهم على عبد الرحمن عزام أن يحتج لدى حكومة العراق على مانشرته الجريدة التى تصدر فى بغداد، ورفض عبد الرحمن عزام قائلا :

ـ أنا اعرف اللذين هم وراء هذه الحملة فى بغداد .

ولم تكن مصادفة بعد أن انتهى المحامى العراقى من نشر سخافاته أن تصدمه سيارة فى أثناء عبور أحد شوارع مدينة بغداد .

ومات الرجل دون أن يتقاضى الثمن على ماقام بنشره فى جريدة الحصون ..

وقبل إنهم أرادوا إسكاته الى الأبد حتى لايفضح الذين استخدموه فى مهمته القذرة

وكانت نهاية أكذوبة اسمها : موسى الأعرجى .. ■

sharif mahmoud

عمليات سرية فى عرض البحر لخطف بواخر المهاجرين اليهود.. !

● التوأمان صلاح أمين والسيد أمين تطوعا فى شبابهما لنقل شحنات الأسلحة والمتطوعين لنقل البواخر إلى فلسطين كما شاركا فى العمليات الفدائية لخطب بواخر المهاجرين اليهود وهما الآن من كبار رجال الأعمال

الفصل الحادى عشر

11

■ رياض الصلح يوافق .. وقائد الجيش اللبنانى .. يعترض !

■ الأمانة العامة تدفع ٤,٥ جنيه لنقل كل فدائى الى فلسطين !

■ عندما رفض الملك عبد الله الترخيص للمتطوعين بدعم الدفاع عن القدس

sharif mahmoud
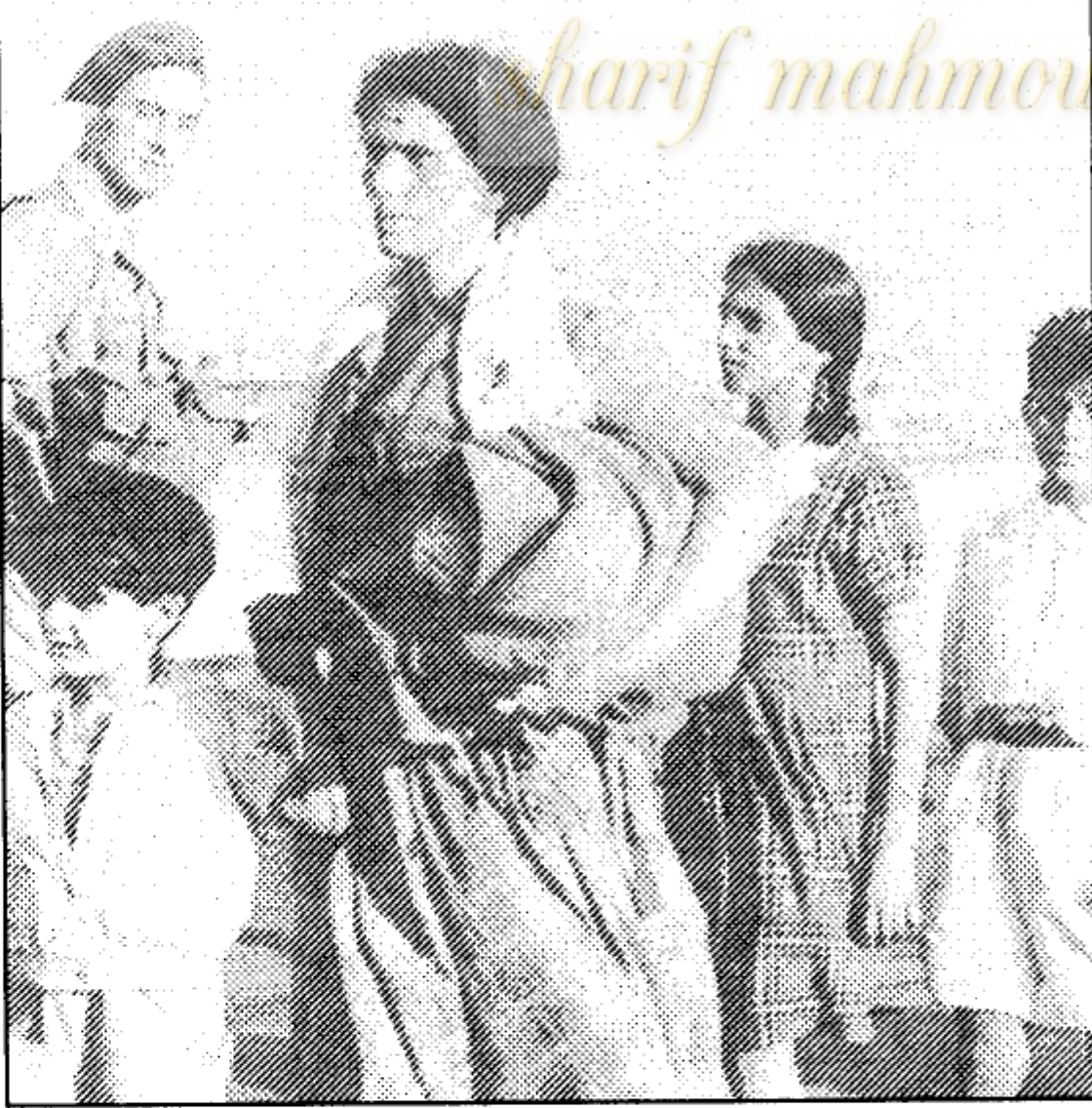
● السيد أمين هوايته تربية الخيول وامتلاك البواخر

● صلاح الدين أمين أقنعه عزام بالعمل فدائياً لحساب الجامعة

● كانت السلطات البريطانية تعتقل المهاجرين غير الشرعيين وتنقلهم إلى معسكرات اعتقال أقامتها في قبرص
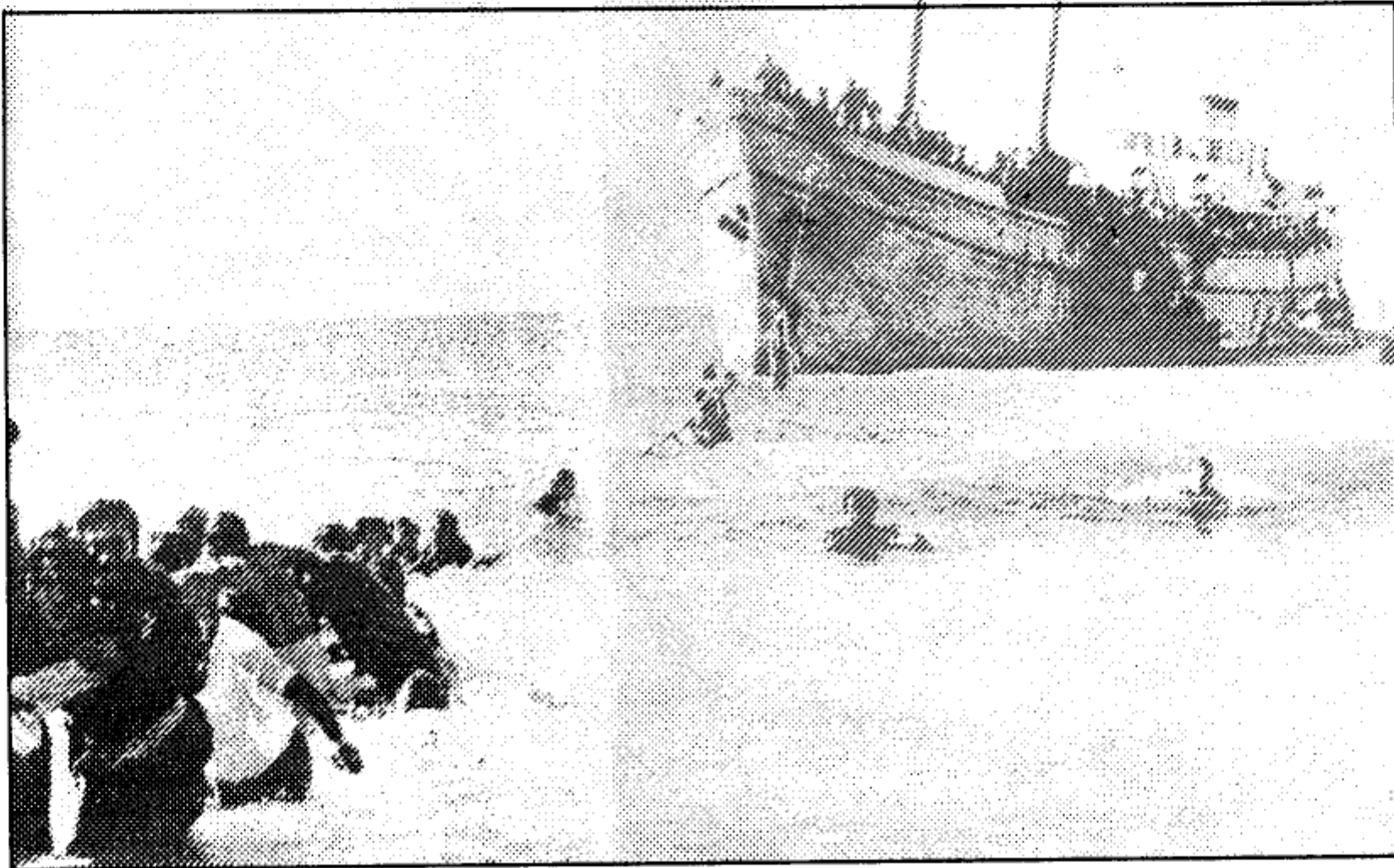
● كانت البواخر التى تحمل المهاجرين اليهود تقترب من شواطىء فلسطين بعيداً عن الموانىء ثم يقوم المهاجرون بالتسلل منها ممسكين بالحبال حتى يصلوا إلى الشواطىء وكانت العصابات الصهيونية تنقلهم سراً إلى المستعمرات اليهودية.

sharif mahmoud

المعنى.

وأكدت الإدارة الأمريكية انها لن تتخذ خطوات لتنفيذ توصيات اللجنة قبل التشاور مع الحكومات العربية بشأنها.

وكان هذا يعنى تحولا خطيرا فى موقف الإدارة الأمريكية..

وعرف أن الحكومة البريطانية اتخذت قرارات هامة منها : إلتزامها بتنفيذ الهجرة الصهيونية فى حدود ١٥٠٠ يهودى شهريا، واعتبار أى زيادة عن هذا المعدل هجرة غير شرعية..

وقال أحد التقارير التى تلقتها الأمانة العامة إن الحكومة البريطانية أقامت معسكرا للاعتقال فى قبرص لتنقل إليه كل من يضبط من اليهود المهاجرين بطريقة غير شرعية إلى فلسطين..

وقالت تقارير أخرى إن المهاجرين اليهود يتجمعون من دول أوربا فى ميناء اسمه «كوستانزا» وهو أحد موانى رومانيا على شاطىء البحر الأسود وأنهم ينقلون من هذا الميناء بالبواخر إلى شواطىء فلسطين..

وكانت الوكالة اليهودية تمتلك فى تلك الأيام سفينتين مصنوعتين من الخشب، وتستخدم الأشرعة فى تسييرها، ولم تكن حمولة كل واحدة منهما تزيد على ١٠٠٠ طن، ثم حصلت الوكالة اليهودية بعد ذلك على سفينتين إنجليزيتين كبيرتين، وكانتا مصنوعتين من الحديد والصاج ويجرى تسييرهما بالبخار والفحم لاستخدامهما فى نقل هؤلاء المهاجرين وتنشيط الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين..

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها أن الأمين العام للجامعة العربية تبنى بالاتفاق مع المسئولين فى الحكومة المصرية مشروعا لاعتراض هاتين السفينتين فى عرض البحر، وقبل وصولهما الى الشواطىء الفلسطينية، ونقل حمولتهما من المهاجرين الى سوريا أو لبنان، على أن يستخدم هؤلاء المهاجرين كرهائن فى المساومة مع حركة الصهيونية العالمية..

والذى عرفته فى تلك الأيام هو أن المرحوم عبد الرحمن عزام حصل على ضوء أخضر لتنفيذ هذا المشروع من الملك فاروق، وأنه قام بدراسة المشروع مع المرحوم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان الذى لقى منه ترحيبا بالمشاركة فى تنفيذه..

وكانت الخطة التى تحمس لها الملك فاروق تتلخص فى أن يقوم عدد من لنشات خفر السواحل المصرية - بعد نزع كل العلامات المميزة لها - بإعتراض السفينتين فى عرض البحر، ثم

sharif mahmoud

وجاءت إلى القاهرة فى تلك الأيام بعثة عسكرية من سوريا - وكان من بين أعضائها حسنى الزعيم قائد الجيش السورى الذى قام بانقلاب عسكرى بعد عدة سنوات ضد نظام الحكم فى سوريا ونجح فى الاستيلاء على مقاليد الحكم ـ وكانت تطلب أسلحة من كل نوع لتسليح الجيش الوطنى السورى بها.

وكان الفرنسيون عند جلائهم عن سوريا قد تركوها بلا جيش وطنى، وبلا سلاح..

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن المرحوم عبد الرحمن عزام، كان قد بادر تنفيذا لقرارات مجلس الجامعة العربية فى بلودان بإنشاء لجنة صندوق إنقاذ فلسطين.

وكلف المرحوم محمد على نمازى باشا مدير البنك العقارى المصرى فى تلك الأيام ـ وكان واحدا من رجال الاقتصاد المصرى البارزين ـ بالإشراف على أعمال هذه اللجنة..

كما كلف المرحوم الأميرالاى ـ العميد ـ أحمد منصور بك ـ رئيس اللجنة العسكرية التى انشئت بالأمانة العامة ـ بالعمل على شراء صفقات أسلحة من مخلفات الجيوش البريطانية فى ليبيا والصحراء الغربية لتسليح قوات المتطوعين بها.

ونجحت اللجنة فى عقد عدة صفقات لاستيراد الأسلحة من إيطاليا وأسبانيا..

وأذكر أن النبيل عباس حليم ـ وهو من أمراء العائلة المالكة أيام الملك فاروق ـ قام بالسفر إلى أسبانيا حيث عقد إحدى هذه الصفقات لحساب الأمانة العامة للجامعة العربية.

●●●

تم تجميع الأسلحة والمهمات العسكرية فى منطقة مرسى مطروح، وكانت المشكلة التى واجهت الأمانة العامة للجامعة العربية، هى توفير عدد من البواخر والسفن الآمنة لنقل هذه الأسلحة، والمتطوعين فى سرية تامة إلى لبنان وفلسطين..

والذى أعرفه هو ان المرحوم عبد الرحمن عزام طلب إلى الأميرالاى محمد عبد الواحد بك أن يدله على شركة ملاحية وطنية يكون أصحابها من المصريين ١٠٠٪.

قال له: للأسف الشديد أن شركة البوستة الخديوية يمتلكها أحمد عبود باشا، ولكن غالبية موظفيها من الإنجليز أو اليهود، كما أن شركة الإسكندرية للملاحة، وهى الشركة المنافسة لها يمتلكها أمين يحيى باشا والمعروف أن له شريكاً يهودياً فى لندن اسمه بلناور، وأن مدير هذه الشركة يحمل الجنسية المالطية واسمه بيكاردى، وغالبيته العاملين فيها من اليهود أيضا..

sharif mahmoud

كما تضم ملفات الأمانة العامة القديمة صوراً من أصول الشيكات التى كانت تصرف إلى شركة التوكيلات الملاحية، وهى شيكات كانت الشركة تودعها فى حسابها فى فرع البنك العربى بالإسكندرية..

وأذكر فى هذه المناسبة أن مدير فرع هذا البنك بالإسكندرية كان اسمه على شعث، وهو والد نبيل شعث وزير العلاقات الخارجية فى حكومة الحكم الذاتى فى غزة وأريحا، ورئيس وفد المفاوضين الفلسطينيين مع الجانب الإسرائيلى..!

●●●

وكان السيد أمين وصلاح أمين قد هاجرا من مصر فى أواخر الخمسينيات حيث عاش الأول فى إنجلترا، وأصبح مالكا لعدد من البواخر من بينها واحدة اطلق عليها اسم عبد الرحمن عزام، كما انه كان يمتلك فى ضواحى لندن مزرعة ضخمة لتربية خيول السباق، وكانت تجرى باسمه فى سباق الخيول فى لندن مجموعة منها.. أما صلاح الدين فقد استقر فى ألمانيا وأصبح على مدى أقل من عشرين عاما واحدا من أكبر أصحاب الملايين العرب، وكان يمتلك مزرعة فى ولاية ألاباما الأمريكية فضلا عن عدة مصانع وتوكيلات عالمية..

وعاد التوءمان إلى مصر منذ عدة سنوات لاستثمار جانب من أموالهما..

ويعود السيد أمين إلى ذكرياته القديمة عندما كلف مع أخيه التوءم صلاح الدين بعمليات نقل الأسلحة والمتطوعين القادمين من دول شمال افريقيا الى لبنان وفلسطين فيقول إنه ذهب إلى فندق متربول فى ميدان الرمل بالإسكندرية حيث كانت تعيش سيدة يونانية اسمها كيكى لافانوس وكانت هذه السيدة التى تنتمى الى عائلة لافانوس الشهيرة فى اليونان تمتلك باخرة صغيرة تحمل علم جمهورية بنما فى أمريكا اللاتينية واسمها «ثانياه»..

وكان لهذه السيدة وكيل ملاحى فى الإسكندرية اسمه كابتن إنجراس وكان مكتب أعماله فى شارع صفية زغلول بالإسكندرية..

وقال السيد أمين للسيدة اليونانية إن عنده حوالى ٣٥٠ عامل نسيج من شركة «سباهى» فى مرسى مطروح، وإنه يريد نقلهم كدفعة أولى إلى ميناء صيدا فى جنوب لبنان..

وبسرعة تم الاتفاق على أن يقوم باستئجار الباخرة مقابل ٥٠٠٠ جنيه للرحلة الواحدة من مرسى مطروح إلى ميناء صيدا..

sharif mahmoud

وذهب بعد ذلك إلى رجل يونانى آخر كان يدير صالة للبلياردو فى شارع صفية زغلول بالإسكندرية، وكان هذا الرجل يمتلك هو الآخر باخرة أخرى، واتفق معه على إستئجارها بنفس القيمة.. أى ٥٠٠٠ جنيه عن كل رحلة..

ويقول السيد أمين : أبحرت أول باخرة من الإسكندرية الى مرسى مطروح حيث كانت أفواج المتطوعين فى انتظارها، وكان بعض هؤلاء المتطوعين يرتدون الملابس العسكرية، الأمر الذى جعل قبطان الباخرة يعترض على نقلهم على باخرته..

قال إنه يخشى أن تعترض قطع الأسطول البريطانى الباخرة فى أثناء رحلتها..

وأضطر الأميرالاى محمد عبد الواحد بك إلى رشوة القبطان بعشرة أجولة من الأرز، كما أهدى إلى كل بحار جوالا من هذا الأرز ليوافق القبطان على القيام برحلته..

وحملت الباخرة معها شحنة من الأسلحة لحساب الجيش الوطنى السورى.. وكانت هناك كميات أخرى من الأسلحة تقرر إرسالها إلى قوات جيش الانقاذ..

واضطر السيد أمين لطمأنه القبطان لأن يستقل الباخرة مع المتطوعين فى رحلتهم إلى صيدا، ولم يكن يحمل معه جواز سفره، أو أى أوراق أخرى تثبت شخصيته..

وفى لبنان قامت المفوضية المصرية فى بيروت باستخراج جواز سفر موقت للرجل بناء على تعليمات عاجلة وصلت إليها من القاهرة..

ويؤكد صلاح الدين التوءم الآخر نفس قصة عمليات نقل هؤلاء المتطوعين من مرسى مطروح إلى صيدا، وهو يقول:

– لقد شاركت مع أخى التوءم فى الكثير من عمليات تهريب الأسلحة باسم الجامعة العربية، وأذكر أننى فى بادىء الأمر لم أكن أعرف شيئا عن طبيعة شحنات الباخرة من الأسلحة حتى استدعائى اللواء عبد المنصف محمود باشا لمقابلته ، وطلب الى ان تغادر الباخرة «تانياه» الإسكندرية فى أثناء الليل ولما قلت له : إن الميناء يغلق ليلا، قال إن تعليمات صدرت بفتح بوغاز الميناء فى أثناء الليل حتى يتسنى للباخرة الخروج إلى عرض البحر..

ووصلت الباخرة إلى ميناء مرسى مطروح فى صباح اليوم التالى لتجد فوجا من المتطوعين المغاربة والليبين فى انتظارها، وكان بعضهم يرتدى الملابس العسكرية.. وحاول قبطان الباخرة أن يعترض على نقل شحنة الأسلحة والمتطوعين بهذه الملابس العسكرية. ولكن الأميرالاى محمد عبد

sharif mahmoud

الواحد بك قام بعمل اللازم لإقناع القبطان بالإبحار بباخرته بعد أن أغدق عليه، وعلى بحارته بهدايا الأرز..

ووافق القبطان، ولكن بشرط أن يرتدى المتطوعون الجلاليب فوق ملابسهم العسكرية..

ويقول صلاح الدين : إن العميد السورى أكرم الطرابيشى أبحر مع المتطوعين وشحنة الأسلحة على ظهر الباخرة «تانياه»، على أن يعطى التعليمات اللازمة لقبطان الباخرة بعد الإبحار..

وكانت هناك شحنات أخرى من الأسلحة تنتظر شحنها على سفن وبواخر أخرى وكان العرب يجمعون هذه الأسلحة من الصحراء الغربية ومن ليبيا من مخلفات الجيوش، وكان يشرف على عملية شرائها اثنان من ضباط الجيش السورى هما العميد السورى صلاح حنكان من ضباط الطيران السورى فى ذلك الوقت ، والعقيد السورى اكرم عسكر والعقيد أكرم الطرابيشى..

ويقول صلاح الدين ان أكرم الطرابيشى أصدر أوامر إلى قبطان الباخرة عند وصولها إلى ساحل قبرص بالمرور من الجانب المواجه لشواطىء اليونان،وقام القبطان بالدوران بالباخرة حول جزيرة قبرص ثم اتجه جنوبا ليصل إلى ميناء صيدا فى فجر اليوم الرابع..

وفى صيدا كانت هناك عدة سيارات نقلت المتطوعين عبر الأراضى اللبنانية الى معسكر «قطنة» فى منطقة الحدود السورية الأردنية..

وكان العقيد أديب الشيشكلى الذى قام بانقلاب على سامى الحناوى فى سوريا ونصب نفسه رئيسا للجمهورية السورية، هو قائد هذا المعسكر فى تلك الأيام..

أما شحنة الأسلحة فقد نقلت إلى سوريا لتزويد الجيش السورى بها وفى معسكر «قطنة» قال أديب الشيشكلى إن التعليمات التى لديه هى نقل المتطوعين الى القدس للمشاركة فى الدفاع عنها..

وظل المتطوعون فى هذا المعسكر أربعة أيام انتظارا لموافقة الملك عبدالله بالسماح لهم بالمرور فى الأراضى الأردنية إلى القدس..

وكان مقرر إرسال أفواج أخرى من المتطوعين الذين احتشدوا فى مرسى مطروح الى القدس ايضا، ولكن الملك عبدالله لم يوافق..

وكانت اتصالات انتهت بإلحاق هؤلاء المتطوعين بقوات جيش الإنقاذ تحت قيادة فوزى

sharif mahmoud

القاوقجى..

●●●

وتسأل عما حدث بالنسبة للخطة التى وضعها عبد الحمن عزام بالاتفاق مع الملك فاروق لاعتراض السفن اليهودية التى تحمل المهاجرين ليقول لك السيد أمين:

– كلف أخى صلاح الدين بالسفر إلى استانبول حيث أمضى ستة أشهر كاملة فى مراقبة مواعيد إبحار هذه السفن فى طريقها الى شواطىء فلسطين ، بينما طلب إلى المرحوم عبد الرحمن عزام السفر الى بيروت للاتفاق مع المرحوم رياض الصلح على ما يمكن ان يقوم به اللبنانيون من تدابير بعد نقل المهاجرين اليهود إلى احد الموانىء اللبنانية..

ويقول السيد أمين: أعطانى المرحوم عبد الرحمن عزام رسالة إلى المرحوم رياض الصلح، كانت بخط يده، وتتكون من عدة كلمات، وكانت تقول بالحرف الواحد:

عزيزى رياض بك. سيخبرك حامله بمشرع وافقت عليه، فأرجو التفاهم معه، ولاتطلع احداً على ذلك. عبد الرحمن عزام..

ومضى السيد أمين يقول فى شهادته للتاريخ:

– وصلت إلى بيروت حيث رحب رياض الصلح بك بى بحرارة بعد أن تسلم الرسالة التى حملتها إليه من المرحوم عبد الرحمن عزام..

واستدعى المرحوم رياض الصلح قائد الجيش اللبنانى ليصدر إليه تعليماته بتسهيل مهمتنا وخاصة فيما يتعلق بإعداد السيارات اللازمة لنقل المهاجرين اليهود إلى معسكر جبل الشيخ فى الأراضى السورية..

وكانت لنشات سلاح خفر السواحل قد أعدت لتقوم بمهمتها، وقد بقيت فى حالة استعداد انتظارا لتلقى إشارة بمرور إحدى السفن اليهودية من مضيق الدردنيل فى طريقها إلى شواطىء فلسطين..

وكانت المفاجأة عندما اعترض قائد الجيش اللبنانى على تعليمات رئيس الوزراء اللبنانى، وقال للمرحوم رياض بك:

– شو المطلوب منا، أخشى فخامة الرئيس أن يعرض تدخلنا فى الموضوع لبنان للمشاكل..

وكان هذا يعنى عدم استعداد الجيش اللبنانى للمشاركة معنا فى تنفيذ العملية..

sharif mahmoud

واضطر المرحوم عبد الرحمن عزام ـ عندما عرف بتفاصيل ما حدث ـ لاتخاذ قرار خطير وهو تأجيل عملية اعتراض السفن اليهودية، والعمل على دعم جيش إنقاذ فلسطين ليعمل فى الجبهة الشمالية من فلسطين..

●●●

واستمرت عملية شحن الأسلحة والمتطوعين على السفن التى كان التوءمان يستأجرانها من أصحاب السفن الصغيرة..

وفى إحدى المرات كان العمال ينقلون شحنة من صناديق القنابل اليدوية عندما سقط أحد صناديق القنابل على الأرض.. وانفجرت القنابل ليقتل اثنان من العمال المصريين وبحار تركى كان يراقب عملية شحن السفينة بصناديق الأسلحة..

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها أن القباطنة والبحارة الاتراك لعبوا دورا مثيرا فى خدمة قضية فلسطين خلال الأشهر التى سبقت حرب فلسطين وفى أثناء هذه الحرب ، فقد شاركوا فى عمليات إغراق عدد من المراكب الصغيرة التى كان اليهود يستخدمونها فى التسلل الى شواطىء فلسطين بطريقة غير شرعية..

وكان الاتفاق مع هؤلاء القباطنة على ان يحصلوا على ثلث الغنائم، أما الثلثان فقد كانا يوزعان على المرشدين والمشاركين فى العمليات من المتطوعين العرب.

وأذكر فى هذه المناسبة أن السيد على صبرى الذى أصبح مديرا لمكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ يوليو وكان رئيسا لوزراء مصر ونائبا لرئيس الجمهورية ، كان يعمل رئيساً لمخابرات سلاح الطيران المصرى، وكان يساعده السيد عصام خليل من ضباط الطيران الأحرار..

وعرف السيد على صبرى بالدور الذى يقوم به التوءمان السيد أمين وصلاح أمين فى عمليات نقل شحنات الأسلحة والمتطوعين لحساب الأمانة العامة للجامعة العربية الى الأراضى اللبنانية والى فلسطين، فعمل على التعرف عليهما..

ويذكر صلاح أمين أن على صبرى أوعز إلى ضابط طيار من بلدياته أى من مركز ميت غمر، واسمه محمود عبد العظيم بدعوته هو واخوه التوءم للقائه..

وتم هذا اللقاء فى مطعم سينما ريفولى فى وسط القاهرة، ثم تكررت اللقاءات بينهما وبين على

sharif mahmoud

صبرى فى أماكن مختلفة.

وأثناء الهدنة الأولى فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان بعض الطيارين المصريين قد وقعوا فى أسر العصابات الإسرائيلية بعد أن أسقطت الطائرات الإنجليزية طائراتهم، واستطاع على صبرى بمساعدة التوءمين تجنيد ربان إحدى السفن التركية، وكان اسمه رفيق قبطان فى التعرف على مكان احتجاز هؤلاء الطيارين المصريين، وأماكن تهريبهم بمساعدة هذا الربان التركى..

●●●

ولعلها أول مرة يعرف فيها ان الأمانة العامة للجامعة العربية كانت وراءعدة عمليات فدائية وقعت فى عرض البحر أمام شواطىء فلسطين فى تلك الأيام..

وكان من نتيجة هذه العمليات غرق أكثر من ثلاث سفن صغيرة كانت تستخدم فى تهريب المهاجرين اليهود..

وأذكر ان ضابطا من المجاهدين القدامى هو الصاغ محمود لبيب وكانت تربطه بالمرحوم عبد الرحمن عزام صلات صداقة قديمة، جاء إليه فى مكتبه بمبنى الأمانة العامة فى قصر البستان وقال له إنه مستعد للتطوع لتدريب أى عدد من الفلسطينيين على استخدام السلاح لمواجهة خطر العصابات الصهيونية التى كانت تثير الرعب داخل الأراضى الفلسطينية ليس فقط ضد عرب فلسطين وحدهم، ولكن ضد قوات الاحتلال البريطانى ايضا..

ووافق المرحوم عزام على إنشاء معسكرات سرية لتدريب الفلسطينيين والمتطوعين على استخدام السلاح، وكلف الصاغ محمود لبيب بأن يضع نفسه تحت تصرف القيادات الفلسطينية لإعداد هذه المعسكرات.. واستطيع أن أؤكد أنه جاء وقت وخاصة بعد مذبحة دير ياسين التى ارتكبتها عصابات شتيرن والهاجناء الصهيونية ضد أهالى القرية العربية المسالمة لإرهاب عرب فلسطين عندما اقتنع المرحوم عبد الرحمن عزام بأنه لاسبيل للعرب لمواجهة إرهاب العصابات الصهيونية إلا بالإرهاب نفسه..

ولكنه كما كان يقول لم يكن فى وسعه أن يفعل شيئا، لانه كان مقيدا بحكم منصبه كأمين عام للجامعة العربية..

وعندما بدأت العصابات الصهيونية عمليات الأرهاب ضد قوات الاحتلال البريطانى كان فى تصور الأمين العام للجامعة العربية أن الصهيونية العالمية قد وجهت صفعة للشرف البريطانى

sharif mahmoud

وأنه أصبح واجبا على السلطات البريطانية أن تتحرك بسرعة لوضع حد لإرهاب هذه العصابات الصهيونية..

وفى يوم ٣٠ من يوليو سنة ١٩٤٧ أذاعت وكالة الاسيتدبرس الأمريكية صورا لجاويش بريطانى اسمه السيرجنت كليفورد مارتين، وكانت العصابات الصهيونية قد اختطفته لإرهاب قوات الاحتلال البريطانى، ولا أريد أن أقول لإرهاب بريطانيا نفسها، وقامت العصابات الصهيونية بشنق هذا الجاويش البريطانى على شجرة فى ناحية ناتانيا فى شمال تل أبيب..

وأصاب نشر صور الجاويش البريطانى الرأى العام البريطانى والحكومة البريطانية بصدمة..

وخرجت من لندن تصريحات تقول.. إنهم يتحدثون عن الإرهاب وهم أول من ارتكب جرائم الإرهاب فى فلسطين..

وفى نفس الأسبوع منعت السلطات البريطانية الباخرة أكسيدوس من إنزال المهاجرين الذين كانت تحملهم فى ميناء حيفا.. إنها نفس الباخرة التى وضع الأمين العام خطة اختطافها، ولم يتم تنفيذ الخطة لسبب اعتراض قائد الجيش اللبنانى..

وابتعدت الباخرة عن ميناء حيفا ثم أخذ المهاجرون يتسللون منها الواحد بعد الآخر وهم يخوضون بملابسهم فى مياه البحر ليصلوا الى شواطىء الأراضى الفلسطينية فى منطقة بعيدة عن الميناء..

وقد تدخلت البحرية البريطانية لتقبض على هؤلاء المهاجرين ولتأسر الباخرة، ثم قامت بنقل المهاجرين الى معسكر الاعتقال فى قبرص..

وبقيت الباخرة تحت الحراسة فى أحد موانىء قبرص لعدة أشهر، ثم أفرج عنها تحت ضغط الصهيونية العالمية وحكومة الرئيس تروومان الأمريكية على لندن..■

sharif mahmoud

بورقيبة والمفتى والخطابى فى القاهرة

ورشيد عالى الكيلانى فى السعودية

● صورة نادرة للمؤلف مع مجموعة من زملائه الصحفيين مع الأمير عبد الكريم الخطابى أثناء المؤتمر الصحفى الذى نظمته لهم الأمانة العامة للجامعة العربية على الباخرة «تاكمبا» قبل أن يلجأ بطل الريف إلى القاهرة..

الفصل الثانى عشر

12

- عندما هرب بورقيبة من تونس مرتديا ملابس إمرأة .. !
- مؤتمر صحفى للأمير الخطابى على سطح الباخرة تاكمبا .. !
- بارجة بريطانية أمام جدة والملك عبد العزيز يرفض التهديد !

sharif mahmoud

المفتى ورشيد عالى الكيلانى فى برلين

● صورة نادرة يرجع تاريخها للحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين والزعيم العراقى رشيد عالى الكلانى بعد التجائهما إلى ألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت دول الحلفاء تطالب بمحاكمتهما كمجرمى حرب ونجح الاثنان فى الهرب من ألمانيا بعد انتهاء الحرب ليلجأ المفتى إلى القاهرة ورشيد عالى الكيلانى إلى السعودية!

● وصل مفتى فلسطين إلى القاهرة بجواز سفر معروفالدواليبى واختفى فى بيت صديق له عدة أيام قبل ان يلجأ رسمياً للقاهرة

● معروف الدواليبى نام فى سرير المفتى ليساعده على الهرب من باريس

sharif mahmoud

وأثار هذا الحديث ضجة فى مختلف أنحاء العالم العربى، فقد كانت أول مرة يعلن فيها الأمير عبدالله مطالبته بقيام مشروع سوريا الكبرى صراحة..

ومن الغريب أن أمير شرق الأردن كان فى رأيه ضم العراق إلى شرق الأردن، وليس شرق الأردن إلى العراق..

وشهد مولد جامعة الدول العربية أحداثا سياسية على جانب كبير من الأهمية منها التجاء عدد من زعماء الحركات الوطنية فى العالم العربى إلى مصركالأمير عبد الكريم الخطابى والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين والحبيب بورقيبه رئيس جمهورية تونس السابق، وأيضا التجاء رشيد عالى الكيلانى إلى المملكة العربية السعودية، وكان الحاج أمين الحسينى ورشيد عالى الكيلانى مطلوبين بين من أكثر من دولة لمحاكتهما كمجرمي حرب بتهمة التعاون مع دولتى المحور.. أى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية أثناء الحرب العالمية الثانية!.

وتتكلم الوقائع التاريخية لتقول إن الأمين العام للجامعة العربية تلقى فى شهر يونيه سنة ١٩٤٧ برقية من مواطن عربى غير معروف تقول إن الأمير عبد الكريم الخطابى الذى اشتهر باسم بطل الريف لثورته ضد الاستعمار الاسبانى والفرنسى فى شمال أفريقيا سوف ينقل من منفاه الذى عاش فيه لمدة ٢٠ سنة فى جزيرة مدغشقر على السفينة الفرنسية تاكمبا وأن هذه السفينة ستعبر قناة السويس فى تاريخ معين حدد بالضبط فى البرقية..

وصلت البرقية إلى مكتب الأمين العام الذى كان مسافرا فى نيويورك فى نفس الوقت الذى كان المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيس وزراء مصر يعرض فيه قضية مصر على مجلس الأمن..

ولم يستطع محمد وحيد الدالى السكرتير الخاص لعبد الرحمن عزام التصرف فى البرقية ، وكل ما قام به هو أنه بعث بها فى الحقيبة الدبلوماسية لوزارة الخارجية المصرية إلى الأمين العام فى نيويورك..

ومرت عدة أيام لتتلقى الأمانة العامة للجامعة العربية برقية من عبد الرحمن عزام تقول بالحرف الواحد:

- يكلف وحيد الدالى بمقابلة الأمير عبد الكريم الخطابى أثناء مروره بقناة السويس وعليه أن يرتب له مؤتمرا صحفيا عالميا، وأن يتصل بالأميرالاى. (العميد) محمد يوسف رئيس قسم

sharif mahmoud

الشئون العربية بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية، وكذلك بالقائمقام (العقيد) محمد حلمى حسين من القصر الملكى وتنفيذ ما لديها من تعليمات..

وأدرك محمد وحيد الدالى أن المرحوم عبد الرحمن عزام قد قام باتصالات مع المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية فى نيويورك ومع القصر الملكى فى القاهرة حول الموضوع، وتنفيذا لتعليمات الأمين العام قام بالاتصال بى وبمجموعة من زملائى المندوبين المعتمدين لدى الأمانة العامة للجامعة العربية، وبمندوبى وكالات الأنباء الأجنبية، وطلب إلينا أن نلتقى فى فندق اسمه بلير فى مدينة السويس فى اليوم التالى دون أن يذكر لنا السبب..

قال لنا إننا سنجد فى انتظارنا فى السويس مفاجأة صحفية ضخمة..

وذهبنا فى الموعد المحدد إلى الفندق لنجد محمد وحيد الدالى جالسا مع العميد محمد يوسف ومحمد حلمى حسين، وكان معهما المرحوم محمد عبود، وهو مغربى كان ممثلا لمراكش قبل الاستقلال فى اللجنة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية، وقد قتل فى عام ١٩٤٩ فى حادث سقوط طائرته أثناء سفره لحضور أحد المؤتمرات فى باكستان..

ويروى محمد وحيد الدالى فى كتابه: أسرار الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام كيف استطاع إقناع الأمير عبد الكريم بالنزول فى ميناء بورسعيد والإلتجاء إلى مصر، وهو يقول:

- فى الخامسة من صباح اليوم التالى طلب إلى العميد محمد يوسف أن أتوجه إلى السفينة تاكمبا وهى فى عرض البحر وأن أصعد إليها بصحبة محمد بن عبود باعتبارنا من رجال الجوازات والحجر الصحي، وفعلا أخذنا لنشا بحريا صغيرا مع مجموعة من موظفى الجوازات والحجر الصحى، وتوجهنا إلى السفينة التى كانت فى المياه العالية على بعد ثمانية أميال من مدينة السويس، وصعدنا أنا ثم محمد بن عبود من بعدى ثم رجال الجوازات على سلالم الحبال.. وعلى سطح الباخرة وجدت جميع الركاب مستلقين على كراس ومستغرقين فى النوم، ولما كنت لم أر الأمير عبد الكريم فى حياتى أخذت أجرى فى المركب صعودا ونزولا بحثا عنه، ومن حسن الحظ وجدت رجلا يرتدى ملابس المغاربة، وعلى رأسه عمامة وكان مستندا إلى سور الباخرة فتقدمت إليه قائلا: أنت الأمير عبد الكريم فهز رأسه بعلامة النفى، ثم أشار بأصبعه ناحية إحدى قمرات السفينة فتوجهت إليها مسرعا لأجد بابها مفتوحا، ووجدت نفسى أمام رجل يصلى الفجر، فانتظرت حتى انتهى من صلاته لأقول له: لابد أنك الأمير عبد الكريم .. فابتسم

sharif mahmoud

وانتقل إلى الحبيب بورقيبه رئيس جمهورية تونس السابق..

لقد اضطر الرجل، وكان يرأس الحزب الحر الدستورى التونسى تحت ضغط الفرنسيين لأن يهرب من تونس متنكرا فى ملابس إمرأة تحت اسم أم السعد، وتسلل تحت سمع الفرنسيين وبصرهم إلى ليبيا ومنها إلى مصر..

ووصل الحبيب بورقيبه إلى السلوم عند الحدود المصرية مع ليبيا ..

وعرف المرحوم عبد الرحمن عزام بوصوله إلى الأراضى المصرية، فقام باتصالات مع المسئولين فى الحكومة المصرية انتهت بالاتفاق على إعداد استقبال رسمى للزعيم التونسى الكبير عند وصوله إلى القاهرة، وأوفدت السلطات المصرية بعثة رسمية سافرت فى قطار خاص من الإسكندرية إلى مرسى مطروح للترحيب بالمجاهد التونسى الكبير وليستقله فى رحلته إلى القاهرة، ولا أريد أن اقول أننى كنت الصحفى الوحيد الذى رافق البعثة الرسمية فى رحلتها لإستقبال الحبيب بورقيبه، وكانت هذه البعثة تضم الأميرالاى محمد يوسف رئيس قسم الشئون العربية بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية ومحمد وحيد الدالى إبن إخت المرحوم عبد الرحمن عزام وسكرتيره الخاص.

وفى القاهرة عاش الحبيب بورقيبه أو سى الحبيب -كما كنا نطلق عليه - فى شقة صغيرة إستأجرها فى شارع نوال بالعجوزة، وكان إيجار هذه الشقة علي ما أذكر أربعة جنيهات و٢٠ قرشا فى الشهر..

وكانت زوجته الفرنسية ماتيلدا لوران، وهى التى تزوجها عندما كان يدرس فى باريس وأنجب منها ابنه الحبيب بورقيبه الصغير قد اصطحبت ابنها إلى باريس ورفضت أن تلحق به فى القاهرة..

واضطر الزعيم التونسي الكبير لأن يعانى من حياة العزوبية بالقاهرة..

وأذكر أننى كنت مارا فى أحد الأيام بعد وصول الحبيب بورقيبه إلى القاهرة فى شارع نوال فى طريقى إلى وزارة الزراعة بالدقى وكانت مفاجأة عندما شاهدت الرجل، فقد كان يرتدى جلبابا مغربيا قصريا يكشف عن ساقيه وينتعل فى قدميه مركوبا أحمر اللون، وكان يحمل فى إحدى يديه صحنا مملؤا بالفول المدمس، وفي اليد الأخرى عدة أرغفة من الخبز وحزمة فجل.

ولم أتمالك نفسي من أن أصرخ فى وجهه:

sharif mahmoud

ومساعدة مالية فانه يرجو تخصيص معونات شهرية للمجاهد الكبير.

وكان اخر ما يمكن أن أتصوره أن يطلب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الشريف تقديم العون أيضا للمجاهد الكبير.

ووافق شيخ الأزهر على بخصيص مبلغ ١٥٠ جنيها شهريا إعانة للزعيم التونسى الكبير من بند كان يطلق عليه فى تلك الأيام اسم جراية العيش.

إنها الحقيقة، وقد تكشفت أمام عينى، وانا اقلب صفحات الملف الخاص بالمجاهد التونسى الكبير.

وفى ظنى أن هذا الملف يعتبر وثيقة تاريخية ما زال موجودا فى أرشيف الجامعة العربية.

ولم أتمالك نفسى من الدهشة، وأنا أرفع يدى تحية للأمين العام أمام المرحوم الشيخ يوسف ياسين قائلا:أسف ولكن الصورة التى رأيت الرجل عليها هزتنى بعنف..

وابتسم المرحوم عبد الرحمن عزام وهو يقول لى:

- إن الحبيب بورقيبه يحصل فى كل شهر على ٥١٦ جنيها بالإضافة إلى ٣٠ جنيها تدفع إليه كمخصصات ثابتة من الأمانة العامة للجامعة العربية.

●●●

وغادرت مكتب المرحوم عبد الرحمن عزام لأتوجه مباشرة إلى شارع نوال بالعجوزة.

وجلست إلى جوار عم عبدون بواب العمارة التى كان الحبيب بورقيبه يسكن فى إحدى شققها، وبسرعة أخذت استدرج الرجل الطيب فى الحديث لأعرف حقائق كثيرة عن حياة المجاهد التونسى الكبرى فى القاهرة..

كان يسكن فى الشقة المواجهة لشقته عازف كمان مغمور كان يتكسب من العمل مع الفرق الليلية فى الملاهى وعلى مسارح القاهرة..

وكان أقصى ما كان يصل إليه هذا الرجل يتراوح ما بين ٢٠ و٢٥ جنيها فى كل شهر.

وفى صباح أحد الأيام دق المجاهد التونسى الكبير جرس باب جاره ليقول لعازف الكمان :

- إن النبى عليه الصلاة والسلام أوصى بسابع جار وأنا أول جار لكم، وأعيش وحيدا فى الشقة المواجهة لشقتكم.

ورحب عازف الكمان بالحبيب بورقيبه ودعاه لدخول شقته حيث أكرم وفادته وقدمه إلى أفراد

sharif mahmoud

أزمة بين الحكومتين السعودية والبريطانية.

وكانت الحكومة البريطانية قد أرسلت مدمرة حربية إلى ميناء جدة فى نفس الوقت الذى كانت تطلب إلى المملكة العربية السعودية تسليم رشيد عالى الكيلانى إليها لمحاكمته كمجرم حرب..

ورفض الملك عبد العزيز الرضوخ إلى أى تهديد وقال بالحرف الواحد للوزير المفوض البريطانى فى جدة:

- قل لملك الإنجليز لقدإستجار بى الرجل فأجرته، ولن أسلمه إليكم وأنا على استعداد إذا اقتضى الأمر لأن أصطحبه معى إلى الجبل لحمايته والدفاع عنه.

واستطرد الملك عبد العزيز يقول للوزير المفوض الإنجليزى.

- وقل له أيضا أنا على إستعداد لأن أسلم إليه أحد أولادى ولا أسلم له رجلا طلب حمايتى.

وكان موقفا رائعا من الأمير فيصل (الملك فيصل)، وكان وزيرا للخارجية عندما قال للوزير المفوض البريطانى أمام والده الملك عبد العزيز:

- أناعلى استعداد لأن أسلم نفسى كرهينة للحكومة الإنجليزية بدلا من الرجل الذى أصبح فى حمى طويل العمر الملك عبد العزيز.

ولم يفلح التهديد، واضطرت الحكومة البريطانية لسحب مدمرتها الحربية من ميناء جدة وأوعزت فى نفس الوقت إلى الحكومة العراقية بالضغط على الحكومة السعودية لتسليم رشيد عالى الكيلانى إليها لإعادة محاكمته بتهمة قيادة الثورة ضد نظام الحكم فى بغداد!

وأنا شخصيا كانت تربطنى برشيد عالى الكيلانى صلة صداقة وثيقة وقد نشرت فى عام ١٩٥٨ جانبا من مذكراته السياسية فى مجلة آخر ساعة القاهرية.

وأنقل من أوراقى القديمة ما سمعته من الزعيم العراقى عن قصة التجائه إلى المملكة العربية السعودية.

إنها قصة مثيرة للغاية، وفيها قال لى بالحرف الواحد:

- تسللت فى ميناء مارسليا فى جنوب فرنسا إلى باخرة كانت متجهة إلى أحد موانىء المغرب، ومنها إلى بيروت، وكان معى المحامى السورى جميل الجابى، وقد اضطرت للعمل كعامل فحم على الباخرة حتى يتسنى لى الاختفاء عن أعين الذين كانوا يفتشون عنى للقبض على.

وفى بيروت غادرت الباخرة بمجرد وصولها إلى دمشق حيث اختفيت عدة أيام فى بيت عائلة

sharif mahmoud

المحامى جميل الجابى، وجاءتنا أخبار من بيروت تقول إن قوى إنجليزية قامت بمحاصرة الباخرة بمجرد مغادرتنا لها، وقامت بتفتيشها بحثا عنى، وكان هذا يعنى أنهم قد تلقوا معلومات تقول لهم إننى كنت على ظهر الباخرة.

واستطرد رشيد عالى الكيلانى قائلا:

- لم أبق فى دمشق أكثر من يومين تنكرنا اثناءها فى ملابس البدو من رعاة الأغنام، ثم بدأنا رحلة طويلة عبر الصحراء فى اتجاه الأراضى السعودية.

إن أحدا ما كان يتصور أن الرجل الذى قاد ثورة العراق ضد الإنجليز فى عام ١٩٤١ يمكن أن يعبر الصحراء على قدميه، وهو يقود أمامه عددا من الأغنام.

وأستوقفتنا قبل أن نصل إلى الحدود السعودية سيارة عسكرية وكاد قلبى يتوقف عندما شاهدت الضابط الكبير جلوب باشا بلحمه وشحمه.!

وسألنا سائق السيارة، عن اتجاهنا، فرد عليه المحامى جميل الجابى بلهجة البدو: إننا أغراب نرعى الغنم، ولن نبتعد كثيرا عن المكان الذى نجد فيه الكلأ ..أى الحشائش.

وتركنا جلوب باشا ،ولما أبتعد بسيارته، واصلنا رعى الأغنام، ثم اتجهنا إلى الحدود السعودية.

●●●

وقال رشيد عالى الكيلانى أنه لم يفصح عن شخصيته فى نقطة الحدود السعودية ولكنه طلب إلى الضابط السعودى المسئول عن النقطة الإبراق إلى الرياض، وإخطار الملك عبد العزيز بأن وفدا من سوريا يريد مقابلة جلالته فى مهمة عاجلة.

وجاء الإذن لرشيد عالى وزميله المحامى السورى بالدخول إلى الأراضى السعودية والتوجه فورا إلى الرياض.

وذهب رشيد إلى الملك عبد العزيز، وكان يتأهب للسفر إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، فلما دخل عليه في مجلسه، رفع قناعا كان يغطى به وجهه وهو يقول للعاهل السعودى:

- يا طويل العمر.. أنا رشيد عالى الكيلانى، وقد جئت إليك ملتمسا حمايتك.

وأطرق الملك عبد العزيز قليلا، ثم قال:

- يا رشيد أهلا بك وسهلا فى بيتك وبلدك، ولكنك تعلم أن وصولك إلينا مصيبة، كما أن

sharif mahmoud

قبولنا حمايتك مصيبة أكبر، ولكن لا يهم فقد لجأت إلينا ونحن نجيرك ونحميك..!

وأستدعى الملك عبد العزيز الأمير سعود، وكان وليا للعهد، وطلب إليه أن يستضيف رشيد عالى وزميله المحامى جميل الجابى فى قصره وقال له المهم ألا تخبر أحدا بشخصية ضيفك حتى أعود من الحج.

وتتكلم الوقائع التاريخية فتقول إن الملك عبد العزيز أقام مخيمه فى ضواحى مدينة جدة بعد تأدية فريضة الحج، ثم طلب استدعاء الوزير المفوض البريطانى فى جدة لمقابلته.

كان الملك عبد العزيز يطلق عليه اسم الخواجة الإنجليزى.

وجاء الوزير المفوض الإنجليزى ليسمع الملك، وهو يقول له بعد أن أجلسه فى مكان قريب منه:

- قل لملك الإنجليز إن رشيد عالى الكيلانى استجار بى وقد أجرته، وهو يعيش الآن لاجئا سياسيا في بلادنا.

وارتبك الوزير المفوض الإنجليزى، وأخذ يتلفت حوله، وأثار ذلك انتباه الملك فبادر بسؤاله:

- مالك .. ماذا حدث؟

قال الوزير المفوض الإنجليزى تداركا للموقف:

- خشيت يا طويل العمر أن تقول لى بعد قليل إن هتلر عندك هو أيضا.

ورد عليه الملك عبد العزيز بسرعة:

- لما ييجى هتلر يبقى لنا فيه حكى ثانى!

●●●

وفجأة وصل الحاج أمين الحسينى مفتى إلى القاهرة، والذى أعرفه هو أنه أمضى فى بيت صيق له من المجاهدين الفلسطينيين هو على رشدى العنانى عدة أسابيع قبل أن يتوجه إلى قصر عابدين ويطلب قبوله لاجئا سياسيا فى مصر.

وكما روى لى بنفسه مرة:

- كانت ألمانيا النازية تعيش أيامها الأخيرة وفى يوم ٢ مايو سنة ١٩٤٥ ولم يكن قد مر على إعلان قيام جامعة الدول العربية أكثر من ٤٠ يوما لم يكن أمامه إلا أن يعمل بسرعة على مغادرة الأراضى الألمانية حتى لا يقع فى أيدى قوات الحلفاء التى كانت تفتش عنه للقبض عليه ومحاكمته كمجرم حرب.

sharif mahmoud

ولم ينتظر وبادر بمغادرة مدينة باد جستاين التى كان يعيش فيها فى اتجاه مدينة قلدكرش عند الحدود الألمانية السويسرية.

كانت سويسرا هى المنفذ الوحيد الذى كان فى وسعه أن يتسلل إليه من الأراضى الألمانية.

وفى مطار مدينة أنسبروك وجد المفتى طائرة صغيرة تتأهب للطيران وقد استطاع بمساعدة أحد أصدقائه الألمان أن يستقل هذه الطائرة ليتجه بها إلى سويسرا.

قال إنه سيتوجه إلي سويسرا، وليكن ما يكون.

والذى لا يعرفه كثيرون أن المفتى اختار من بين أصدقائه اثنين أحدهما يجيد اللغة الإنجليزية، وهو راسم الخالدى، والثانى يجيد الفرنسية، وهو الدكتورمعروف الدواليبى الذى تولى رئاسة الحكومة السورية فى عام ١٩٦١ وطلب إليهما أن يصحباه فى رحلته إلى سويسرا.

ويروى المرحوم الدكتور كمال الدين جلال مراسل جريدة الأهرام فى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية فى مذكراته جانبا من قصة رحلة المفتى فى هذه الطائرة، وهو يقول:

ـ غادر سماحة المفتى مدينة إنسبروك فى يوم ١١مايو سنة ١٩٤٥ وعندما حلقت الطائرة فوق الأراضى السويسرية انطلقت صفارات الإنذار لأخر مرة قبل نهاية الحرب العالمية الثانية فى الأراضى السويسرية لتعلن عن وجود طائرة مجهولة الجنسية فى سماء بلادها كما كانت تقول البلاغات الرسمية فى كل مرة تنطلق فيها هذه الصفارات.

ـ ولم تكن هذه الطائرة إلا طائرة سماحة المفتى أمين الحسين وزميليه وهبطت الطائرة فى مطار مدينة بازل ليطلب سماحه المفتى الى السلطات السويسرية قبوله لاجئا سياسيا فى بلادها ولم توافق ترحب هذه السلطات ، وطلبت إلى أن يختار الدولة التى يرغب فى ترحيله إليها وكانت مشاورات إنتهت بالإتفاق على ترحيله مع زميله إلى منطقة الحدود الفرنسية.

ويستطرد كمال الدين جلال قائلا فى روايته لقصة فرار مفتى فلسطين من ألمانيا النازية:

ـ تسلمت السلطات الفرنسية سماحة الحاج أمين الحسينى عند منطقة الحدود فى نفس اليوم، ثم قامت بنقله مع زميليه إلى باريس حيث أعدت فيلا صغيرة لإقامته تحت حراسة شديدة.

وعرفت الحكومة البريطانية بوصول المفتى إلى باريس فبادرت بالتقدم رسميا إلى الحكومة الفرنسية بطلب تسليم سماحته إليها إلا أن السلطات الفرنسية وضعت شرطا لإجابة هذا الطلب وهو أن تسعى الحكومة البريطانية لدى الجنرال فرانكو ليسمح بتسليم بيير لافال رئيس وزراء

sharif mahmoud

حكومة فيشى الذى تعاون مع الألمان أثناء احتلالهم لفرنسا إلى الحكومة الفرنسية وكانت تريد فرنسا القبض عليه ومحاكمته بتهمة الخيانة العظمى.

وتردد فى تلك الأيام أن الحاج أمين عرف بهذه الاتصالات فبعث إلى القاهرة وإلى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود يطلب تدخل الحكومتين المصرية والسعودية لدى الحكومة الفرنسية للحيلولة دون تسليمه إلى السلطات البريطانية لمحاكمته كمجرم حرب.

ولعب المرحوم عبد الرحمن عزام فى بداية نشأة الجامعة العربية دورا كبيرا لإنقاذ سماحة الحاج أمين من الوقوع فى أيدى السلطات البريطانية التى كانت تتربص به للقبض عليه وتقديمه للمحاكمة أمام محكمة نورنبرج.

●●●

عاش الحاج أمين الحسينى فى باريس حتى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ وفجأة أعلن أن سماحته قد وصل إلى القاهرة..

وكما قال لى بنفسه مرة.. إنه لم يكف عن التفكيرمنذ لحظة وصوله إلى باريس للخروج إلى أى بلد عربى ليأمن فيه على حياته.

وكان عليه أن يضع خطة لا تثير شك السلطات الفرنسية حتى يتمكن من مغادرة الأراضى الفرنسية، وتنفيذا لهذه الخطة قام بادعاء المرض، ثم طلب إلى السلطات الفرنسية أن تسمح بزيارة أحد الأطباء الفرنسيين له خشية أن يكون مرضه خطيرا.

قال إنه يريد هذا الطبيب أن يقوم بزيارته يوميا وكان يهدف من وراء هذا الطلب إلى إبعاد الشك عن تفكير السلطات الفرنسية فى أنه يدبر خطة لمغادرة الأراضى الفرنسية.

وظل سماحة المفتى ملازما لفراش المرض لمدة أسبوعين كاملين وكان الطبيب يتردد عليه فى كل يوم ليطمئن على حالته الصحية.

وفى نفس الوقت كان سماحة المفتى قد اتفق مع الدكتور معروف الدواليبى على أن يستخدم جواز سفره بعد أن يرتدى البدلة العادية فى مغادرة فرنسا بالطائرة إلى القاهرة.

وساعد سماحته على تنفيط خطته أن الدكتور الدواليبى كان يطلق لحيته بحيث جعلت الشبه بينه وبين المفتى كبيرا.

وفى اليوم المحدد غادر الحاج أمين الحسينى الفيلا، وهو يرتدى البدلة العادية فور عيادة

sharif mahmoud

الطبيب الفرنسى له.

وكانت إحدى السيارات تقف فى ا نتظاره على مسافة غير بعيدة من الفيلا، فقامت بحملة فورا إلى مطار باريس حيث استقل الطائرة باسم معروف الدواليبى إلى القاهرة.

ولم تعرف السلطات الفرنسية بمغادرة سماحة المفتى باريس إلا فى صباح اليوم التالى عندما ذهب الطبيب الفرنسى لعيادته فوجد معروف الدواليبى ينام فى سريره، واختفى الحاج أمين الحسينى ولم يعرف شيئا عن مكان اختفائه حتى أعلن فى القاهرة أن السلطات المصرية وافقت على قبوله لاجئا سياسيا وأنه استطاع أن يغرر بالسلطات الفرنسية وأن يهرب إلى القاهرة!!

وأوعزت الحكومة البريطانية فى تلك الأيام إلى الرئيس تيتو بأن يطلبب باسم يوغسلافيا تسليم سماحة الحاج أمين الحسينى إليه لمحاكمته كمجرم حرب.

وكان الاتهام الموجه إليه أنه قام بتجنيد قوات من مسلمى البوسنة وعمل على توجيههم للحرب مع قوات النازى الألمانية فى الجبهة الروسية.

وتدخل المرحوم عبد الرحمن عزام مرة أخرى لإنقاذ عزام مفتى فلسطين.

وكان أن استدعى الوزير المفوض اليوغسلافى فى القاهرة، وطلب إليه أن تسحب الحكومة اليوغسلافية أى اتهامات ضد المفتى..!

وكللت اتصالات الأمين العام للجامعة العربية فى هذا الشأن بالنجاح.

●●●

وهكذا كانت الأمانة العامة للجامعة العربية تتحرك بسرعة لمواجهة ما كان يجرى حولها من أحداث ولكنها كانت تعمل فى واد بينما كانت بعض الحكومات العربية تعيش فى واد آخر!

وأذكر أننى سألت مرة المرحوم عبد الرحمن عزام عن الخلافات التى كانت تحدث بين الدول الأعضاء فى مجلس الجامعة..

وابتسم عبد الرحمن عزام، وقال لى فى دردشة لم تكن طبعا للنشر فى تلك الأيام:إنه نورى السعيد الذى كان يرفض زعامة مصر لدول الجامعة العربية، ويريدها جامعة تحت قيادة العراق على أن تتفق سياستها مع سياسة الحكومة البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط.

وكان فى رأى نورى السعيد أن تسايردول الجامعة ، الحكومة البريطانية فى سياستهاوإتباع إسلوب التهدئة معها مهما كانت النتائج، وكان يعمل من أجل سيطرة حكام العراق الهاشميين

sharif mahmoud

العربية الذى هو عبارة عن سكرتير عام وموظف لدى الدول العربية،إن شخصية عزام باشا السياسى لا تستطيع ولا تريد أن تذوب فى شخصية عزام باشا الموظف فى جامعة الدول العربية، والمفهوم أن أمانة الجامعة كما هو الحال فى المنظمات المماثلة تكون سكرتارية عامة، ولقد سميت بالأمانة لتقوم بحفظ السجلات والقيود وتبليغ المقررات إلى الدول الأعضاء حول أعمال كل لجنة من اللجان الاختصاصية المنصوص عليها فى الميثاق كاللجنة الثقافية أو الاقتصادية...إلخ

وكانت هناك اتهامات أخرى كثيرة

وعرف المرحوم عبد الرحمن عزام بما جاء فى بيان وزير الخارجية العراقية فاعتبره ماسابكرامته وبشخصيته.. ولم ينتظر وبادر بإعداد رد عنيف على وزير الخارجية العراقية، وبعث به إلى مجلس النواب العراقى.

حيث إن بعض العبارات التى جاءت فى بيان وزير الخارجية جاءت على لسان نورى السعيد بنصها منذ بضع سنوات.

ولعل أبرز ما جاء فى هذا الرد فقرة قال فيها عزام بالحرف الواحد:

- كان بينى وبين صديقى القديم نورى السعيد حبل متصل رغم ما بيننا من اختلاف فى الطبيعة الخاصة، فقلما كان يكشف عن حقيقة نفسه أو حقيقة ما يريد، وأنا أبين ما أريد وأكرره ليزداد وضوحا، بينما هو مسرف فى الغموض وقلما يكشف عن حقيقة نفسه أو حقيقة ما يريد، وأنا أسمى غموضه دهاء وهو يسمى وضوحى ثرثرة، ولطالما غفرت له غموضه ولكنه يأبى أن يغفر لى ثرثرتى، لقد تعودت الغفران ليبقى حبلنا متصلا، وإذا أراد القطيعة فأمرى لله.■

sharif mahmoud

جلوب قائدا للجيوش العربية.. كيف؟
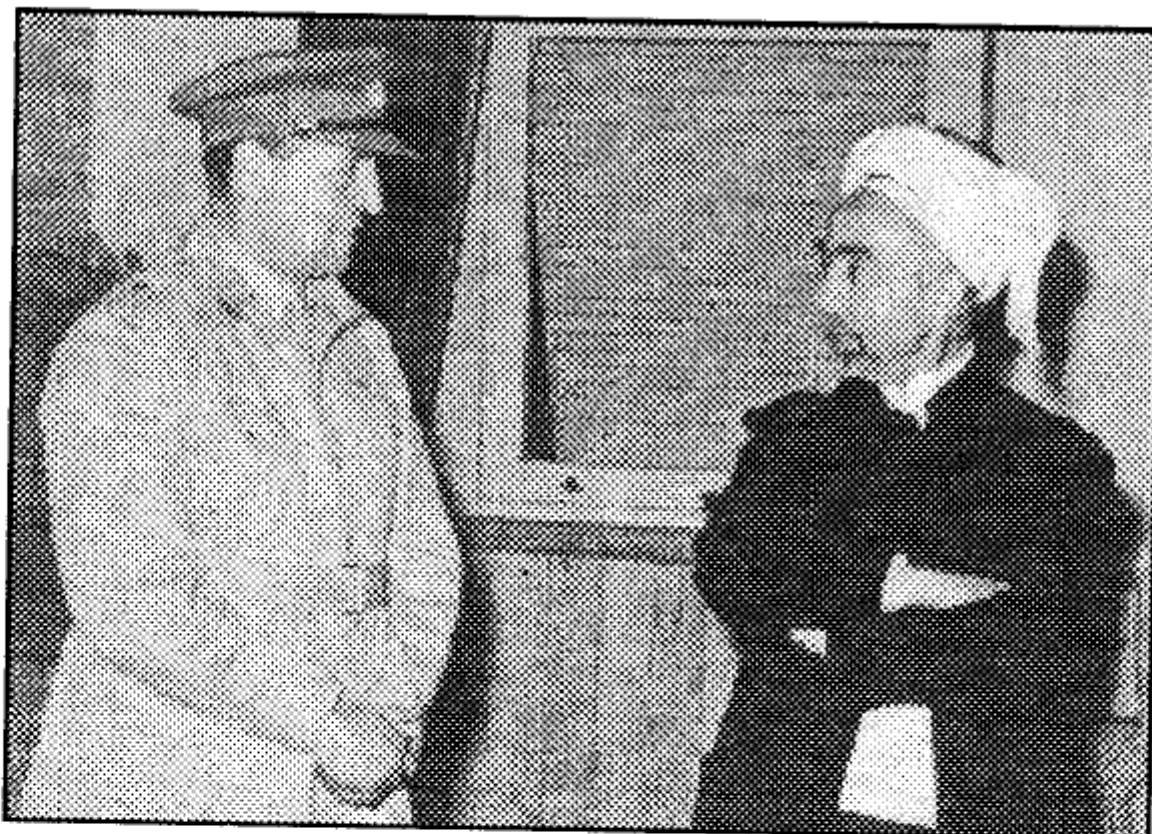
● اعتذر الجنرال جلوب عن تولى قيادة الجيوش العربية ليتولى الملك عبد الله قيادة هذه الجيوش، وشكلت هيئة أركان حرب بقيادة الأميرالاى سعد الدين صبور من مصر!

الفصل الثالث عشر

13

- فاروق يرفض قيام دولة فلسطينية على حدودها الشرقية تحت حكم الهاشمين
- سر تعجيل بريطانيا بالغاء انتدابها على فلسطين يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨
- تقرير من قنصل مصر فى القدس : الانجليز وراء تسليح المنظمات الارهابية !

● لعلها أول مرة يعرف فيها أن المرحوم عبد الرحمن عزام رشح الجنرال الانجليزى جلوب باشا ليتولى قيادة الجيوش العربية فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حتى يضمن عدم تدخل الجيش البريطانى فى قاعدة قناة السويس ضد الجيش ولكن الجنرال جلوب اعتذر عن تولى هذه المهمة ليتولى الملة عبد الله قيادة الجيوش العربية ..

sharif mahmoud

ثانيا - تقوم البلاد العربية بمعاونة فلسطين من الوجهة المالية على ان يكون ذلك عن طريق الجامعة العربية وحدها اى أن تتولى بالاتفاق مع الهيئة السابق الاشارة اليها تحديد طرق المساعدة ووجهات الإنفاق فى فلسطين .

ثالثا- تؤلف فى كل قطر عربى وتحت إشراف حكومته لجنة تسمى لجنة الدفاع عن فلسطين تتولى وحدها كل الأمور التى تتعلق بفلسطين وتكون مرتبطة رأسا بالجامعة العربية.

رابعا - تقوية مراكز الدعاية العربية فى أوروبا وأمريكا على ان تكون مرتبطه كلها مباشرة بالجامعة العربية.

خامسا - تبذل المساعى لدى الحكومة البريطانية وحكومة الولايات المتحدة وتستعمل جميع الوسائل الدبلوماسية والسياسية لحملها على نبذ قرارات اللجنة الأمريكية - الإنجليزية والعمل ، على تنفيذ الكتاب الابيض المنشور سنة ١٩٣٩.

سادسا - يعمل العرب على رفض قرار اللجنة وإحباطه والقضاء عليه..

سابعا - رفض كل هجرة يهودية إلى فلسطين بعد الآن مهما كان العدد ضئيلا وعدم قبول أية مساومة فى هذا الموضوع.

ثامنا - رفض فكرة تقسيم فلسطين رفضا مطلقا .

تاسعا : إقرار عروبة فلسطين باعتبارها جزءاً لايتجزأ من الجسم العربى.

عاشرا - معالجة مشروع المقاطعة بشكل جدى وفعال ..

الحادى عشر - تأليف لجنة للشئون السياسية ضمن نطاق الجامعة ويكون مهمتها الإشراف على أمور الدعاية وقضايا فلسطين ..

الثانى عشر - فرض ضريبة تمغة لصالح القضية الفلسطينية -

وكان فى رأيى ، وفى رأى الكثيرين من المشتغلين بالشئون العربية فى تلك الايام ان جميع المحاولات المخلصة التى بذلتها الامانة العامة للجامعة العربية لايجاد حل عادل لقضية فلسطين قد باءت بالفشل ليس بسبب قوة النفوذ الصهيونى فى العالم ،ولكن بسبب الانقسامات فى العالم العربى وماكان يراود بعض الحكام العرب من الأطماع والاهداف التى كانوا يعملون على تحقيقها ..

وكانت قوى الصهيونية العالمية تعرف ماكان يراود كل واحد من هؤلاء الزعماء والحكام العرب

sharif mahmoud

من أطماع وكان أن عملت سرا على تشجيعهم وتغذية تطلعاتهم فى هذا الصدد لإثارة المزيد من الانقسامات فى العالم العربى..

وأقولها صراحة . كان لكل واحد من هؤلاء الزعماء العرب سياسته التى تحقق مصلحته الذاتية ، او مايعتقد انها مصلحة البلاد التى يحكمها ..

وكان اول هؤلاء هو الملك عبد الله الذى كان يعمل صراحة على توسيع رقعة ملكه لتشمل فى أقل تصور له شرق الاردن وفلسطين وكان حلمه الكبير هو ان تصبح غزة ميناء رئيسيا لبلاده على البحر المتوسط ..

ولم يكن الملك عبد الله يتردد فى أن يتحدث عن أحلامه صراحة فى مجالسه مع الصحفيين وغيرهم .!

وعرف أنه قام باتصالات قبل وبعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ مع اليهود ، وان مفاوضات سرية جرت بينه وبينهم من وراء ظهر العرب لتحقيق حلمه الكبير ..وكان موقف العراق الهاشمية ايضا هو إقامة اتحاد بين شرق الأردن وسوريا والعراق وفلسطين - ولبنان اذا امكن - وهو ما كانوا يطلقون عليه اسم مشروع الهلال الخصيب او سوريا الكبرى !

وكان الملك فاروق يرفض فى نفس الوقت ان تقوم على حدود مصر دولة تكون فلسطين فيها تحت حكم الملك عبد الله او فيصل ملك العراق .

وكانت المملكة العربية تفضل ان تنضم فلسطين الى مصر على ان يستولى عليها الهاشميون فى الاردن او العراق!

أما سوريا التى كانت تناضل من أجل تحقيق وجودها واستقلالها فقد اعلنت رفضها لكل هذه المشروعات وكانت تعتمد على مصر والسعودية فى مقاومتها .

وفى رأيى .. أن مشروعات سوريا الكبرى او الهلال الخصيب ، هى مشروعات من بنات أفكار الانجليز حتى يتسنى لهم إحكام سيطرة الأردن والعراق على المنطقة ، وبالتالى يبقى احتلالهم للعالم العربى..

وفى تصور آخر ، هو أن الحكومة البريطانية كانت على يقين من قدرة الصهيونية العالمية على فرض سيطرتها على فلسطين ، وانها لم تجد بديلا عندما يئست تماما من تنفيذ مخططاتها بواسطة الأردن او العراق من اعلان انها سوف تتخلى عن انتدابها لفلسطين يوم ١٥ من مايو

sharif mahmoud

سنة ١٩٤٨..

وقالت بالتالى .. إنها لن تكون مسئولة عن إدارة شئونها بعد هذا التاريخ..

وهكذا كان هذا الإعلان من جانب الحكومة البريطانية نقطة تحول خطيرة فى القضية الفلسطينية ..

●●●

وأعود بذاكرتى الى تلك الأيام لأسجل أن العصابات الصهيونية كانت قد نشطت قبل هذا الاعلان بعدة أشهر بما كانت ترتكبه من مجازر وعمليات تنكيل وحشية لإثارة الرعب فى نفوس الفلسطينيين..

وكانت تقوم بعمليات إرهابية أخرى ضد قوات الانتداب البريطانى نفسه لإثارة الرأى العام البريطانى حتى يطالب حكومته بالغاء إنتدابها على فلسطين ..

وتحاول الوثائق البريطانية أن تقول أن الحكومة البريطانية اتخذت هذا القرار فى مواجهة ما كانت حملات الدعاية الصهيونية تصفه بأنه حالة اضطراب الأمن فى فلسطين ، ولكن الحقيقة ان سلطات الانتداب البريطانى كانت وراء إنشاء كل المنظمات الارهابية التى قامت فى فلسطين ، ويقارن تقرير أعده المرحوم أحمد فراج طايع أول وزير خارجية مصرية بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكان يعمل قبل حرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ قنصلا لمصر فى القدس، وبعث به الى وزارة الخارجية المصرية عن الكفاءة القتالية لكل من المجاهدين العرب وقوة العصابات الصهيونية داخل فلسطين قبل ان تعلن الحكومة البريطانية إلغاء إنتدابها فى يوم ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨..

ان التقرير تاريخه يوم ٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ وفيه يقول ان الفلسطينيين العرب اضطروا فى مواجهة التسليح الحديث لليهود لإعادة تشكيل اللجان القومية للدفاع عن أنفسهم وقاموا بتكوين فصائل المجاهدين من العرب ، وهى التى عرفت بإسم فصائل الجهاد المقدس ، وقد اسندت قيادتها الى المجاهد عبد القادر الحسينى تحت إشراف الهيئة العربية العليا التى يرأسها الحاج أمين الحسينى ويتسلح أفرادها ببنادق قديمة محدودة العدد شحيحة الذخائر بينما اتخذ جيش الإنقاذ العربى الذى يضم متطوعين من البلدان العربية ومعظمهم من المغاربة والليبيين ومنسوريا ولبنان وشرق الأردن بقيادة فوزى القاوقجى وتحت إشراف الجامعة العربية ، وقد اتخذ من مدينة قطنة فى سوريا مقرا له ومركزا لمعسكرات تدريبية

sharif mahmoud

الاسرائيلى ترجع الى عام ١٨٧٨ عندما قامت الحركة الصهيونية العالمية بإنشاء مستعمرة «بتاح تكفاه» اى فاتحة الأمل على مسافة حوالى ١٥ كيلو مترا من الشمال الشرقى من مدينة يافا.

وعاش سكان هذه المستعمرة التى كانت تضم أول موجة من المهاجرين اليهود فى خوف من سكان فلسطين من العرب بحيث كانوا يقبعون داخل منازلهم خشية تعرضهم للاعتداء وقد اضطروا مع مرور الايام لإقامة الحراسة حول المستعمرة لحراستها وفى عام ١٩٠٥ دخلت مشاريع إقامة المستعمرات اليهودية مرحلة جديدة عندما وصلت الى فلسطين الموجة الثانية من المهاجرين اليهود ، وكانت غالبيهم من اليهود الروس وكانوا على درجة من الخبرة فى شئون الدفاع عن النفس ، حيث سبق ان تدربوا على هذا النوع من الدفاع عن انفسهم ضد المذابح التى كانوا يتعرضون لها ايام حكم القياصرة ..

وكان ان نظموا لأنفسهم اول قوات دفاعية يهودية فى الدياسبورا .. أى فى المنفى..

ومرت الأيام لتتطور فكرة التنظيم الدفاعى وإنشاء منظمات تكلف بالدفاع عن كل ماهو يهودى ، وكانت البداية منظمة «هاشومير» اى الحارس اليهودى التى أنشئت فى عام ١٩٠٧ ، وتعتبر أم المنظمات الدفاعية الاسرائيلية ..

وساعدت سلطات الانتداب البريطانى على انشاء المنظمات الدفاعية اليهودية وسرعة تكوينها ..

ويكشف الكتاب السنوى لحكومة الانتداب البريطانى لسنتى ١٩٤٣ - ١٩٤ تحت باب التجنيد ان ٣٠ الف امرأة ورجل من اليهود كانوا يرتدون الملابس العسكرية فى الجيش البريطانى اى تحت قيادة سلطات الانتداب ، وكان من هؤلاء ٢٣ ألفا فى الجيش البريطانى و ٦ الاف فى سلك الحراس ، و٩٠٠ فى قوات البوليس..

وكان هناك أيضا ٢٠ الفا فى فرق الدفاع المدنى كالإسعاف والاطفاء والمواصلات والصحة بالإضافة الى ١٨ ألفا تم تدريبهم ليصبحوا بوليسا مساعدا للاستعانة به عند الحاجة !

والثابت ايضا ان السلطات البريطانية قد قامت بتجنيد جيش الدفاع الاسرائيلى من اليهود وحدهم فى اثناء الحرب العالمية الثانية ليشارك فى عملية الزحف على العراق الى جانب قوات الجيش العربى الاردنى بقيادة الجنرال الانجليزى جلوب باشا لضرب ثورة رشيد عالى الكيلانى فى منتصف عام ١٩٤١..

●●●

sharif mahmoud

وأنقل عن كتاب الصديق محمد وحيد الدالى ابن اخت المرحوم عبد الرحمن عزام وكان يعمل سكرتيرا خاصا له وكاتما لاسراره وهو الكتاب الذى نشره منذ عدة سنوات بعنوان : أسرار الجامعة العربية و«عبد الرحمن عزام» قوله بالحرف الواحد:

- اثناء زيارة عبد الرحمن عزام امين الجامعة لعمان فى ٢٦ من ابريل سنة ١٩٤٨ لمباحثات مع الملك عبد الله بشأن الموقف فى فلسطين قال الملك عبد الله لعزام إنه لايستطيع تنفيذ قرار مجلس الجامعة العربية بشأن إدخال الجش الاردنى الى فلسطين لأنه لايثق فى الدول العربية ..

وقال .. انه يعلم ان الدول العربية بعد تحرير فلسطين سوف تتنافس كل منها على ضمها اليها..

ثم استطرد قائلا بالحرف الواحد:

- كيف أوافق على ذلك ، ففاروق التركى يحكم مصر، وابن السعود يحكم الحجاز ونجد ،وأولاد اخينا فيصل يحكمون العراق وشكرى القوتلى يحكم سوريا وانا الذى ضحيت بكل شيء من اجل القضية العربية أحكم تلك الرقعة الصغيرة من الصحراء الفقيرة .. ثم تريدنى بعد ذلك ان اشترك مع هؤلاء فى الحرب .. كلا .. لن أشترك..!

ويقول محمد وحيد الدالى ايضا:

- بسرعة فهم عبد الرحمن عزام مايقصده الملك عبد الله الذى كانت عقدته انه يحكم إمارة صغيرة فبادر يقول له : أنا اعرف مقصدك .. شوف ياسيدنا .. إذا اشتركت فى حرب فلسطين وانقذناها من اليهود فأقسم لك بشرفى أن أقف بجانبك ضد فاروق وضد الجميع لأتوجك ملكا على فلسطين والأردن ولن يأخذها غيرك .. أقسم لك بالله .. المهم الآن أن نخلص فلسطين من العدو وبعد ذلك تصبح عربية ولن يتولاها غيرك.

وارتاح الملك عبد الله الى كلام عبد الرحمن عزام وبعد ان صمت برهة قال: أنت رجل شريف ياعزام .. وأنا أثق فى كلامك ومادمت عند وعدك ، فأنا أقبل الاشتراك فى الحرب والله معنا.

وهنا تعانق الرجلان ، ثم كانت المفاجأة عندما سأل عزام الملك :

- مارأيك فى ان يتولى جلوب باشا قيادة الجيش الأردنى مباشرة .

قال الملك عبدالله :

sharif mahmoud

- انا موافق وعليك أن تعرض الموضوع على جلوب باشا بنفسك..

وعرف أن عزام تحدث إلى جلوب باشا فى هذا الشأن ... ولكن الرجل اعتذر!

●●●

هذا ماقاله الصديق محمد وحيد الدالى فى كتابه وفى رأيى أنه كان دقيقا فى روايته ، وأذكر اننى سألت مرة المرحوم عبد الرحمن عزام عن الحقيقة حول هذا الإقتراح فأبتسم وهو يقول لى حديثا لم يسمح بنشرة فى تلك الأيام:

- لم يكن هدفى تكريم جلوب باشا ولكننى أردت من وراء هذا الإقتراح توريطه هو والحكومة البريطانية التى لايمكن ان تسمح بهزيمة قائد إنجليزى مهما كانت الظروف..!

قلت له : ولكن جلوب باشا هو القائد الفعلى للجيش الاردنى ؟..

قال الأمين العام للجامعة :

- هذا صحيح وهو أيضا صاحب نفوذ كبير فى الأردن ولذلك كان أهم ماجريت وراءه هو أن أضمن عدم تآمر القوات البريطانية ضد الجيوش العربية..!

وتمر الأيام ليكشف السير كيرك برايد - الذى كان مندوبا ساميا لبريطانيا فى شرق الاردن - فى مذكراته السياسية بعض تفاصيل الاقتراح الذى عرضه المرحوم عبد الرحمن عزام على الجنرال جلوب باشا فهو يقول بالحرف الواحد:

- عندما اجتمعت عبد الرحمن عزام فى عمان قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ عرفت منه انه عرض على جلوب باشا ان يتولى قيادة جميع القوات العربية التى تقرر دخولها الى فلسطين ولم يعرف فى ذلك الوقت عما اذا كان هذا الاقتراح من جانب عزام موحى به من الدول العربية الاخرى او أنه مبادرة من جانبه ... وفى رأيى ان عزام لم يكن يعنى مايقول . وكذلك كان اعتقاد جلوب باشا الذى كان فى رأيه ان عزام لم يكن مخلصا فى اقتراحه..

واستطرد كيرك برايد يقول:

- فى رأيى ان عزام اراد أن يحصل على تأكيدات بأن القوات البريطانية فى شمال سيناء لن تقوم باعتراض تقهقر القوات المصرية الى قناة السويس اذا ماحتاج الأمر ذلك..!

وهكذا كانت تقديرات الإنجليز أن مؤامرتهم التى خططوا لها بالاتفاق مع الحركة الصهيونية العالية على فلسطين ستنجح وأن الجيش المصرى قد يضطر للإنسحاب فى إتجاه قناة السويس!

●●●

sharif mahmoud

مرت عدة ايام ، ثم عقد مجلس الجامعة العربية إجتماعا فى دمشق فى يوم ١٠ من مايو سنة ١٩٤٨ لإقرار الخطة النهائية لدخول قوات الدول العربية العسكرية الى فلسطين ..

وكنت قد إلتحقت كمراسل حربى مع قوات المتطوعين المصريين الذين كانوا قد تجمعوا فى العريش ثم دخلت أى فلسطين فى يوم ٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٨ تحت قيادة الشهيد القائمقام أحمد عبد العزيز ولم يمنع ذلك من أن أعرف أن مجلس الجامعة العربية عقد اجتماعا تاريخيا فى يوم ٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٨ فى عمان ، وأنه اتخذ فى هذا الاجتماع قرارا بإسناد القيادة العامة للجيوش العربية الى الملك عبد الله..

وكانت بعض الدول الأعضاء فى الجامعة قد عارضت هذا التعيين بشدة ، ولكنها اضطرت فى النهاية للموافقة على القرار حيث كان موقف الجيش الأردنى فى وضع افضل من بقية الجيوش العربية ، فقد كانت بعض قواته موجودة فعلا منذ أيام الانتداب داخل فلسطين للمحافظة على الأمن والنظام ..

كما قرر مجلس الجامعة العربية الموافقة على تعيين قائد الجيش العراقى فى تلك الأيام وهو اللواء نور الدين محمود (الفريق فيما بعد) لإدارة التحركات وتوجيه الجيوش وقيادتها على أن يكون وكيلا للقائد العام اى للملك عبد الله .

وشهدت بغداد اجتماعا لمجلس الوزراء العراقى برئاسة الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق فى يوم ٩ من مايو سنة ١٩٤٨ اى قبل يوم ١٥ من مايو المحدد لبدء العمليات العسكرية بخمسة أيام فقط وشهد هذا الاجتماع جميل مراد بك رئيس الحكومة السورية ورياض الصلح بك رئيس الحكومة اللبنانية ، وتأييد فى هذا الاجتماع قرار تعيين الملك عبد الله قائدا عاما واللواء نور الدين محمود وكيلا عنه وعرف أن اجتماعا عقد فى القصر الجمهورى فى دمشق فى اليوم التالى .. اى فى يوم ١٠ من مايو سنة ١٩٤٨ وقد شهدته غالبية الذين اشتركوا فى اجتماع مجلس الوزراء العراقى ، كما شهده من العسكريين اللواء نور الدين محمود واللواء عبد القادر الجندى عن شرق الأردن والمقدم شوكت شقير عن لبنان والعقيد محمود الهندى عن سوريا ولم يحضره أحد عن مصر .. أو السعودية ..

وفى هذا الاجتماع طلب السياسيون الى العسكريين وضع خطة نهائية للعمليات العسكرية عند

sharif mahmoud

دخول قوات الدول العربية الى فلسطين !

كان الاتفاق على ان تدخل الجيوش العربية فلسطين للمحافظة على أرواح العرب من الفلسطنيين وممتلكاتهم..

وأنقل عن مذكرات المرحوم حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى المصرى قوله ان خلافا كان قد وقع بين الملك فاروق وحكومة النقراشى باشا حول اشتراك الجيش المصرى فى الحرب ، فقد كان الملك فاروق متحمسا لهذا القرار بينما كان النقراشى باشا يعترض على مشاركة القوات المصرية بحجة وجود القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس خلف خط تقدم القوات المصرية ..

ولعب ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى دورا هاما فى إقناع النقراشى باشا بالموافقة على اشتراك القوات المصرية فى الحرب .

وكانت القاهرة قد شهدت فى الأسبوع الأول من شهر أبريل سنة ١٩٤٨، أى قبل الموعد المحدد لدخول القوات المسلحة العربية الى فلسطين أزمة كانت اخطر الازمات التى واجهت حكومة النقراشى باشا ، وهى ازمة ضباط الشرطة الذين رفعوا الى الملك فاروق مذكرة تتضمن بعض المطالب ، ولما لم تستجب الحكومة الى تلك المطالب أعلنوا إضرابهم عن القيام بواجباتهم وهم حفظة الامن فى البلاد ، واضطر الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الى إنزال قوات من الجيش لحفظ الامن فى القاهرة والاسكندرية ثم تدخل الملك فأمر بالاستجابة الى الكثير من مطالب ضباط الشرطة بالرغم من معارضة رئيس الوزراء

ولعلها اول مرة التى يعرف فيها ان موقف الملك فاروق من ازمة ضباط الشرطة أصابت المرحوم النقراشى باشا بإحباط شديد بالدرجة التى جعلته يفكر فى الاستقالة واعتزال السياسة ولكن زملاءه من الوزراء وفى الحزب السعدى الذى كان يتزعمه نجحوا فى إقناعه بالعدول عن عزمه !

وكان المرحوم محمود فهمى النقراشى قد تولى رئاسة الحكومة على أثر اغتيال زميله فى الكفاح احمد ماهر باشا داخل مبنى البرلمان فى يوم ٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٥ وبالتالى فقد كان رئيسا للحكومة المصرية عند اعلان مولد الجامعة العربية فى يوم ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٥

ولم يكن الملك فاروق مستريحا لتعيين النقراشى باشا رئيسا للحكومة

وأنقل من أوراقى القديمة ان فاروق قال للدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ

sharif mahmoud

عقب اغتيال احمد ماهر باشا:

- اخشى ان يكون النقراشى ممن لايسهل التعاون معهم ، فقد حدث بينى وبين الدكتور ماهر الوان مختلفة من الاحتكاك فى أول عهده برئاسة الحكومة ، ثم تفاهمنا تماما وصرنا صديقين اما النقراشى فلا أظن ان عنده من المرونة التى كانت عند ماهر ..

وكان فى رأى الملك ان يبقى تشكيل الوزارة الجديدة كماهو، وان يصدر قرارا فقط بتعيين النقراشى رئيسا للحكومة ، وكما قال :

- رئيس الوزراء مات ويكفى أن يعين النقراشى بدلا له..

وأجاب الدكتور محمد حسين هيكل على فاروق قائلا:

- الوزارة سقطت بوفاة أحمد ماهر باشا ولم يبق لها وجود والتقاليد الدستورية تقضى بأن يعهد الملك الى من يؤلف الوزارة بإعادة تشكيلها من جديد .

وانضم محمود حسن باشا الذى كان رئيسا لهيئة قضايا الحكومة الى رأى هيكل باشا وكذلك أيده بقية الوزراء..

واضطر الملك فاروق لتكليف النقراشى باشا بتشكيل الحكومة التى وافقت على اشتراك قوات الجيش المصرى فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وقال الملك فى أمر تكليفه للنقراشى باشا بتشكيل الحكومة:

عزيزى صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا أحزننى حادث الاعتداء الفظيع الذى أودى بحياة المغفور له احمد ماهر باشا ولما عهدناه فيكم اصدرنا امرنا اليكم للأخذ فى تأليف هيئة الوزارة وعرض المشروع علينا

ورد النقراشى على الملك قائلا:

لست أخفى يامولاى أنها مهمة شاقة وقد رأيت ان اشرك معى فى الوزارة حضرات الوزراء الذين اشتركوا مع المغفور له احمد ماهر باشا فى وزارته ..

●●●

وأنقل عن مذكرات المرحوم حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى المصرى قوله : إن خلافا وقع بين الملك فاروق وحكومة النقراشى باشا حول قرار اشتراك الجيش المصرى فى حرب فلسطين فقد كان الملك متحمسا لهذا القرار ، بينما كان النقراشى يعترض على اى مشاركة

sharif mahmoud

وقامت باحتلال جميع المدن الفلسطينية فى الطريق وتركت وراءها بعض المستعمرات الإسرائيلية كجيوب كان من المقرر تصفيتها بعد ان تستقر الأمور فى فلسطين .

وبمعنى آخر تركت هذه المستعمرات تحت الحصار..

وقام الجيش الأردنى الذى كانت بعض قواته داخل الأراضى الفلسطينية لمساعدة قوات البوليس الفلسطينى بإحتلال عدد من المدن الفلسطينية ، وتقدمت قواته الى بلدتى الله والرملة اللتين تقعان فى نهاية خط مشروع تقسيم فلسطين الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى يوم ٢٩ من نوفمبر سنه ١٩٤٧، تم توقفت فجأة عن التقدم..

أما الجيش العراقى فقد تقدم داخل الأراضى الفلسطينية إلى مكان يطلق عليه اسم كوكب الهوى، ثم توقف هو الأخر عن القيام بأى عمليات عسكرية ، فى الوقت الذى لم تكن مراكز توقفه تبعد عن شاطئ البحر المتوسط أكثر من ١٢ ميلا..

وكما قال لى أحد العسكرين العرب فى تلك الأيام:

ـ كانت مدينة ناتانيا الساحلية تقع تحت سيطرة مرمى مدفعية الجيش العراقى وكان الوصول إلى شاطئ البحر يعنى قطع كل اتصال الواحدات اليهودية فى شمال فلسطين بجنوبها..

وأخذ قواد الجيش العراقى ينتحلون الاعذار بشتى الطرق ، ومنها أنهم سيواصلون الزحف ولكن بعد أن تصل إليهم كميات جديدة من الذخائر...

واضطر بعض الضباط العراقيين للكشف عن الحقيقية، وهم يقولون بصراحة: ماكو أوامر أى أنهم لم يتلقوا أى تعليمات بمواصلة التقدم..

وأصبحت ماكو أوامر نكتة يرددونها فى العالم العربى تعبيرا من موقف الجيش العراقى..

وجاء الأمير عبد الإله العربى، على عرش العراق فى تلك الأيام لزيارة القوات العراقية ، ولما سئل عن أسباب توقف الجيش العراقى على مواصلة التقدم تهرب من الأجابة، ولم يقل شيئاً!!

ومع تقدم الجيش السورى فى الجبهة الشمالية أمر الرئيس شكرى القوتلى بترقية حسنى الزعيم الى رتبة زعيم وتعيينه قائدا للجبهة السورية..

وتقدمت القوات السورية الى مدينة صفد داخل الاراضى الفلسطينية، وكان أداؤها رائعا بالرغم من حداثة إنشاء الجيش الوطنى السورى بعد الاستقلال..

ولعب سلاح الطيران المصرى دورا كبيرا فى أثناء المعارك، وحدث أن هاجمت الطائرات

sharif mahmoud

المصرية أحد المطارات الإنجليزية على سبيل الخطأ..

كان تصورها أنها تقوم بضرب أحد المطارات الاسرائيلية، ونجحت الطائرات المصرية فى تدمير عدد من الطائرات الانجليزية..

وعادت الطائرات المصرية الى قواعداها للتزود بالوقود حتى تواصل قصفها لنفس المطار..

وأعدت قيادة المطار الانجليزى خطة للتربص بالطائرات المصرية ، حيث حلقت مجموعة من الطائرات الانجليزية الى ارتفاع كبير حتى اذا ما ظهرت الطائرات المصرية انقضت الطائرات الانجليزية عليهاوأسقطت خمس طائرات منها..

وكانت أزمة بين القاهرة ولندن فى اول أسبوع بعد دخول القوات المصرية الى فلسطين..

واشتركت القوات السعودية الى جانب القوات المصرية فى الحرب..

أما اليمن، فقد كانت تمر بأيام عصيبة من انقلاب ابن الوزير الذى ذهب ضحيته الايام يحيى بن حميد..

وأرسل الامام أحمد إمام اليمن الجديد الى المرحوم عبد الرحمن عزام يعتذر عن إمكانية المشاركة بقوات عسكرية..

وقال انه جاهز للمشاركة فى أى مهمة يكلف بها..

وكان تصور الأمام ان طرد اليهود من اليمن يمكن ان يفيد فى المعركة..

وعندما قامت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان عدد اليهود الذين كانوا يعيشون فى اليمن يتراوح مابين ٦٠و٧٠ الف يهودى..

وكان غالبية هؤلاء اليهود يعيشون فى حى اشتهر باسم قاع اليهود فى مدينة صنعاء.. وكان لهذا الحى باب خاص فى الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة، وهدمت بعد الثورة اليمنية، وكان له باب آخر يفتح على المدينة..

واستطاع الامام بأسلوب بسيط أن يجبر آلاف اليهود على بيع ممتلكاتهم بأرخص الأثمان، والهجرة الى عدن ومنها الى إسرائيل..

وكما سمعت أصدر الامام فتوى بأن كل من يتعامل مع الصهيونى كافر ..!

وكانت هذه الفتوى كافية لأن يقرر آلاف اليهود من سكان اليمن الهجرة إلى إسرائيل!

وتسأل عن خسائر التى أصابت القوات العربية فى أثناء حرب فلسطين سنه ١٩٤٨ لتتضارب

sharif mahmoud

الارقام، ولكن المرحوم صالح مسعود بوصير أول وزير خارجية فى حكومة الثورة الليبية، وكان قد حصل على درجة الماجستير من جامعة الأزهر عن رسالته عن قضية فلسطين يقول:

ـ بلغ شهداء الجيش المصرى حوالى مائة ضابط و٨٦١ جنديا بالإضافة الى ٢٠٠ شهيد مصريا ليسوا من المجندين.. أى ان المجموع ١١٦١ فردا.. بينما بلغ عدد شهداء الجيش الأردنى عشرة ضباط و٣٥٢ صف ضابط وجندى و٢٠٠ ليسوا فى سلك الجندية فيكون المجموع، ٥٦٢ فردا..

وتقدر خسائر الجيش السورى بحوالى ٥٤ ضابطا و٣٠٧ أفراد من الرتب الأخرى ، يضاف إليهم ١٥٠ شهيدا ليسوا من العسكريين فيكون المجموع ٥١١ فردا، وبلغ عدد شهداء الجيش اللبنانى ١١ منهم ضابط واحد و١٥٠ فردا ليسوا فى سلك الجندية.. أى ان مجموع الخسائر ١٦١ فردا..

وبلغت خسائر الجيش العراقى ١٠ ضابط و١٨٩ صف ضابط وجندى و٢٠٠ ليسوا من العسكريين، وبالتالى فإن مجموع الخسائر العراقية ٣٩٩ فردا .

أما خسائر الجيش السعودى فقد بلغت ١٧٣ منهم أربعة ضباط و٦٤ رتبا أخرى و١٠٥ ليسوا فى سلك الجندية..

وبلغ عدد شهداء جيش الإنقاذ، وهو خليط من المتطوعين الذين يمثلون مختلف البلاد العربية ٥١٢ شهيدا يضاف إليهم ٢١ يمنيا و١٥ ليبيا و١٢ من تونس والجزائر والمغرب، بينما بلغ عدد شهداء شعب فى فلسطين أثناء حرب سنه ١٩٤٨ حوالى ١٣٠٥٠ شهيدا..!

ولعلها أول مرة التى يعرف فيها أن غالبية الضباط السودانيين الذين كانوا قد تطوعوا للحرب فى فلسطين، كانوا قد تقدموا باستقالاتهم وقد استشهد منهم أربعة فى أثناء العمليات الحربية..

وعاد الضباط السودانيون الى الخرطوم بعد انتهاء الحرب لترفض الحكومة السودانية إعادتهم مرة أخرى الى القوات المسلحة السودانية..

وأرسل الفريق محمد حيدر مذكرة الى مجلس الوزراء يقترح فيها الموافقة على مبدأ تعيين هؤلاء الضباط فى عدد من الوزارات المصرية..

إن هذه المذكرة تحمل رقم تاريخ ١٤ من مايو سنة ١٩٤٩، وهى محفوظة بالملف رقم ٦٤ـ ٨/٨.. وتحمل رقم ٢٦/١/ ب ح /٨٣/٢٣ ، وقد وافق مجلس الوزراء على تعيين عدد من هؤلاء الضباط السودانيين فى وظائف الحكومة المصرية..! ■

ماكو.. أوامر

● توقف تقدم قوات الجيش العراقى أثناء حرب سنة ١٩٤٨ عند نقطة تبعد ١٢ كيلو متراً من شاطىء البحر بحجة.. ماكو أوامر للتقدم.. أى لم يصلنا الأمر، وجاء الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق لتفقد قوات الجيش العراقى وشاهد بمنظاره المكبر مستعمرة ناتانيا عند شاطىء البحر، وتأكد أن القوات العراقية توقفت عند خط التقسيم كما اقترحته الأمم المتحدة، ورفضته العرب!

● صورة عمرها ٤٧ سنة للأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق وهو يشاهد شاطىء البحر الأبيض بمنظاره المكبر عند نقطة توقف القوات العراقية عن التقدم.

تصوير المرحوم الفنان محمد يوسف

sharif mahmoud

فاروق ملكا على سوريا..!

● الملك فاروق مع الزعيم حسنى الزعيم أثناء اللقاء بينهما فى انشاص واتفاقهما على ان يصبح فـاروق ملكاً على سـوريا والزعـيم حسنى الزعيم نائبـاً للرئيس فـيهـا..

الفصل الرابع عشر

14

- نورى السعيد يطير الى دمشق لإقناع حسنى بالتحالف معه..!
- ماذا قال عزام لوفد الانقلاب عن أخطار التقارب مع العراق..؟
- حسنى الزعيم يوافق: فاروق ملكا وهو نائب الملك فى سوريا..!

sharif mahmoud

ووصل الشيخ يوسف ياسين السكرتير الخاص للملك عبد العزيز والذى أصبح فيما بعد وزير دولة للشئون الخارجية الى القاهرة فى تلك الأيام ليعقد مع الامين العام للجامعة العربية عدة إجتماعات مغلقة ..

وعرف أن المرحوم عبد الرحمن عزام أوعز إليه بالسفر إلى سوريا ، وانه طلب إليه ان ينقل علي لسانه تحذيرا إلى الرئيس السورى بأن هناك مؤامرة تدبر فى الخفاء من الداخل ومن الخارج ضد نظام حكمه ، وأن عليه أن يكون على جانب كبير من الحذر حتى يتمكن من القضاء على المؤامرة في مهدها ..

وطار الشيخ يوسف ياسين إلى دمشق حاملا رسالة عزام ، ثم عاد إلى القاهرة ليقول أن الرئيس شكرى القوتلى إستبعد أن يحدث أى شيء يمكن ان يهدد نظام حكمه..

ولم ييأس المرحوم عبد الرحمن عزام ، وعاود الإتصال بالرئيس السورى شكرى القوتلى ، وكما عرفت فى تلك الايام ، لقد إقترح عليه ان يعتكف فى مزرعة كان الرئيس السورى يمتلكها فى ناحية الزبدانى فى سوريا لمدة شهرين او ثلاثة أشهر بحجة الاستجمام والراحة على ان يعهد بالحكم إلى حكومة قوية..

وقال له صراحة أن هناك من يتهم الحكومات السورية بعد الإستقلال بالفساد وإستغلال النفوذ ..

ولم يقبل الرئيس شكرى القوتلى العمل بنصيحة المرحوم عزام ، واستمر فى تنفيذ سياسته التى كانت تعمل على تواجد حكومات ضعيفة حتى يتسنى له السيطرة عليها..

●●●

ولكن فجأة وقع الإنقلاب فى يوم ٣ إبريل سنة ١٩٤٩ ، ووجد الرئيس شكرى القوتلى نفسه معتقلا فى سجن المزة ..

وأذكر اننى كنت فى مكتب المرحوم عبد الرحمن عزام عندما تلقى الخبر الذى أذاعته احدى وكالات الأنباء عن وقوع الانقلاب فى دمشق .

ولم يتمالك المرحوم عزام نفسه من الدهشة عندما عرف إسم قائد الأنقلاب ..

قال أن الرئيس شكرى القوتلى كانت ثقته كبيرة بالزعيم حسنى الزعيم ، وكان هو الذى إختاره ليكون قائدا للجيش السورى ، وأن آخرما كان يتصوره هو أن لايكون قائد الانقلاب بارا

sharif mahmoud

بالرجل الذى عينه فى هذا المنصب..

ولم ينتظر المرحوم عزام، وبادر بالاتصال بالمرحوم ابراهيم عبد الهادى باشا ، وكان قد عين رئيسا للوزراء على أثر إغتيال المرحوم محمود فهمى النقواشى ، باشا عند مدخل مبنى وزارة الداخلية القديم..

قال له ان علينا ان نتدارس الموقف ، وان نعمل على الافراج عن الرئيس شكرى القوتلى بسرعة.!

وتوالت إجتماعات الامين العام للجامعة العربية مع عدد من المسؤلين فى القاهرة ، وأيضا مع كبار الشخصيات السورية التى كانت قد وصلت الى القاهرة، وكان على رأسهم جميل مردم بك..

وكانت له اجتماعات أخرى مع الشيخ ابراهيم السليمان رئيس ديوان الأمير فيصل (الملك فيصل) وكان يشغل منصب وزير الخارجية السعودية..

وعرف ان الأمير فيصل كان قد كلف رئيس ديوانه بالسفر إلى القاهرة على عجل لمتابعة تطورات الموقف فى سوريا مع المرحوم عزام..

وبدأت عملية تنسيق للعمل بين القاهرة والرياض لإنقاذ الأوضاع فى سوريا..

وأثارت زيارة قام بها نورى السعيد إلى دمشق فى يوم ٩ إبريل سنة ١٩٤٨ علامات استفهام كثيرة لدى السؤولين فى القاعرة والرياض..

وقالت بعض التقارير أن نورى السعيد عرض على حسنى الزعيم صراحة الاشتراك فى حلف عسكرى يضم سوريا والعراق وشرق الأردن!

وأذكر ان المرحوم عبد الرحمن عزام كلف المرحوم الدكتور محمود عزمى الذى كان يشرف على أبواب السياسية الخارجية فى جريدة الأهرام، وأصبح بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ مندوبا دائما لمصر فى الأمم المتحدة،بالسفر إلى دمشق للتعرف على حقيقة الأوضاع فيها..

وسافر الدكتور محمود عزمى فعلا الى دمشق فى يوم ٦ إبريل سنة ١٩٤٩، أى بعد ثلاثة أيام من وقوع الأنقلاب،وأمضى فيها اسبوعا كاملا عاد بعده إلى القاهرة يحمل تقريرا هاما إلى الأمين العام للجامعة العربية..

قال أن العراق وشرق الأردن يعملان على إقناع الزعيم حسنى الزعيم للإنضمام إلى تكتل

sharif mahmoud

تحمى البلاد من المؤامرات الداخلية والخارجية.وان تقوية هذا الجيش العربى لن تكون لها ثمرتها إلا اذا قابلتها تقوية مماثلة للجيش المصرى بعد تجربة حرب فلسطين الطاحنة..

وقال لهما أن مصر شرعت فعلا في بناء جيشها وزيادة عدده وعداته،وان من سياسة هذا الجيش مسائدة الجيش السوري باعتباره الجيش الحليف الذى يستطيع دائما ان يشارك فى معارك فلسطين.!

وتكلم رياض الكيلاني ليقول بأنه يؤيد كل ما ذهب إليه عزام باشا..

وقال ان قيادة الجيش السورى تلقت برقية من قيادة الجيش المصرى فى يوم ٤ إبريل سنة ١٩٤٩،أى فى اليوم التالى للانقلاب تعرض فيها استعدادها للتعاون الكامل مع دمشق وتزويد قواتها بالفنيين العسكريين والمعدات الحديثة بالاضافة الى استعدادها لإقراض الجيش السورى أربعة ملايين من الجنيهات لتوفير المعدات له..

ثم تكلم عن الحكومات السورية التى أضعفت الجيش،وقال ان لدى الزعيم حسنى الزعيم وثائق هامة حول هذا الموضوع، وهى من أسرار الدولة العليا، ولكنها ستوضع بين يدى عزام باشا للإطلاع عليها فى أول فرصة يسافر فيها إلى دمشق..

ثم استطرد قائلا:اننى ادعوك ياباشا لزيارة دمشق لتقف بنفسك على حقائق الأمور..

ثم تحدث المرحوم عزام عن قوة مصر وهيبتها وسمعتها الدولية مما يعتبر إيحاء مباشرا لعضوى الوفد السورى بان التعاون مع مصر أجدى من التعاون مع غيرها من الدول العربية مثل العراق أو الأردن..

وكان هدف المرحوم عزام هو قطع الطريق أمام أى تفكير لإحياء مشاريع الهلال الخصيب أو سوريا الكبرى..

ومما قاله المرحوم عزام أيضا:ان مصر ليس لها مصلحة ذاتية أو أطماع شخصية فى العالم العربى،وان غايتها هى المحافظة على استقلال سوريا.. ثم اخذ يقارن بين موقف مصر، وموقف العراق، وهو يقول:

- وعلى العكس فإن أى تقارب بين سوريا والعراق وما يتخبط فيه ويتقاذفه من تدهور واضطراب سياسى واقتصادى يعنى أن سوريا تسعى الى الخراب،وأن أى تقارب بين البلدين لن تكون له أدنى فائدة..

sharif mahmoud

وقال عن الحالة فى الأردن بالحرف الواحد:

- ان عمان تعمل بوحى من بريطانيا،وأن خوفى على سوريا جعلنى لا أرتضى لدمشق المصير الذى ينتظر العراق أو الأردن!

وأثار حديث المرحوم عزام مشاعر رياض الكيلانى فأخذ يستعرض مدى ما يمكن ان يكون عليه التعاون بين الجيشين المصرى والسورى..

وكان رد المرحوم عزام عليه بالحرف الواحد:

- أن الجيش المصرى يريد أن يتعاون تعاونا كاملا مع الجيش السورى، وقد كان فى نيتى تبنى مشروعا لتشكيل مجلس دفاع عربى مشترك يضم قادة الجيوش العربية تحت إشراف الجامعة العربية للمساعدة فى بناء هذه الجيوش على اساس سليم ولتجهيز الجيوش العربية بأحدث الاسلحة حتى تكون على استعداد للعمل فى فلسطين خلال عام أو عامين.!

ثم تحدث المرحوم عزام بصراحة كاملة عن تخاذل بعض الجيوش العربية في حرب فلسطين فقال:

- مات من الجيش العراقى فى الحرب سبعة أفراد من قوته التى قدرت بعشرة آلاف جندى وضابط.!

وعقب على ذلك قائلا:

- هل هذه دولة يرجى منها الخير؟

ثم استطرد قائلا:

- فى نفس الوقت بلغت خسائر الجيش المصرى عشرة آلاف جندى وضابط،وقد تعلم المصريون بسبب هذه الآلاف من الشهداء كيف يبنون جيشا قويا.!

وعرف ان نزيه فنصه عاد يسأل الأمين العام للجامعة العربية عن موعد اعتراف مصر والجامعة العربية بنظام الحكم الجديد فى سوريا..

وكان رد المرحوم عزام عليه:

- أعتقد ان ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس وزراء أعد خطابا رقيقا،وقد أطلعنى على مسودته، ويعتبر هذا الخطاب بمثابة اعتراف ضمنى،أما بشأن الأمانة العامه فهى فى إنتظار ما يقرره مجلس الجامعة، ولكن هذا لا يمنعها من أن ترسل مذكراتها إلى الحكومة السورية عن

sharif mahmoud

طريق مغوضيتها فى القاهرة.!

وهنا طلب نزيه فنصه من الأمين العام الاستغناء عن خدمات أحد الموظفين السوريين من العاملين فى الأمانه العامة،وهو السيد زهير قبانى قائلا: انه سورى، وقد تهجم على شخص الزعيم حسنى الزعيم بأقوال لاتليق، كما أن له علاقات وثيقة بجميل مروم بك الذى كان يعيش فى القاهرة..

واعترض المرحوم عبد الرحمن عزام على هذا الطلب، قائلا أن لوائح الجامعة لاتجيز فصل الموظف المشار إليه من أجل مثل هذا السبب، لأن هذا الموظف قطع كل صلته بسوريا كمواطن سورى بعد تعينه بالامانة العامة للجامعة العربية،وهو يعمل فيها لصالح كل الدول العربية.!

ولعلهما أول مرة التى يعرف فيها أن الزعيم حسنى الزعيم كان يعرف زهير قبانى معرفة شخصية،وقد أثارة أن يسمع ان زهير قال عنه فى أحد مجالسه فى القاهرة بالحرف الواحد:

- ان حسنى الزعيم لم يكن يملك ما يشترى به بدلة عسكرية جديدة عندما أختاره الرئيس القوتلى للعمل رئيسا للجيش السورى، ولما علم الرئيس السورى بذلك،أصدر تعليماته إلى زهير قبانى بأن يشترى له هذه البدلة الجديدة من جيبه الخاص.أى من جيب رئيس الجمهورية.!

وأثناء اجتماع المرحوم عزام مع عضوى الوفد السورى أثير ايضا موقف الانقلاب السورى من جميل مروم بك..

وكانت الاذاعة السورية قد ذكرت انه سافر الى عمان.. وقالت فى تصريح على لسان الزعيم حسنى الزعيم أن جميل مروم بك سيتم تقديمه الى المحاكمة.!

وكان رأى المرحوم عزام ان جميل مروم بك من أصدقاء الزعيم حسنى الزعيم، وقال أن مروم بك دافع عنه أمامه، كما ان عواطفه مع الانقلاب العسكرى فى دمشق..

وكان رد نزيه فنصه : لابد أن يكون ما أذيع خطأ من الاذاعة السورية..!

ومرة أخرى أثار المرحوم عزام موقف الانقلاب السورى من الرئيس شكرى القوتلى،عندما قال بالحرف الواحد:

- ان شكرى القوتلى قدم لسوريا خدمات جليلة،وستبقى أثاره حيه ولن تزول،وهو إبن بار ومخلص لسوريا،ولذلك فإنى أطالب بالأفراج عنه لاسيما بعد أن أذيع انه يعامل معاملة لاتليق بكرامته وسنه.!

sharif mahmoud

وكان رد نزيه فنصه :ان الافراج عن شكرى القوتلى يعني قيام حرب أهلية،لأنه سيتصل بالسوريين فتحدث اضطرابات نتيجة ذلك!

●●●

توجه المرحوم عزام ظهر يوم الاحد ١٧ إبريل سنه ١٩٤٩ إلى قصر عابدين حيث إستقبله الملك فاروق، واستغرقت مقابلته مع الملك حوالى الساعة،وبعدها إستقل سيارة كانت فى إنتظاره لتقله الى مطار الماظة الحربى..

وفى المطار كانت فى إنتظار الأمين العام للجامعة طائرة عسكرية مصرية لتحمله إلى دمشق..

وأقلعت الطائرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر وكانت تحمل مع الأمين العام عضوى البعثة السورية أى رياض الكيلانى ونزيه فنصه..

كما كان من بين ركابها أيضا القائمقام أى العقيد محمد يوسف رئيس قسم الشئوات العربية بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية والدبلوماسى حسن كامل (السفير فيما بعد)،وكان فى درجة سكرتير أول يوزارة الخارجية المصرية، وكان مكلفا بدراسة الحالة فى سوريا وكتابة تقرير عن تطورات الموقف فيها لحساب وزارة الخارجية المصرية..

وسافر عليها أيضا الصديق محمد وحيد الدالى السكرتير الخاص للأمين العام ركاتم أسراره ووصلت الطائرة إلى مطار المزة فى دمشق حيث إستقبل المرحوم عبد الرحمن عزام إستقبالا رسميا بصفته مبعوثا مصريا قبل ان يكون أمينا عاما للجامعة العربية..

ويقول محمد وحيد الدالى فى مذكراته السياسية التى نشرها فى كتابه عن اسرار الجامعة العربية:

ـ لاحظت ان فرقة الموسيقى التى كانت فى مطار المزة قد عزفت السلامين المصرى والسورى وحدهما..

وبعد استراحة قصيرة إستقل المرحوم عزام السيارة إلى مبنى دار المفوضية المصرية فى دمشق، وقد لوحظ تأثره الشديد عند مرور السيارة امام مستشفى سجن المزة حيث كان الرئيس السورى شكرى القوتلى معتقلا فى هذه المستشفى.!

وجاء الامير عادل أرسلان وزير الخارجية السورى فى حكومة إنقلاب الزعيم حسنى الزعيم الى دار المفوضية المصرية بعد وصول المرحوم عزام اليها بدقائق حيث دار حديث سريع بينهما

sharif mahmoud

إستقلا الأثنان على أثره السيارة الى مبنى الاركان أى قيادة الجيش حيث كان الزعيم حسنى الزعيم فى إنتظارهما..

وعندما دخل عزام على قائد الانقلاب السورى كان نذير فنصه ورياض الكيلانى يجلسان معه..

واستغرق اللقاء الاول حوالى ثلث الساعة،ثم تكررت اللقاءات بين المرحوم عزام،والزعيم حسنى الزعيم..

وأنتهى الرأى على موافقة قائد الانقلاب على المحافظة على حياة شكرى القوتلى والافراج عنه.. وكان شرط الزعيم حسنى الزعيم ان يغادر الرئيس القوتلى سوريا ليعيش فى إحدى الدولة الاوربية.!

واتفق عزام مع الزعيم حسنى الزعيم أثناد أحد اللقاءات بينهما على ترتيبات سفر الزعيم الى القاهرة للقاء الملك فاروق

وعاء المرحوم عزام إلى القاهرة بعد ظهر يوم الخميس،أى فى يوم ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٩..

وكان الزعيم حسنى الزعيم قد قام فى اليوم السابق أى فى يوم ٢٧ إبريل بالسفر الى القاهرة، وكان اللقاء بينه وبين الملك فاروق فى زهراء أنشاص..

وعلى أثر عودة الزعيم الى دمشق أعلن فى بيان رسمى إغلاق الحدود بين سوريا والأردن. وهاجم مشروعى الهلال الخصيب وسوريا الكبرى بعفف، وهو يقول:

- إذا كان ساسة الأردن والعراق يعتقدون اننى سأقدم لهما سوريا على طبق من فضه،فهذا لن يكون ابدا،لان سوريا دولة ذات سيادة،وهى جمهورية وستظل كذلك

وأصدر فى نفس تعليماته بالأفراج عن الرئيس شكوى القوتلى الذى عاد إلى منزله ثم غادر دمشق مع عائلته ليعيش فى سويسرا حيث استقر به الحال لعدة أشهر.!

وأنقل عن المذكرات السياسية للمرحوم حسن يوسف رئيس الديوان الملكى بالنيابة جانبا هاما من تفاصيل زيارة حسنى الزعيم للقاهرة..

إنه يقول فى الصفحة رقم ٨٠٢ من مذكراته بالحرف الواحد:

- بعد ثلاثة أيام من تولى حسنى الزعيم السلطة نادى الملك عبد الله بمشروع سوريا الكبرى، وهرع نورى السعيد للاجتماع بقائد الانقلاب فى يوم ١٩ إبريل سنة ١٩٤٨، ودعاه للاشتراك فى

sharif mahmoud

حلف عسكرى يضم سوريا والعراق وشرق الاردن، وطار عزام بك إلى دمشق للوقوف على ما يجرى فى المنطقة من مناورات تمس الجامعة العربية.

وبعد ظهر يوم ٢٦ إبريل دعانى الملك للمبيت فى استراحة ناظر الخاصة الملكية فى إنشاص وقال لى بالحرف الواحد:

- أن لدينا بعض الأعمال العاجلة فى الغد..

ولم يذكر الملك شيئاً عن طبيعة هذه الأعمال وفى صباح الباكر توجهت إلى قصر زهراء أنشاص حيث يقيم الملك فوجدت الاستعدادات قائمة لاستقبال ضيف كبير..

وبعد قليل وصلت سيارة ملكية نزل منها الزعيم حسنى الزعيم فاستقبله الملك ثم دعانا إلى إجتماع حضره من الجانب السورى نذير فنصة السكرتير الخاص، لقائد الانقلاب السورى ومن الجانب المصرى كريم ثابت المستشار الصحفى لديوان الملك، وكنت حاضرا الاجتماع بصفتى رئيسا للديوان الملكى، بالنيابة..

وأثناء الاجتماع جرى حديث طويل حول الاوضاع القائمة فى سوريا خاصة وفى الشرق الاوسط عامة،وشرح الزعيم المشروعات المعروضة عليه تحقيقا لفكرة الهلال الخصيب،واقامة سوريا الكبرى، وانتهت الجلسة بالموافقة على الترتيبات التالية:

أولا - المناداة بالملك فاروق ملكا على سوريا.

ثانيا - يكون حسنى الزعيم نائبا للملك فى سوريا.

ثالثا - إختيار عبد العزيز بدر بك (السفير فيما بعد) وكان يعمل محافظا للقتال، وقبلها مديرا للشئوى العربية فى ديوان الملك،وذلك للعمل وزيرا مفوضا لمصر فى دمشق،وإختيار محسن البرازى من رؤساء الوزارات السورية السابقين وزيرا مفوضا لسوريا فى القاهرة لاستكمال الاجراءات الادارية لتنفيذ ذلك..

وصدر فى نفس اليوم بلاغ من ديوان الملك جاء فيه:

- أنه فى الساعة الثامنة من صباح اليوم وصلت إلى القاهرة طائرة خاصة تقل دولة الزعيم حسنى الزعيم رئيس الجمهورية السورية، يصحبه الاستاذ نزيه فنصه سكرتير دولته الخاص.وكان فى استقبال دولته صاحب العزة كريم ثابت بك المستشار الصحفى لديوان جلالة الملك موفدا من قبل جلالته، ثم إستقل دولته طائرة ملكية إلى مطار أنشاص وعندما وصل دولته

sharif mahmoud

حظى بمقابلة جلالة الملك ولبث فى، الحضرة الملكية وقتا طويلا .وبعد تناول الغذاء على المائدة الملكية عاد دولته فى سلامته الله إلى دمشق مودعا بمثل ما قوبل به من الحفاوة والاكرام.!

●●●

كانت الوحدة أو الاتحاد بين مصر وسوريا مغامرة سياسية خطيرة،وقد لعب نذير فنصه وكريم ثابت دورا كبيرا فى اتمامها،وكان فى رأى بعض فقهاء القانون الدولى أن قرار المناداة بالملك فاروق ملكا على سوريا يتنافى مع النظام الاساسى لجامعة الدول العربية الذى نص على احترام إستقلال كل دولة من دول الجامعة العربية الموقعة على الميثاق واحترام حدودها الحالية..

وكان هذا الأجراء بالصورة التى تم عليها بالنسبة لمصر يمثل مخالفة دستورية صارخة لأن مثل هذا الأجراء يعتبر من صميم إختصاص السلطة التنفيذية التى تتمثل فى مجلس الوزراء.. وبمعنى آخر كان هذا الاجراء لايمكن ان يتم إلا عن طريق هذه السلطة التنفيذية فضلا عن ان الدستور المصرى كان يقضى بانه لايجوز للملك ان يتولى مع ملك مصر، الملك فى أى دولة أخرى بغير موافقة البرلمان المصرى .!

ويقول حسنى يوسف باشا:كان ابراهيم عبد الهادى باشا رئيسا للوزراء،وقد رأيت فى باب المجاملة إخطاره بمنطوق البلاغ الرسمى قبل إذاعته..

وفى يوم ٢ مايو قدم محسن البرازى أوراق اعتماده وزيرا مفوضا لسوريا فى القاهرة،وحضر الحفل ابراهيم عبد الهادى باشا بصفته وزير الخارجية بالأنابة..

وبعد الحفل قام ابراهيم عبد الهادى باشا بزيارة حسن يوسف باشا فى مكتبه معاتبا عن عدم إخطاره مسبقا بما تم الاتفاق عليه بين الملك فاروق والزعيم حسنى الزعيم..

وكان ممكنا ان تقع أزمة دستورية بين الملك والحكومة،ولكن ابراهيم عبد الهادى باشا سرعان ما تفهم أوضاع العمل فى القصر الملكى فقد عمل رئيسا للديوان الملكى خلال الفترة من فبراير سنة ١٩٤٧ حتى ديسمبر سنة ١٩٤٩..

وصدر بعد ذلك الامر الملكى بتعين عبد العزيز بدر بك وزير مفوضا لمصر فى دمشق..

وفى سوريا أراد الزعيم حسنى الزعيم ان يدعم مركزه من الناحية الدستورية فأجرى استفتاء فى يوم ٢٦ يونيو على رئاسة الجمهورية،وحصل على أغلبية كبيرة..

وعقب فوز الزعيم أدلى بتصريح نشرته الصحف وتناقلته وكالات الانباء وكان يقول فيه:

sharif mahmoud

ـ أننى سوف أعمل على ضم الاردن إلى سوريا باعتباره جزءا منها!

وتحرك الأردن بسرعة للعمل على قلب نظام الحكم فى سوريا،وكان انقلاب سامى الحناوى فى يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٩.. أى بعد أجتماع انشاص بأقل من أربعة أشهر..

وكنت على يقين بأن هذا الانقلاب قد وقع لحساب المخابرات البريطانية والهاشميين من ورائهم..

أرادوا منع أى وحدة أو إندماج بين مصر وسوريا!

●●●

●●●

●●●
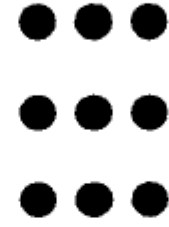
وأخيراً يبقى السؤال الهام.. إن الجامعة العربية تعرضت على مدى الخمسين سنة الماضية للكثير من العواصف والمؤامرات التى كانت تهدد كيانها.

وبقيت الجامعة العربية صامدة منذ نشأتها حتى الآن، ولا شك أن صمودها أصبح واجبا، بعد أن أصبحت تضم ٢١ دولة عربية.

إن الجامعة العربية قامت لتبقى، المهم أن تختفى الخلافات وأن تتم تصفية الأجواء حتى يمكن للجامعة أن تكون كما كانت دائما أمل الشعوب العربية.. فى التجمع والوحدة.

وصحيح أن الجامعة العربية كانت تضم سبع دول عند نشأتها، وأن خمس دول من أعضائها شاركوا فى توقيع ميثاق الأمم المتحدة وكان عدد الدول التى وقعت على هذا الميثاق ٤٦ دولة، أى أن كل عشر دول فى الأمم المتحدة كان من بينها على الأقل دولة عربية،إلا أن الصورة تغيرت الآن بعد أن أصبح عدد الدول العربية فى الجامعة العربية ٢١ دولة كلها أعضاء فى الأمم المتحدة، وبالتالى أصبحت كتلة هذه الول العربية - إذا ما اتحدت - تمثل واحدا إلى ثمانية من بين أعضاء الأمم المتحدة وأنه بالتنسيق بين الدول العربية وكتلة الدول الإسلامية تصبح هذه النسبة واحدا إلى ثلاثة.

إن الجامعة العربية بعد ٥٠ سنة من قيامها ستبقى فى مواجهة كل المؤامرات التى تحاك ضدها، وستكون دائما أمل العرب نحو مستقبل أفضل.

المهم أن تتم تصفية الأجواء العربية وأن تعود وحدة دول الجامعة العربية من جديد ■

sharif mahmoud

وثيقة للتاريخ ..

تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول.

حرر هذا الميثاق باللغة العربية في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ في الأمانة العامة.

وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة.
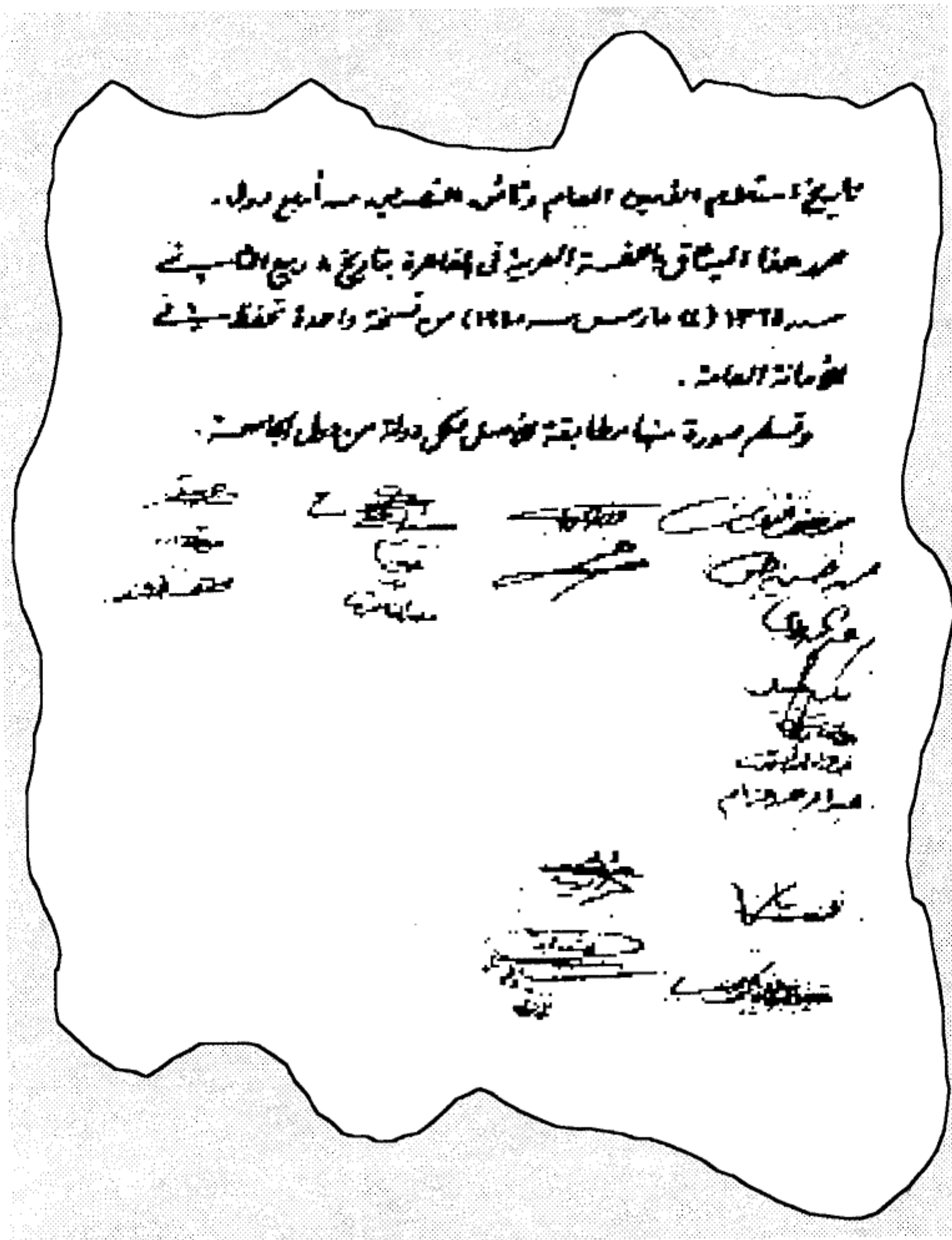
● وثيقة تاريخية لتوقيع الوفود العربية على إعلان ميثاق الجامعة العربية في يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥.
وكان مولد جامعة الدول العربية بعد التوقيع على هذه الوثيقة ...

sharif mahmoud

الفهرست

sharif mahmoud

sharif mahmoud

● الفريق محمد حيدر باشا يعلق قرار الحكومة العربية قبول الهدنة الأولى ووقف إطلاق النار تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة العربية !
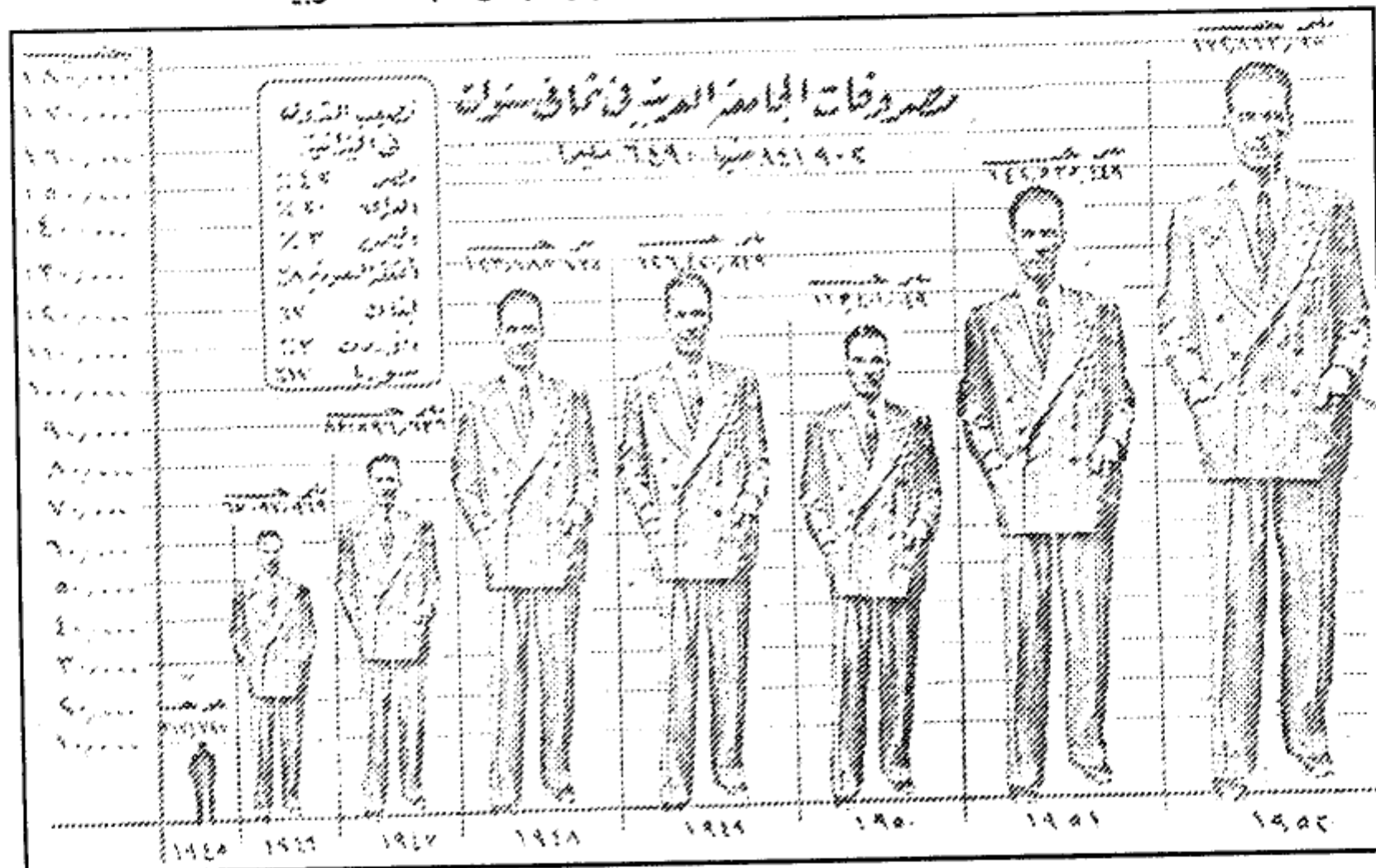
● حتى لا ننسى ما كانت الجامعة العربية عليه عند مولدها. إن هذا الرسم البيانى يوضح مصروفات الأمانة العامة للجامعة خلال السنوات ما بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٥٢ ونصيب كل دولة من الدول الأعضاء فى الميزانية